goat days

أيام الماعز

ثقافة الهند

Volume 65, No. 2, 2014

المجلد ٦٥، العدد ٢، ٢٠١٤

ISSN 0970-3713

ثقافةُ الهنُد

مجلة علمية ثقافية جامعة فصلية

المجلد ٦٥، العدد ٢ ، ٢٠١٤

رئيس التحرير
البروفيسور ذكر الرحمن

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

بالتعاون مع
المركز الثقافي الهندي العربي
الجامعة الملية الإسلامية
نيودلهي

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء وتنمية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى، وضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" وفي الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" وفي الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" وفي الأسبانية "Papeles de la India" وفي الهندية "Gagananchal" وكلها يصدر أربع مرات في السنة.

والمراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

EDITOR, Thaqafatul Hind
India Arab Cultural Centre
Imarat Ibn-e- Khaldun
Jamia Millia Islamia
New Delhi-110025
E-mail: edit.thaqafatulhind@gmail.com

ودفع الثمن يُوجه إلى:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

وحقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن، والآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين والكتاب ولا تعكس سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها وطبعها السيد ستيش مهتا، المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية – آزاد بهوان، نيودلهي، الهند بالتعاون مع المركز الثقافي الهندي العربي، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي الذي قام بإعدادها وإنتاجها.

صورة الغلاف : رواية أيام الماعز
صورة في الخلف: الشاعر محمد إقبال

ثقافة الهند

المجلد ٦٥، العدد ٢ ، ٢٠١٤م

في هذا العدد

- افتتاحية العدد
- تأثير الآداب والفنون الهندية على العرب خلال العصورالوسطى ١
  الدكتور محمد أنيس فاروقي
- الأواصر الثقافية بين الهند ومصر في العصر الراهن ٢٥
  الدكتور مشير حسين الصديقي
- مساهمات المنظمات والمعاهد في انتشار اللغة العربية في كيرلا ٣٥
  حسينة - بي
- حب إقبال للعرب وعشقه للعربية ٤٦
  الدكتور عبد الناصر علي
- الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي وآثاره العلمية ٦١
  الدكتور محمد أجمل القاسمي
- إسهام علماء الهند في كتابة سيرة الإمام مالك رضـ : ٨٥

السيد سليمان الندوي نموذجًا
صاحب عالم الأعظمي الندوي

■ تطور المسرحية في الأدب العربي الحديث ١٤٤
الدكتور عبيدالرحمن طيب

■ الزمن اللا آدمي قراءة في رواية أيام الماعز ١٩٦
محمدعلي الوافي كرواتل

افتتاحية العدد

...تزخرُ ثقافة الهند بعلوم الدنيا، فهي ثقافة متنوعة ضاربة في التاريخ، وإذا استقصينا علوم الهند سنجدها شاملة وإن تميّزت ببعض العلوم أكثر من علوم أخرى، فهناك الطب والصيدلة وعلى الأخص صيدلة الأعشاب والهندسة والرياضيات وفن البناء والفلسفة والجغرافيا والتاريخ ولكن ما تتميز به الهند هو علوم اللغة، وأقصد بعلوم اللغة النحو والمعجم اللغوي والعروض والبلاغة والأدب.

وأريد أن أشير في هذا العدد الجديد من ثقافة الهند إلى علم البلاغة في الهند وأثره في بلاغة الكتابات العربية ويبدو أن الكتب في هذا العلم كانت موجودة لأن علم البلاغة من العلوم التي اعتنى بها الهنود ويظهر من الكتابات العربية أن الكتب كانت مكتوبة فيه ومعروفة لدى الهنود المثقفين، وقد كان مَن زار البلاد العربية مِن العلماء والأطباء الهنود يحملون معهم كتبا مختلفة في مواضيع متنوعة ومنها علم البلاغة كما تدل المكالمة بين معمر أبي الأشعث والعالم الهندي بهلة الهندي في علم البلاغة الهندية التي نقلها الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" فوصلت كتب هذا العلم إلى العرب فاستفادوا منها كما أشار أحمد أمين إلى هذا الجانب : "وقد نقلت إليهم هذه الجملة الهندية في البلاغة، فرأيناها تصاغ فيما بعد في كتب البلاغة العربية بما سموه "مقتضى الحال"... وقارن التنوخي بين بلاغة الهند وبلاغة

العرب، بأن الأولى مطنبة مسهبة والثانية مختصرة موجزة." ومقتضى الحال يعني أن يتحدث الإنسان بما يوجب عليه الموقف بلغة مناسبة حتى ينسجم مع المخاطبين بلغته انسجاما يشبه انسجام الماء عندما ينصبُّ من النبع.

ونفتتح العدد الجديد من ثقافة الهند ببحث للدكتور محمد أنيس فاروقي بعنوان تأثير الآداب والفنون الهندية على العرب خلال العصور الوسطى، فالكتب العربية تشهد أن العرب استفادوا من الهند في مجال الأدب وتأثروا بأفكارهم وآبائهم واقتبسوا منها في كتبهم الأدبية المهمة . وهو بحث لغوي غني وعميق ويدل على عمق تجربة كاتبه وثقافته في اللغة وعلومها .

أما البحث الثاني فهو بعنوان الأواصر الثقافية بين الهند ومصر في العصر الراهن للدكتور مشير حسين الصديقي وحظي تاريخ تطور العلاقات بين الهند والعرب باهتمام ملحوظ من علماء التاريخ الهنود، ومن أبرزهم العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله، فقد ألقى محاضرات عديدة باللغة الأردية حول هذا الموضوع جمعت لاحقا في كتاب نشر تحت عنوان "صلة الهند بالعرب" سنة ١٩٢٩م .

ويأتي البحث الثالث بعنوان مساهمات المنظمات والمعاهد في انتشار اللغة العربية في كيرالا للباحثة حسينة – بي . ومن المعروف أن كيرالا تحتوي على أكبر تجمع للكليات والجامعات والمدارس التي تعلم اللغة العربية وعلومها و تحتفل كيرالا اليوم ١٨ من شهر ديسمبر احتفالا ليوم اللغة العربية العالمية. وفي كيرالا تنعقد كثيرا من الحفلات والبرامج في هذا اليوم في مختلف المدارس والكليات والجامعات والأماكن الكثيرة. تجري في هذه الحفلة مختلف الأنواع من البرامج الندوات والمسابقات حول اللغة

العربية وآدابها. هذه الاحتفالات تدافع عن التقاليد الثقافية والأدبية للغة العربية .

أما البحث الرابع فهو بعنوان حب إقبال للعرب وعشقه للعربية للدكتورعبد الناصرعلي . اشتغل إقبال بتدريس العربية وتمنى لو كان في قدرته أن يعالج النظم بلغة الضاد. وهذا من الدليل على شغفه بلغة الدين والعلم أساساً، أما أرض العرب أو على التحديد أرض الحجاز موطن أوائل المسلمين، فقد كان مشوق القلب إليها بحبها، هذا من قوله في رباعياته الفارسية، أما في خاتمة كتاب "رموز نفي الذات" فتمنى الموت في الحجاز ، وهو يقول:

يا رحيماً بك للناس مفاز كل ما أبغيه موتي في الحجاز

وجاء البحث الخامس بعنوان الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي وآثاره العلمية للدكتور محمد أجمل القاسمي. ومما ذكره الباحث : كان الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي متبحراً في العلم بين العلماء المعاصرين، وأحد رموز أساتذة الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم وعلومه التي أنجبتها الهند، عجز الاستعمار الإنجليزي البغيض عن اختراقه رغم جميع ما ركّزه من الموارد لشطب الإسلام من شبه القارة الهندية .

وجاء البحث السادس بعنوان إسهام علماء الهند في كتابة سيرة الإمام مالك رضي الله عنه (السيد سليمان الندوي نموذجًا)للباحث صاحب عالم الأعظمي الندوي ومما جاء في هذا البحث الأكاديمي بجدارة و وامتياز ....وقد خصص الشيخ الندوي الباب الثاني لبيان أعمال الإمام مالك. فتناول بالتفصيل مؤلفاته المنشورة وغير المنشورة . ثم تناول بالتفصيل حول الموطأ ومكانته العلمية، وفضائله وخصائصه.

وضمن الفن المسرحي كان البحث السابع بعنوان تطور المسرحية في الأدب العربي الحديث للدكتور عبيد الرحمن طيب ، وقد قال نابليون عن أهمية المسرح : أعطوني مسرحا أعطكم شعباً . وتركت المسرحية اليونانية تأثيرا كبيرا على المسرحية الرومية والفرنسية والإنكليزية فالمسرحيون الرومانيون اتبعوا خطى المسرحية اليونانية إلى أن سيطروا على الأدب اليوناني ونالوا شهرة كبيرة في فن المسرحية. وحصلت المسرحية الرومانية على تطور كبير خاصة في المسرحية الكوميدية وجدير بالذكر منهم بلوتس (Plautus)

وننهي هذا العدد من مجلة ثقافة الهند بعرض قصصي بعنوان ''الزمن اللا آدمي ــ قراءة في رواية أيام الماعز'' لمحمدعلي الوافي كرواتل، وهذه الرواية قد نجحت في جلب القارئين إلى صفحاتها، ولقيت قبولا حسنا في أوساط القارئين في الهند، ومما يشير إلى قبولية هذه الرواية بين سكان أهل كيرالا الذين يمثلون الأغلبية في الخليج العربي أنها طبعت في اللغة المحلية ــ المليالمية ــ أكثر من خمس وسبعين مرة، وصارت حديث الناس في المجالس والمنتديات ووسائل الإعلام وغيرها .

وتدور فكرة الرواية حول ظاهرة 'الحنين إلى الوطن' أساسيا كما في أية رواية مهجرية، وبكون الكاتب في الخليج ــ البحرين ــ منذ عام ١٩٩٢م إلى عام ٢٠١٣م تعد هذه الرواية تصويرا لذاته ولحياته المهجرية، فكان يتخذ من اغترابه قصة مادام أنه لا يمكن أن ينكر الكاتب شخصيته كليا حين يكتب عن غيره، لأن حياة نفسه تتبعه كما يتبعه الظل، والسنة التي هبط فيها نجيب في مطار الرياض هي نفس السنة التي هبط بنيامين في

البحرين وعمره عشرون سنة، واستطاع الكاتب أيضا أن يرى كثيرا من أشخاص يكابدون العيش سعيا وراء لقمة العيش.

إن ثقافة الهند ثقافة غنية متنوعة بتنوع لغاتها وجغرافيتها تحمل أسرار الحياة بأشجارها المتنوعة ونباتاتها التي قد لا يوجد لها مثيل في العالم وهدير أنهارها وروعة آثارها وشموخ جبالها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، ونجد تنوّع الطيوروجمال هطول الأمطار وهذا التنوع الذي ذكرته مرتبط بتنوع ثقافتها وجمالها وشمولها .

وهدفنا الدائم هو السعي نحو ما هو جديد في عالم الثقافة وعالم المعرفة والتراث لنصبح ، من خلال مجلتنا، حلقة وصل بين عالمنا وعالم الثقافات الأخرى .

ذكر الرحمن

مدير

المركز الثقافي الهندي العربي

الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

تأثير الآداب والفنون الهندية على العرب خلال العصورالوسطى

الدكتور محمد أنيس فاروقي*

احتلت الهند مكانة مرموقة في المجال الثقافي والعلمي في القديم بكونها غنية بالثقافة وزاخرة بالعلوم المختلفة والمعارف المتنوعة فتركت الآداب والفنون الهندية بصمات واضحة على آداب الأمم المختلفة بما فيها الآداب العربية فالكتب العربية تشهد أن العرب استفادوا من الهنود في مجال الأدب وتأثروا بأفكارهم وآرائهم الأدبية واقتبسوا منها في كتبهم الأدبية المهمة ويشير صاحب "تاريخ التمدن الإسلامي" إلى هذا قائلا:"وإذا قرأت العقد الفريد لابن عبد ربه أو سراج الملوك للطرطوشي ، أو غيرهما من كتب الأدب المهمة ، رأيت مؤلفيها إذا ذكروا بعض الآداب أو الأخلاق أو نحوها قالوا:"وفي كتاب الهند كذا وكذا ".[١] فهذه الإشارات في الكتب العربية المختلفة إن دلت على شيء فإنها تدل على أن العرب تأثروا بالأفكار الهندية في مجال الأدب فنلقي الضوء على الآداب والفنون الهندية وتأثيراتها على العرب وآدابهم وفنونهم من ناحية أو ناحية أخرى فيما يلى:

---

* باحث هندي

[١] – تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، وراجعه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص ١٧٧

النحو : كان علم النحو موجودا في الهند منذ قديم الزمان فنقل أبو الريحان البيروني رواية في نشأة هذا العلم وهي تتماثل رواية أبي الأسود الدولي في علم النحو العربي فكتب قائلا : "وقالوا في أوليّة هذا العلم : إن أحد ملوكهم واسمه "سملواهن" وبالفصيح "ساتباهن" كان يوما في حوض يلاعب فيه نساءه فقال لإحداهن : "ماود كندهي" أي لا ترشي عليّ الماء فظنّت أنه يقول : "مود كندهي" أي إحملي حلوي فذهبت فأقبلت به فأنكر الملك فعلها وعنّفت هي في الجواب وخاشنت في الخطاب فاستوحش الملك لذلك وامتنع عن الطعام كعادتهم واحتجب إلى أن جاءه أحد علمائهم وسلّى عنه بأن وعده تعليم النحو وتصاريف الكلام وذهب ذلك العالم إلى "مها ديو" مصليا مسبحا وصائما متضرعا إلى أن ظهر له وأعطاه قوانين يسيرة كما وضعها في العربية أبو الأسود الدؤلي ووعده التأييد فيما بعدها من الفروع فرجع العالم إلى الملك وعلّمه إيّاها وذلك مبدأ العلم."[١]

وكتب أحمد أمين في كتابه "ضحى الإسلام" بعد نقل الرواية المذكورة أعلاها أنني أخشى أن رواية أبي الأسود الدؤلي قد وضعت على نهج هذه الرواية فالروايات المختلفة والمتعددة التي توجد في واضع علم النحو، تؤيد هذه الفكرة أيضا وكذلك ذهب العالم الهندي إلى "مها ديو" مثلما ذهب أبوالأسود الدؤلي إلى الخليفة علي رضى الله عنه واستعان منه في وضع علم النحو.[٢]

ولكن في رأي الباحث رأي الكاتب أحمد أمين غير صحيح وهذا يبدو بعيد ا عن الاحتمال والقياس لأن الفترة التي عاش فيها أبو الريحان

[١] – في تحقيق ما للهند لأبي الريحان البيروني ، (سنة ١٩٥٦م / ١٣٧٧هـ) ، ص ١٠٥
[٢] – ضحى الإسلام لأحمد أمين ، (الطبعة السابعة ، سنة ١٩٣٥) ، ج١ ، ص ٢٤٥

البيروني والفترة التي عاش فيها أبو الأسود الدؤلي يوجد بينهما بون شاسع من حيث الزمان والمكان فهما ينتميان إلى عصور مختلفة.

العروض : كان العروض من العلوم التي عني بها الهنود كثيرا منذ زمن عتيق وذلك لأنهم كانوا يميلون إلى النظم والشعر أكثر من النثر فكتب أبو الريحان البيروني بهذا الصدد:"أكثرالهند يهتمون بمنظومهم ويحرصون على قراءته وإن لم يعرفوا معناه ويفرقعون أصابعهم فرحا به واستجادة له ولا يرغبون للمنثور وإن سهلت معرفته، أكثر كتبهم "شلوكات"."[١] فمن الممكن أن العرب استفادوا من الهنود في مجال علم العروض كما سلط أبو الريحان البيروني الضوء على هذا الأمر متناولا علم العروض الهندي بالتفصيل وأظهر الاحتمال والإمكان في استفادة العرب من الهنود في هذا المجال قائلا:"وليعرف أن الخليل بن أحمد كان موفقا في الاقتضابات وأن كان ممكنا أن يكون سمع أن للهند موازين في الأشعار كما ظن به بعض الناس."[٢]

البلاغة : كان علم البلاغة من العلوم التي اعتنى بها الهنود ويبدو من الكتابات العربية أن الكتب كانت موجودة فيه ومعروفة لدى الهنود المثقفين وقد كان من زارالبلاد العربية من العلماء والأطباءالهنود يحملون معهم كتبا مختلفة في مواضيع متنوعة ومنها علم البلاغة كما تدل المكالمة بين معمر أبي الأشعث والعالم الهندي بهلة الهندي في علم البلاغة الهندية التي نقلها الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" فوصلت كتب هذاالعلم إلى العرب فاستفادوا منها كما أشار أحمد أمين إلى هذا الجانب : "وقد نقلت إليهم هذه الجملة الهندية في البلاغة، فرأيناها تصاغ فيما بعد في كتب البلاغة

[١] – في تحقيق ما للهند لأبي الريحان البيروني ، (سنة ١٩٥٦م / ١٣٧٧هـ) ، ص ١٠٦
[٢] – نفس المصدر، ص ١١٥

العربية بما سموه "مقتضى الحال"... وقارن التنوخي بين بلاغة الهند وبلاغة العرب، بأن الأولى مطنبة مسهبة والثانية مختصرة موجزة."[١]

المعجم : يبدو أن الخليل بن أحمد استفاد من القواعد الهندية في ترتيب معجمه "كتاب العين" وذلك لأنه رتبه على نهج اللغة السنسكريتية كما كتب أحمد أمين في كتابه "ضحى الإسلام":"وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه اتبع في ترتيبه كتاب العين ما كان يتبعه علماء النحو في اللغة السنسكريتية ، فقد كانوا يبدءون بحروف الحلق وينتهون بحروف الشفة."[٢]

خط الكتابة : يبدو أن الخط المسند الذي كان معروفا لدى اليمنيين مأخوذ عن الخط الهندي وأما الخط المسند فجاءت فيه رواية أن أول من كتب بالعربية من اليمنيين قوم هود عليه السلام و كانت كتابتهم تسمى بـــ"الخط المسند" وأنه أصبح خط "حمير" فيما بعد وعرف بإسمهم فكانوا يكتبون كل حروفه منفصلة بعضها عن بعض[٣] فظن بعض الباحثين العرب أن الخط المسند مأخوذ من خطوط الهنود كما كتب محمد طلعت حرب في هذا الخصوص:"أما الخط المسند فهو قديم العهد ولا يعلم من أثره إلا أنه من خط لحمير ويظن البعض أنه مأخوذ عن الخط الفنيقي (كذا) ولعله مأخوذ عن خطوط أهل الهند القديمة لأنه كثيراما يشابهها."[٤] وهذه من الحقيقة أن عرب اليمن كانوا يترددون على سواحل البحرالهندي للتبادل التجاري فتعلموا كثيرا من الصناعات كالملابس والحلى والأسلحة والأبنية من مجاوريهم كالفرس والهند والمصريين[٥] فمن الممكن أنهم تأثروا بالخطوط

---

[١] – ضحى الإسلام لأحمد أمين ، (الطبعة السابعة ، سنة ١٩٣٥م) ، ج ١ ، ص ٢٤٦-٢٤٧
[٢] – ضحى الإسلام لأحمد أمين ، (الطبعة السابعة ، سنة ١٩٣٥م) ، ج ٢ ، ص ٢٦٧
[٣] – تاريخ دول العرب والإسلام لمحمد طلعت حرب ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ج ١ ، ص ١٠٩
[٤] – نفس المصدر ونفس الصفحة
[٥] – نفس المصدر، ص ١١٢

الهندية القديمة في العهد الجاهلي كما تأثروا بأفكارهندية أخرى واستفادوا منها في اختراع خطهم المنفصل للكتابة لأن التجارة تقتضي علما بالكتابة والحساب التجاري لإجراء النشاطات والأعمال التجارية بيسر.

القصص : كان العرب يحبون الأسمار والقصص من زمن سحيق ولكن الأسمار والقصص لم تكن فيهم كفن مستقل وإن كانت الإشارات توجد إلى هذا الفن بإسم "وقائع العرب". ولما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية دفع المسلمون اهتمامهم إلى هذا الفن أيضا فكان عمر رضى الله عنه يحب أن يسمع سيرالملوك ليأخذ أحسن ما فيها ويتجنب الأخطاء التي ارتكبت في الماضي ويأخذ العبرة منها وكان معاوية رضى الله عنه يسمع الأسمار والقصص للأمم الغابرة في كل ليلة كبرنامجه الخاص كما أشار إليها المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر".[١]

كليلة ودمنة : يخبرنا ويفيدنا التاريخ أن أول كتاب نقل في هذا الفن هو كتاب "كليلة ودمنة" من اللغة البهلوية – الفارسية القديمة– إلى العربية وقام بنقله عبد الله بن المقفع في عصر الخليفة أبي جعفرالمنصور(٧١٢–٧٧٥م) فحظى هذا الكتاب بشهرة واسعة وحاز شعبية كبيرة بين الأمم خاصة في العرب بسبب قصصها الرائعة والمفيدة وأساليبها الأنيقة فكتب القاضي ابن صاعد الأندلسي في إفادية هذا الكتاب: "وهو كتاب عظيم الفائدة شريف الغرض جليل المنفعة."[٢]

---

[١] – مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـ"المسعودي" ، (الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م) ، ج ٣ ، ص ٣١

[٢] – طبقات الأمم للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي ، تحقيق : الأب لويس شيخو اليسوعي، (سنة ١٩١٢م) ، ص ١٤

وأما كتاب "كليلة و دمنة" فهو هندي الأصل أم لا فاختلف المؤرخون في هذا الباب وذكر العلامة ابن النديم في كتابه "الفهرست"هذا الاختلاف قائلا:"فأما كتاب كليلة ودمنة فقد اختلف في أمره فقيل عملته الهند وخبر ذلك في صدر الكتاب ، وقيل عملته ملوك الإسكانية و نحلته الهند وقيل عملته الفرس ونحلته الهند وقال قوم إن الذي عمله بزرجمهرالحكيم أجزاء."[١] وكتب أبوالريحان البيروني عن هذا الكتاب وقال:"كتاب "بنج تنتر" وهو المعروف عندنا بكتاب "كليلة ودمنة " فإنه تردد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على ألسنة قوم لا يؤمن من تغييرهم إياه كعبدالله بن المقفع في زيادته باب "بروزويه" فيه قاصدا تشكيك ضعفي العقائد في الدين وكسرهم للدعوة إلى مذهب "المنانية" وإذا كان متهما فيما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل."[٢] ولكن كتب اليعقوبي بصراحة أن كتاب كليلة ودمنة من المؤلفات الهندية وكان إسمه "بيدبا دبيل با " في اللغة الهندية فورد في تاريخه بهذا الصدد:"ومن ملوكهم دبشليم وهو الذي وضع في عصره كتاب "كليلة ودمنة" وكان الذي وضعها "بيدبا" حكيم من حكمائهم وجعله أمثالا يعتبر بها ويتفهمها ذوو العقول ويتأدبون بها."[٣]

وعلى الرغم من هذا كله فلا ريب في أن هذا الكتاب نقل من البهلوية أي الفارسية القديمة- كانت تستخدم في عهد الإمبراطورية الفرثية (Parthian Empire) خلال (٢٤٨ ق م- ٢٢٤م) وفي عهد الإمبراطورية الساسانية (Sassanid Empire) خلال (٢٢٤م-٦٥١م)- إلى العربية وكما

---

[١] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠٠

[٢] - في تحقيق ما للهند لأبي الريحان البيروني ، (سنة ١٩٥٦م / ١٣٧٧هـ) ، ص ١٢٣

[٣] - تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعرو ف بـ"اليعقوبي" ، و قدم له و علق عليه السيد محمد صادق ، - (سنة ١٩٦٤م) ، ج ١ ، ص ٧٤

جاء في رواية شهيرة أن الحكيم "برزويه" (Borzuy) أتى به من الهند إلى إيران في زمن كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٩م) و تم نقله إلى الفارسية القديمة من اللغة الهندية[١] ويؤيد المسعودي هذه الفكرة أيضا في تاريخه قائلا:"وقد كان نقل إليه (أنوشروان) من الهند كتاب كليلة ودمنة."[٢] ولما بدأ المسلمون نقل العلوم المختلفة إلى العربية قام بنقله عبد الله بن المقفع إلى العربية في عهد الخليفة أبي جعفرالمنصور كما ورد في تاريخ المسعودي:"ثم ملك بعده دبشليم وهو الواضع لكتاب "كليلة ودمنة" الذي ينسب لابن المقفع."[٣]

المآخذ السنسكرتية لكتاب كليلة ودمنة :

١- بنج تنتر : ألفه وشنو شارما (Vishnu Sharma) الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد حسب المؤرخين. ويظهر من كتابات أبي الريحان البيروني أن كتاب كليلة ودمنة هو ترجمة "بنج تنتر" التي كانت في السنسكريتية ومعناها خمسة قصص فهذه القصص تدور حول الأصول والمبادي لتدبيرالملك.[٤]

---

[١] - طبقات الأمم للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي ، تحقيق : الأب لويس شيخو اليسوعي، (سنة ١٩١٢م) ، ص ١٤

[٢] - مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـ"المسعودي"، (الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م)، ج ١، ص ٢٩٤

[٣] - نفس المصدرونفس المجلد، ص ٩٦ ، وأيضا طبقات الأمم للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي ، تحقيق : الأب لويس شيخو اليسوعي ، (سنة ١٩١٢م) ، ص ١٤ وأيضا حضارة الإسلام في دار السلام لجميل نخلة المدور، (الطبعة الثالثة ، سنة ٢٠٠٧م)، ص ٢١٩

[٤] - في تحقيق ما للهند لأبي الريحان البيروني ، (سنة ١٩٥٦م / ١٣٧٧هـ) ، ص ١٢٣

٢- هتوبديش (Hitopadesha) : معناه وعظ الأصدقاء. وهذا الكتاب يحتوي على قصص شعبية في اللغة السنسكرتية ويعالج مواضيع شتى فيها كآداب الحروب والسلام وسلوك الأحلاف.

٣- مهابهارت(Mahabharata) : كتاب شهير في اللغة السنسكريتية. وهو في الحقيقة ملحمة هندية شهيرة تضاهي في شهرتها وصيتها بين الهنود مثل الملحمة اليونانية "الإلياذة" عند اليونانيين.

٤- هردنجة : وهذا الكتاب يشتمل على قصص في اللغة السنسكريتية.[١]

الأبواب الهندية الأصل في كتاب "كليلة و دمنة" :

١- الأسد والثور، الفحص عن أمر دمنة، الحمامة المطوقة، البوم والغربان، القرد والسحلفاة، والناسك وابن عرس فهذه الأبواب في كتاب "كليلة ودمنة" مأخوذة من كتاب سنسكريتي "بنج تنتر".

٢- الجرذ والسنور، الملك والسنور، الأسد وابن آوى فهذه الأبواب الثلاثة في كتاب "كليلة ودمنة " مأخوذة من كتاب سنسكريتي "مهابهارت".

٣- الأسواد واللبوءة.[٢]

فأيد اليعقوبي بهذه الفكرة وكتب بأن هذا الكتاب كان هندي الأصل ومشتملا على عشرة أبواب وهي أكثر الأبواب التي ذكرناها آنفا.[٣]

ومن الحقيقة أن كتاب "كليلة ودمنة " قد مر بمرحلة الترجمة والتعديل والتنقيح والتصديروالتذييل بتوالي الأزمان فبلغت أبوابها ٢١ بابا وكان بعض منها هندي الأصل والآخر من الفارسية والعربية ويخبرنا جرجي

---

[١] - عربي علوم كى هندي مصادر لسيد محمود حسن قيصر أمروهي ، (سنة ١٩٩٩م) ، ص ٨٢- ٨٣

[٢] - نفس المصدر ، ص ٩٠

[٣] - تاريخ اليعقوبي لليعقوبي ، (سنة ١٩٦٤م) ، ج ١ ، ص ٧٤- ٧٥ ،

زيدان أن الأبواب الهندية الأصل بلغ عددها١٢بابا وهي : باب الأسد والثور والحمامة المطوقة والبوم والغربان والقرد والغيلم والناسك وابن عرس والجرذ والسنور والملك والطائرة فنزة والأسد وابن آوى واللبوة وبلاذ وإيراخت ، والسائح والصائغ وابن مالك وأصحابه وأما الأبواب الفارسية فهى ثلاثة وهي : مقدمة برزويه وباب برزويه وباب ملك الجرذان وأما الأبواب الباقية فهى تعتبر عربية لأنها لم تكن معروفة قبل النسخة العربية للكتاب ومنها مقدمة الكتاب وباب عرض الكتاب لابن المقفع وباب الفحص عن أمر دمنة وباب الناسك والضيف وباب مالك الحزين والبطلة وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين وبعض هذه الفصول لا يتواجد الآن في النسخ العربية للكتاب.[١]

ولا أنسى أن أذكر رأيا آخر عن أصل كتاب "كليلة ودمنة" ذهب إليه بعض العلماء كـــ "محمد كرد علي" وهو أن كتاب "كليلة ودمنة" عربي الأصل الذي ألفه ابن المقفع نفسه لأنه لا يوجد فيه أثر الترجمة ولغة الكتاب يدل على هذا أيضا.

خلاصة القول أن كتاب "كليلة ودمنة" هندي الاصل كما اعترف ابن المقفع بهذه الحقيقة في مقدمة الكتاب ويشير معظم المصادرالتاريخية إلى هذا الجانب ولكن تغلغل بعض القصص الفارسية والعربية فيه مع مرور الزمان لأنه تردد بين الهندية والفارسية والعربية حسب ابن النديم ونسب هذا الكتاب إلى وشنو شارما (Vishnu Sharma) بكونه مؤلفا لكتاب "بنج تنتر" تمت ترجمته في البداية من السنسكريتية إلى العربية حتى استعار للكتاب إسم "كليلة ودمنة" من السنسكريتية وهو "كرطاكة ودمناكة " في الأصل

[١]- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، ج ٢ ، ص ١٣٤

السنسكريتي وفكرة الكتاب الرئيسية تدور على الحوار بين الحكيم "بيدبا" (Vyasa) والملك "دبشليم" ولعل ذلك ظن بعض الكتّاب العرب أن "بيدبا" ألف هذا الكتاب للملك "دبشليم".

تأثير كتاب "كليلة ودمنة" على الأدب العربي : ترك كتاب "كليلة ودمنة" تأثيرات واسعة وانطباعات عميقة على الأدب العربي وأدى إلى تطوير الفن القصصي الطويل في العرب ومن الممكن أن نفهم تأثيراته بحيث أن الشعراء العرب بدأوا ينقلون قصصه في شعرهم من ناحية والتفت الأدباء إلى أن يكتبوا في فن القصص على منوال هذا الكتاب فأول كتاب ألف في هذا الفن هو كتاب البخلاء للجاحظ في أوائل القرن الثالث للهجرة وبعد ذلك نجد عددا كبيرا من الكتاب الذين دفعوا اهتمامهم إلى هذا الفن القصصي ولعبوا دورا مهما في تطويرهذا الفن ومنهم عيسى بن داب، وشرق بن القطامي، وهشام بن الكلبي، وهيثم بن عدي وغيرهم ومن مؤلفاتهم كتاب مرقس وأسماء، وجميل بثينة، وكثير وعزة، وقيس ولبنى، ومجنون وليلى، وتوبه وليلى وغيرها.[١] وبعد ذلك أخذ الأدباء يتبعون طريق الأدباء السالفين في هذا الفن فمنها قصة عنتر وقال فيها جرجي زيدان "وهي أحسن القصص العربية وأفيدها"[٢]، وألف ليلة وليلة[٣]، و"أسمارالعرب والعجم" للجهشياري في القرن الرابع الهجري[٤]، والمناظرة بين الحيوان والإنسان لإخوان الصفا فيرى الأدباء أن لون كليلة ودمنة وأثره يظهر في هذه الكتب. ولايفوتني أن أذكر أن شعبية كليلة ودمنة الكبيرة أدت إلى منافسة الأدباء في

---

[١] – الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠٠

[٢] – تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، (سنة ١٩٦٧م) ، ج ٢ ، ص ٢٥٦

[٣] – الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠٠-٢٩٩

[٤] – نفس المصدر ، ص ٣٠٠

ترجمة كتب القصص والسير والخرافة من اللغات المختلفة بما فيها اللغة الهندية إلى العربية كما أشار جميل نخلة المدور إلى هذا الجانب:" ولما رأى الأدباء إقبال الناس على الكتاب (كليلة ودمنة) تسارعوا إلى تعريب غيره من كتب السير والخرافة فترجمو عن الهندية كتاب وزره وشماس وفيه أخبارملوك الهند وبناتهم ومايتخللها من الأمثال التي توسع العقول أدبا مع فكاهة وترويض أفكار."[١] وكذلك ألفت كتب قصصية بعدد كبيرعلى نهج و منوال كتاب كليلة ودمنة متأثرا بأسلوب الكتاب ومنهجه الذي حظي بشعبية كبيرة من الكتاب والشعراء فنذكر هنا بعضا منها:

الكتب القصصية التي ألفت على نهج ومنوال كتاب كليلة ودمنة :

١- ثعلة وعفرة : ألف الأديب الشهير سهل بن هارون (٢١٥هـ / ٨٣٠م) هذا الكتاب في القرن الثالث الهجري فوصف المسعودي هذا الكتاب بالكلمات التالية:"وقد صنف سهل بن هارون الكاتب لأمير المؤمنين المأمون كتابا "ثعلة وعفرة" يعارض به كليلة ودمنة في أبوابه وأمثاله ، يزيد عليه في حسن نظمه."[٢]

٢- القائف : قام بتصنيف هذا الكتاب الأديب البارع أبو العلاء المعري (٩٧٣- ١٠٥٧م) فكتب صاحب كشف الظنون عن هذا الكتاب:"إن أبا العلا المعري ألف كتابا إسمه "القائف" على مثال كليلة ودمنة وهو في ستين كراسة ولم يتمم، وإن له كتاب "منارالقائف" يتضمن تفسيره في عشرة كراريس."[٣]

---

[١] - حضارة الإسلام في دار السلام لجميل نخلة المدور ، (الطبعة الثالثة ، سنة ٢٠٠٧م) ، ص ٢٢١ -٢٢٢

[٢] - مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـ"المسعودي" ، (الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ٩٦

[٣] - كشف الظنون لحاجي خليفة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ج ٢ ، ص ٥٤٨

٣- الصادج والباغم : كتب محمد بن صالح بن حمزة البغدادي المعروف بابن الهبارية (١١١٠م) هذا الكتاب وكتب أحمد أمين عن هذا الكتاب أنه نظم على نهج كليلة ودمنة.[١]

٤- درالحكم في أمثال الهنود والعجم : ألفه الأديب عبد المؤمن بن حسن الصاغاني على منوال كليلة ودمنة.[٢]

٥- سلوان المطاع في عدوان الطباع : صنفه أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم المعروف بابن ظفر على نهج كليلة ودمنة لبعض قواده.[٣]

٦- كشف الأسرارعن حكم الطيور والدواب والأزهار : ألفه عزالدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي (١٢٧٩م) فاستفاد من الحيوان والجماد والازاهير ومانطق كل بلسان حاله موعظة لأهل الاعتبار[٤] وكتب السيد فؤاد عن هذا الكتاب:"جعله موعظة لأهل الاعتبار وضمنه إشارات على ألسنة الطيور والأزهار والحيوانات وأسرارالجمادات."[٥]

٧- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : ألف أحمد بن محمد الحنفي المعروف بـــ"ابن عرب شاه" (١٣٨٩- ١٤٥٠م) هذاالكتاب الشهير على نهج كليلة ودمنة.[٦]

٨- الأسد والغواص : لا يعرف مؤلفه "كتاب الأسد والغواص في الحكايات الموضوعة بلسان الحيوانات" وكتب السيد فؤاد عن موضوع هذا الكتاب: "وهو كتاب يشتمل على حكم وأمثال وحكايات عن الملوك

---

[١] - ضحى الإسلام لأحمد أمين ، (الطبعة السابعة ، سنة ١٩٣٥م) ، ج ١ ص ٢٢١

[٢] - ضحى الإسلام لأحمد أمين ، (الطبعة السابعة ، سنة ١٩٣٥م) ، ج ١ ص ٢٢١

[٣] - كشف الظنون لحاجي خليفة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ج ٢ ، ص ٦٢

[٤] - نفس المصدر ونفس المجلد ، ج ٢ ، ص ٦٤٢

[٥] - نفس المصدر ونفس المجلد ، ص ٦٤٢

[٦] - نفس المصدر ونفس المجلد ، ص ٢٩٦

والوزراء وأرباب الصنائع والحرف ووضعه مؤلفه على ألسنة الحيوانات ترويحا للنفوس ككتاب كليلة ودمنة."[١]

٩- سير الملوك : ألفه عمر بن داؤد بن سليمان الفارسي فكتب المؤلف في مقدمة هذا الكتاب:"فلما شرفني الملك العادل أبو الفتح محمود بن محمد بن عمر بن شهنشاه بن أيوب ورسم لي بتعريب كليلة المتضمن لما تنتظم المملكة التي هي مزرعة الآخرة ووسيلة الفرقة الناجية، مع الإشارات إلى رموزه الخفية والتنبيهات على كنوزه الحكمة."[٢] فهذا الكتاب ترجمة تلك الأبواب لكليلة ودمنة التي تتعلق بتدبير البلاد.

١٠- رسائل إخوان الصفا : يبدو أن كتاب كليلة و دمنة ترك آثارا وبصمات على رسائل "إخوان الصفا" لأن المناظرة والمحادثة حصلت في رسالة منها بين الإنسان والحيوان كمثل كتاب كليلة ودمنة حتى يظهر منها أن إسم "إخوان الصفا" وإسم الفصل الأول "الحمامة المطوقة" قد تم أخذهما منه أو استلهم أصحاب الرسائل منه وتأثروا به في تسميتها فكتب أحمد أمين بهذا الصدد : "وفي رسائل "إخوان الصفا" رسالة في المناظرة بين الحيوان والإنسان لا تخلوا من لون من كليلة ودمنة ، بل يظن "جولدزيهر" أن إسم "إخوان الصفا" مقتبس من كليلة ودمنة إذ ورد الإسم في أول الفصل "الحمامة المطوقة".[٣]

---

[١] – فهرست المخطوطات المصورة (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ج ١ ص ٤٢٢ ، وأيضا كشف الظنون لحاجي خليفة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ج ٢ ص ٤٧٩

[٢] – فهرست المخطوطات المصورة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ج ١ ، ص ٤٨٥،

[٣] – ضحى الإسلام لأحمد أمين ، (الطبعة السابعة ، سنة ١٩٣٥م) ، ج ١ ، ص ٢٢١

ومع هذا، تسرب عدد كبير من الحكايات والأمثال الهندية إلى اللغة العربية عن طريق كتاب كليلة ودمنة وأصبحت جزءا لا يتجزأ في اللغة العربية في عصورمتأخرة.

التراجم المنظومة لكتاب كليلة ودمنة : نظم عدد ملحوظ من الشعراء العرب كتاب كليلة ودمنة فنذكر بعضا منهم فيما يلي :

١- سهل بن نوبخت نظم كتاب كليلة ودمنة في شكل منظوم ليحيى بن خالد البرمكي.[١]

٢- إبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي قدم كتاب "كليلة ودمنة" في شكل منظوم[٢] فيبلغ عدد أبياته أربعة عشر ألف بيت ومطلعها :

هــذا كتاب أدب ومحنـــة وهو الذي يدعى كليلة ودمنة

فيـــه احتيالات وفيه رشد و هــو كتاب وضعته الهند.[٣]

٣- علي بن داؤد كاتب زبيدة بنت جعفرقدم كتاب "كليلة ودمنة" في شكل منظوم.[٤]

٤- بشر بن المعتمد قدم كتاب "كليلة ودمنة" في شكل منظوم.[٥]

٥- محمد بن صالح بن حمزة البغدادي المعروف بابن الهبارية (١١١٠م) نظم كتاب كليلة ودمنة في كتابه "نتائج الفطنة".[٦]

---

[١] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠١

[٢] - نفس المصدر ونفس الصفحة

[٣] - حضارة الإسلام في دار السلام لجميل نخلة المدور ، (الطبعة الثالثة ، سنة ٢٠٠٧م) ، ص ٢٢١ نقلا عن الأغاني للأصفهاني ٧٣:٢٠ ، وأيضا ماهنامه معارف، المجلد ١٠٣، العدد ٥، (شهر مايو ، سنة ١٩٦٩م) ، ص ٣٩٢

[٤] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠١

[٥] - نفس المصدر ونفس الصفحة

[٦] - ضحى الإسلام لأحمد أمين ، (الطبعة السابعة ، سنة ١٩٣٥م) ، ج١ ، ص ٢٢٠

كتب القصص الهندية الأصل – التي نقلت إلى العربية من السنسكريتية– هي :

١– كتاب البد : ذكره ابن النديم في بيان "أسماء كتب الهند في الأسمار والأحاديث".[١]

٢– كتاب يوباسف و بلوهر : تم نقل هذا الكتاب الهندي الأصل من اللغة الفارسية القديمة إلى العربية[٢] ويظن الباحث أن إسمه في اللغة الهندية قد يكون "بودهي ستوبر دهيتر" ، فهذا الكتاب يتناول الأحوال الشخصية لـــ"غوتم بده" في أسلوب ذي كناية وتمثيل وتلميح ونظمه إبان بن عبد الحميد مثل كليلة ودمنة. وكتب سيد سليمان الندوي عن شعبية وتأثير هذا الكتاب أنه من عدة كتب في العالم التي تأسر قلوب الناس الآثمين.[٣]

٣– كتاب سندباد : ألف سندباد هذا الكتاب للملك كورش فكتب المسعودي عن هذا الكتاب أن إسمه الأصلي "كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأة الملك" وترجمته شهيرة بإسم "سندباد" في اللغة العربية.[٤] ويبدو أن هذا الكتاب في جزأين وهما (١) كتاب سندباد الكبير (٢) كتاب سندباد الصغير، وهذا يظهر من النص الذي ورد في كتاب الفهرست فيقول ابن النديم:"وكتاب سندباد الحكيم نسختان كبيرة وصغيرة ، والخلف فيه أيضا مثل الخلف في كليلة ودمنة والغالب والأقرب إلى الحق أن يكون الهند صنفته."[٥] والسبب في الاختلاف الذي يوجد في هذا

---

[١] – الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠١

[٢] – نفس المصدر و نفس الصفحة

[٣] – ماهنامه معارف ، المجلد ١٠٣ ، العدد ٥ ، (شهر مايو ، سنة ١٩٦٩م) ، ص ٣٩٣

[٤] – مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـــ"المسعودي" ، (الطبعة الخامســـة ، ســـنة ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ص ٩٧

[٥] – كتاب الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠٠ ، وأيضا تاريخ التمدن الإسلامي لجرجـــي زيدان ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص١٧٩

الكتاب قد يكون بسبب الترجمة من اللغة الفارسية إلى اللغات الأخرى مثل كتاب "كليلة ودمنة" وكتب المسعودي عن هذا الكتاب:"وكان في مملكته وعصره سندباد دوّن له كتاب الوزراء السبعة و المعلم والغلام وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد."[١]

٤- كتاب مكرالنساء : كتب اليعقوبي أن الملك كوش ألف هذا الكتاب.[٢]

ومن الكتب القصصية التي ترجمت إلى العربية من السنسكريتية ولكن لا يعرف من الذين قاموا بتأليفها وعناوين هذه القصص كما يلي :

١- كتاب يوباسف مفرد ٢- كتاب أدب الهند والصين ٣- كتاب هابل في الحكمة ٤- كتاب الهند في قصة هبوط آدم عليه السلام ٥- كتاب طرق ٦- كتاب دبك الهندي في الرجل والمرأة ٧- كتاب حدود منطق الهند ٨- كتاب سايردم ٩- كتاب ملك الهند القتال والسباح[٣]

٢- كتاب شاناق في التدبير : ألفه العالم الهندي الكبير المعروف بـــ"شانكيا" (Chanakya) أو "كودليا" (Kautilya) (٣٥٠-٢٨٣ق م) الذي كان أستاذا في جامعة تكشاشيلا ويعتبر رائد العلوم الاقتصادية والسياسية ويعرف في الغرب بـــ"ميكافيلى (Machiavelli) الهند فكتب ابن النديم في هذا الكتاب قائلا:"كتاب شاناق الهندي في الآداب خمسة أبواب وكتاب شاناق الهندي في أمرتدبير الحرب وما ينبغي للملك أن يتخذ من الرجال وفي أمر الأساورة والطعام والسم."[٤] ويبدو من المواضيع

---

[١]- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـــ"المسعودي" ، (الطبعة الخامســة ، ســنة ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ص ٩٧

[٢] - تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعرو ف بـــ"اليعقوبي"، وقدم له وعلق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م) ، ج ١ ، ص ٧٩

[٣] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠١ ، وأيضا تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيــدان ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص ١٧٩

[٤] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠١

المذكورة للكتاب أن هذا الكتاب "أرتهشاستر" (Arthasastra) الذي يدور حول فن تدبير الملك ويتناول أحكام السلطة والسياسة الاقتصادية والعسكرية للحكومة ويحمل في طيه قصصا ذات دروس وعبر ولعل ذلك نقل وشنو شارما (Visnu Sharma) مؤلف كتاب "بنج تنتر" عبارات بين حين وآخر منه في كتابه وهذا الكتاب الفريد كان متداولا في الهند حتى القرن الثاني عشر.

٣- كتاب بيدبا في الحكمة.[١]

٤- كتاب ألف ليلة وليلة : هي مجموعة قصص شعبية متنوعة الأصل من الهندية والعربية والفارسية وبلغ عددها حوالى مائة قصة يتخللها شعر حسب مقتضى الحال. ولا يستطيع أحد أن ينكر بهذه الحقيقة أن بعض القصص في كتاب "ألف ليلة وليلة" هندى الأصل كما أشار أحمد أمين إلى هذا الجانب في كتابه "ضحى الإسلام" قائلا : " كما أن في كتاب ألف ليلة وليلة قصصا دل البحث العلمي على أن أصلها هندي".[٢] وهذا الكتاب يحظى بشعبية كبيرة حتى الآن ويعرف عند الغرب بإسم "Arabian Nights" أى الليالي العربية.

القصص القصيرة : تم نقل عدد كبير من القصص القصيرة الهندية إلى العربية وأصبحت جزءا للغة العربية فنجد ذكر تلك القصص في كتاب "عيون الأخبار" و"العقد الفريد" لابن عبد ربه وعلى سبيل المثال ورد في عيون الأخبار: "أهدي لملك الهند ثياب وحلي، فدعا بامرأتين له وخيّر أحظاهما عنده بين اللباس والحلية، وكان وزيره حاضراً، فنظرت المرأة إليه

[١] - نفس المصدر ونفس الصفحة وأيضا تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص ١٧٩

[٢] - ضحى الإسلام لأحمد أمين ، (الطبعة السابعة ، سنة١٩٣٥م) ، ج ١ ، ص ٢٤٨

كالمستشيرة له فغمزها باللباس تغضيناً بعينه، ولحظه الملك، فاختارت الحلية لئلا يفطن للغمزة، ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه لئلا تقرّ تلك في نفس الملك وليظنّ أنه عادة أو خلقة، وصار اللباس للأخرى فلما حضرت الملك الوفاة قال لولده: توصّ بالوزير خيراً فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة".[١]

وجاءت قصة قصيرة في موضع آخر لنفس الكتاب تحت العنوان "الناسك وجزة العسل":"وفي كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن في جرة، ففكريوما فقال: أبيع الجرة بعشرة دراهم ، وأشتري خمسة أعنبر فأويدهن في كل سنتن مرتين، ويبلغ النتاخأفي سنين مائتين، وأبتاع بكل أربع في، وأصيب بذرا فأزرع، وينمي المال في يدي، فآتخذ المساكن والعبيد والأماء والأهل ويولد لي ابن فاسميه كذا وآخذه بالأدب، فإن هوعصاني ضربت بعصاي رأسه، وكانت في يده عصا فرفعهم حاكيا للفرب، فأصاب الجرة فانكسرت، وانصب العسل والسمن على رأسه."[٢]

الأمثال والحكم : نقلت الأمثال والحكم من اللغة الهندية إلى العربية وأصبحت جزءًا لا ينفك في اللغة العربية فألقى أحمد أمين الضوء على مستوى تأثر العرب بها وقال : "أما النوع الذي أخذوا منه (كذا) عن الهنود كثيرا فهو الحكم ، وهو نوع يتفق والذوق العربي ، فهو أشبه شيئ بالأمثال العربية ، والجمل القصيرة ذوات المعاني الغزيرة التي أولع بها العرب. وهي نتيجة تجارب كثيرة، تركز في جملة بليغة. ..... وقد اشتهر الهند بهذا ، وسئمت كتب الأدب المؤلفة في هذا العصر بهذا النوع."[٣]

---

[١] – عيون الأخبار لابن قتيبة ، (الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م) ، ج ١ ، ص ١٤

[٢] – نفس المصدر ونفس المجلد ، ص ١٧٦

[٣] – ضحى الإسلام لأحمد أمين ، (الطبعة السابعة ، سنة ١٩٣٥م) ، ج ١ ، ص ٢٤٩

المواعظ : تمت ترجمة كتاب "منتحل الجواهر" لشاناق من اللغة السنسكريتية إلى العربية في هذا الفن فكتب المؤرخون أن شاناق كتب هذا الكتاب للملك ابن قمانص في زمنه ونجد اقتباسا طويلا من هذا الكتاب في كتاب "سراج الملوك" لمحمد بن الوليد الطرطوشي وكتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة (ت ٥٥٨ء) ومن هذا الكتاب الاقتباس التالي الذي ذكره محمد بن الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٠م) في كتابه "سراج الملوك":"يا أيها الوالي اتق عثرات الزمان واخش تسلط الإمام ولوعة غلبة الدهر اعلم أن الأعمال جزاء فاتق عوائق الدهر والأيام فإن لها غدرات فكن منها على حذر والأقدار مغيبات فاستعد لها والزمان منقلب فاحذر دولته لئيم الكرة فخف سطوته سرع الغرة فلا تأمن دولته واعلم أن من لم يداو نفسه من سقام الآثام في أيام حياته فما أبعده من الشفاء في دار لا دواء لها ومن أذل حواسه واستبعدها فيما تقدم من خير لنفسه أبان فضله وأظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس فإذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرته وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في أقاصي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط ."[١]

التوهم : كان الهنود يعتقدون بالسحر والتوهم منذ قديم الزمان ويفوقون أهل عصرهم في هذا المجال والكتب الهندية التي تمت ترجمتها في هذا المجال عديدة ولكن لا نجد إلا ذكر كتاب واحد وهو كما يلي :

[١] – سراج الملوك لمحمد بن الوليد الطرطوشي ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٥١

١- كتاب للمؤلف الهندي سسه : يتبع الهنود طريقه في السحر والتوهم في جميع البلاد.[١]

الفال والزجر : نقل العرب كتابين من اللغة السنسكريتية في هذ ا المجال وهما :

١- كتاب زجر الهند[٢]

٢- كتاب خطوط الكف والنظر في الهند[٣]

السياسات والحرب : نقل ثلاثة كتب في هذا الفن من اللغة السنسكريتية إلى العربية وهي :

١- كتاب شاناق في تدبيرالحرب وانتقاء الجنود وتربيتهم وفي الأطعمة والسموم فكتب ابن النديم عن هذا الكتاب:"كتاب شاناق الهندي في أمر تدبيرالحرب وما ينبغي للملك أن يتخذ من الرجال وفي أمرالأساورة ، والطعام والسم."[٤]

٢- كتاب في معرفة السيوف وخصائصها للمؤلف "باجهر" الهندي[٥]

٣- مها بهارت : ترجمه أولا أبوصالح بن شعيب من السنسكريتية إلى العربية ثم نقله أبوالحسن علي جيلي إلى العربية في سنة ٤١٧ هـــ.[٦]

الشطرنج : كان الشطرنج من الألعاب التي اخترعها الهنود فأخذه العرب منهم[١] وكلمة الشطرنج تدل على هذا من نفسها لأنها كلمة سنسكرتية

---

[١] – الفهرست لابن النديم ،(سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٠٨

[٢] – نفس المصدر ، ص ٣١٠

[٣] – نفس المصدر و نفس الصفحة

[٤] – الفهرست لابن النديم ،(سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣١١

[٥] – الفهرست لابن النديم ،(سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣١١

[٦] – عرب وهند كى تعلقات للشيخ سليمان الندوي ، (سنة ١٩٩٢م) ، ص ١٥٩

الأصل وهي في الأصل "شتورنك"[٢] وأصبحت الشطرنج بعد أن أصبغها العرب صبغة عربية فيفيدنا جرجي زيدان في الشطرنج قائلا:"والصواب أنها لعبة هندية قديسة. كانت تسمى في اللغة السنسكريتية "شتورنكا" أي الأجزاء الأربعة التي يتألف منها الجند عندهم ... وهي الأفراس، والأفيال، والمركبات والمشاة فأخذهم الفرس عنهم نحو القرن السادس للميلاد ثم أخذها العرب عن الفرس فحسبوها فارسية و تكلفوا في تعليلها."[٣] واستفاد العرب من الهنود كثيرا في هذا المجال فكتب القاضي ابن صاعد الأندلسي:"ومما وصل إلينا نتائج فكرهم الصحيحة ومولدات عقولهم السليمة وغرائب صنائعهم الفاضلة الشطرنج."[٤]

وصل هذا الفن إلى العرب من خلال الفرس في العصر العباسي وطوروه كثيرا حتى أصبح الشطرنج شهيرا للغاية في العرب وصارت هويتهم في أوقات الفراغ وأخذ الشعراء العرب يستخدمون هذه الكلمة في شعرهم وقد أشار بعض الباحثين العرب إلى هذا الحقيقة قائلين:"وصف لعبة الشطرنج بأنها لعبة قديمة وهي تشحذ اللب وتدرب الإنسان على التفكير وقد مارس كبار رجال الدولة العباسية هذه الهواية التي كانت شائعة بين البغداديين ويمارسها العامة ويتكسبون بها."[٥]

---

[١] – تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعرو ف بـــ"اليعقوبي"، وقدم له وعلق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م) ، ج١ ، ص ٧٦ ، وأيضا مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بـــن الحســـين المعـــروف بـــ"المسعودي" ، (الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ص ٩٦

[٢] – هندي شبد كوش للدكتور هرديو باهري ، (سنة ٢٠٠٠م) ، ص ٢٤٥

[٣] – اللغة العربية كائن حي لجرجي زيدان ، (الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٨م) ، ص ٢٣

[٤] – طبقات الأمم للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي ، تحقيق : الأب لويس شيخو اليســـوعي ، (سنة ١٩١٢م) ، ص ١٤

[٥] – المدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ألفه الدكتور شحادة الناطور ، والدكتور أحمد عودات ، والدكتور جميل بيضون ، (لطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٩م) ، ص ٩٢

ومن المؤلفين الذين ألفوا كتبا في هذا الفن :

١- العدلي : كتاب الشطرنج وهذا الكتاب أول كتاب ألف بالعربية حول هذا الموضوع.[١]

٢- الرازي : له كتاب في شطرنج[٢]

٣- أبو العباس أحمد بن محمد السرخسي المتوفى سنة ٢٨٦ الهجرية : كتاب الشطرنج [٣]

٤- أبوبكرمحمد بن يحيى الصولي : كتاب الشطرنج النسخة الأولى ، وكتاب الشطرنج النسخة الثانية.[٤]

٥- أبوالفرج محمد بن عبيد الله اللجاح "منصوبات الشطرنج".[٥]

٦- أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن الإقليدسي : مجموع في منصوبات الشطرنج[٦] .

النرد : كان النرد من الألعاب التي أخذها العرب من الهنود وتأثروا بهم في هذا المجال[٧] ولما ظهرالإسلام منعهم عنه بسبب تأثيراته السلبية. ولكن يبدو أن هذا اللعب توصل إلى العرب من خلال الفرس ولذلك عده بعض الباحثين من الألعاب الفارسية فحظى هذا اللعب بشعبية كبيرة في العصرالعباسي بين العرب سواء أ كانوا من العوام أوالخواص وقد ورد في

---

[١] – الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ١٥٨ وأيضا مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـ"المسعودي" ، (الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م) ، ج ١، ص ٩٧

[٢] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ١٥٨

[٣] – كشف الظنون لحاجي خليفة ،(سنة الطبع غيرمذكورة) ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، وأيضا مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـ"المسعودي" ، (الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ص ٤٨

[٤] – الفهرست لابن النديم ،(سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ١٥٨ و ص ١٥٣، وأيضا مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـ"المسعودي" ، (الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ص ٩٧

[٥] – الفهرست لابن النديم ،(سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ١٥٨

[٦] – نفس المصدر ونفس الصفحة

[٧] – مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـ"المسعودي" ، (الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م) ، ج١ ، ص ٩٥

كتاب "المدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية":"ومن الألعاب الشائعة كان النرد فكان من ملاهي العامة والخاصة يقضون بها فراغهم ويعيشون بها ويلهون ، حتى أن السجناء كانوا يلعبونها داخل سجونهم على الرغم من اعتبار اللعبة ذات نتيجة سليمة في شحذ الذهن لأنها تجعل المكاسب لا تنال بالكياسة والحيل."[١]

الموسيقى : الموسيقى قديمة قدم الإنسان عرفها المصريون وبلغوا بها شأوا و عني بها اليونانيون والهنود والفرس أيضا ولما تعرف العرب على هذه الصناعة استفاد المسلمون من الهنود في هذا المجال أيضا ونقلوا كتبهم في الموسيقى إلى العربية وقد كتب جرجي زيدان في هذا الشأن:"وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم كتب ترجم المسلمون بعضها إلى العربية."[٢] ومما نقله العرب عن الهنود في هذا المجال هو كتاب في الموسيقى وكان إسمه في اللغة الهندية "نيافر" ومعناه ثمار الحكمة ، وفيه أصول الألحان وجوامع تأليف النغم.[٣]

وكذلك ترجموا كتبا كثيرة من الأمم الأخرى في الموسيقى إلى العربية وتوسعوا فيها دراسة وبحثا واستنبطوا ألحانا جديدة لم يعرفها القدماء وكذلك حشدوا الآلات الغنائية للأمم واختاروا منها ما يليق ويناسب أذواقهم وقاموا بإصلاح الآلات القديمة والآلات الغنائية الجديدة لا عهد لهم بها حتى فاقوا أساتذتهم اليونانيين فألف الكندي والفارابي وابن سينا كتبهم في هذا المجال وأصبحت تلك الكتب مرجعا للموسيقيين حتى القرن السابع عشر.

---

[١] – المدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ألفه الدكتور شحادة الناطور ، والدكتور أحمد عودات ، والدكتور جميل بيضون، (سنة ١٩٨٩م) ، ص ٩٢

[٢] – تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص ١٥٢

[٣] – عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعي ، (الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٢٨م) ، ج ١ ، ص ٣٩٢

الفلسفة : الفلسفة هي حب الحكمة وأسمى صور المعرفة فقال الله تعالى في القرآن "من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا".[١]

استفاد العرب في هذا العلم من الهنود مع اليونانيين والفرس لأن الهنود كانوا من الأمم الذين ألفوا كتبا كثيرة في المنطق والفلسفة كما يتجلى من المعلومات التي وفرت في تاريخ اليعقوبي عن هذا الموضوع ويكتب اليعقوبي في هذا الصدد : "ولهم في المنطق والفلسفة كتب كثيرة في أصول العلم منها: كتاب طوفا في علم حدود المنطق."[٢] ومن الكتب المنقولة إلى العربية في الفلسفة "هي ما تفاوت فيه فلاسفة الهند والروم"[٣]، و"باتنجلي"، و"برهستا ميتا" وترجمة سامكه (Samkhya Sutras)[٤] فحصل العرب على شئ من حكمة الهنود وآرائهم في المنطق وما وراء الطبيعة من خلال كتب الفلسفة والمنطق التي ترجمت من اللغة الهندية إلى العربية فتأثر العرب بآراء الفلاسفة الهنود وقد أشارالإمام عبد القاهرالبغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق" إلى أن الفلسفة الهندية تركت آثارها بصورة واضحة في مصر ويقال إن أفلاطون الذي كان منشئ الفلسفة الأفلاطونية، تأثر بالفلسفة الهندية القديمة وكذلك تأثر كل من "ماني" و"مزدك" بالأفكارالهندية وبنى تعاليمه على تعليم البوذية والمسيحية ويوجد لهما أتباعا في مناطق آسيا الغربية[٥] وأضافوا إليها إضافة هامة وجعلوا فلسفة خاصة بهم تناسب ذوقهم وتلائم دينهم ومجتمعهم وهي الفلسفة الإسلامية.

---

[١]- سورة البقرة ، الآية ٢٦٩

[٢] - تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعرو ف بـــ"اليعقوبي"، وقدم له وعلق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م) ، ج ١ ، ص ٨٠

[٣] - نفس المصدر ونفس المجلد ، ص ٨٠

[٤] - في تحقيق ما للهند لأبي الريحان لبيروني ، (سنة ١٩٥٦م / ١٣٧٧هـــ) ، ص ٥- ٦

[٥] - الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر البغدادي ، تحقيق ودراسة لمحمد عثمان الخشت ، (سنة الطبع غيرمـــذكورة) ، ص ٢٣٥-٢٣٦، وأيضا الدعوة الإسلامية و تطورها في شبه القارة الهندية للشيخ محي الدين الألوائي ، (الطبعـــة الأولى ١٩٨٦م) ، ص ٤٦ ، نقلا عن تاريخ الطبري ج ١ ص ١١٨

الأواصر الثقافية بين الهند ومصر في العصر الراهن دراسة واستعراض

الدكتور مشير حسين الصديقي*

تربط بين الهند وبلاد العرب أواصر وثيقة منذ قديم الزمان، ويرجع تاريخها إلى فترة ما قبل طلوع شمس الإسلام، وازدادت هذه الروابط قوة ومتانة على مر العصور دون أن تتأثر بما طرأت من التغيرات وبما وقعت من الوقائع والحوادث في مختلف مراحل الحقبة التاريخية الطويلة.

وحظي تاريخ تطور العلاقات بين الهند والعرب باهتمام ملحوظ من علماء التاريخ الهنود، ومن أبرزهم العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله، فألقى محاضرات عديدة باللغة الأردية حول هذا الموضوع جمعت لاحقا في كتاب نشر تحت عنوان "صلة الهند بالعرب" سنة ١٩٢٩م، يقول الكاتب الهندي الشهير الأستاذ السيد صباح الدين عبد الرحمن : "لقد كان السيد سليمان الندوي رحمه الله يتحدث عن هذا الكتاب إلى تلاميذه في حلقات دروسه فيقول[١]: "إن الكتاب يضم بين دفتيه حصيلة عمل أكاديمي وتحقيق علمي استغرق ٢٤ عاما"، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن

* قسم اللغة العربية جامعة لكناؤ/الهند

[١] مولانا سيد سليمان ندوي كي تصانيف،ايك مطالعه لصباح الدين عبد الرحمن

صاحب الكتاب لم يدخر أي جهد في جمع الأخبار الصحيحة وإجراء البحوث والتحقيق لإعداد المحاضرات حول مختلف محاور الموضوع، فأوفى حقه.

وذكر العلامة الندوي في هذه المحاضرات بصورة مسهبة أن تاريخ صلة الهند بالعرب يرجع إلى ما قبل الإسلام بقرون، فقد كان التجار العرب يجلبون إلى الهند السلع والبضائع من شتى البلدان ثم يصدرونها منها إلى البلدان الأخرى، وواصلوا أسفارهم إلى الهند بعد اهتدائهم إلى الإسلام أيضا، فأضافوا روابط علمية وثقافية جديدة إلي العلاقة التجارية، يحتوي هذا الكتاب الشيق على معرفة تاريخية قيمة حول تطور العلاقات بين الهند والعرب لا يمكن للباحثين والدارسين في هذا المجال الاستغناء عنها، فهو خزينة علمية وسجل تاريخي يغطي قرونا من الزمن.

حدثت طوال فترة أربعة وثمانين عاما ماضيا، وبالتحديد منذ عام ١٩٢٩م إلى وقتنا الحاضرتطورات جديرة بالاهتمام في كل من الهند والعالم العربي على كافة الأصعدة، ورغم كل هذه التغيرات والتطورات ازدادت الأواصر الثقافية والحضارية بين الهند ومصر قوة، وسأسعى في هذا المقال بتسليط الضوء، بصورة خاصة، على هذا الجانب بالتحديد.

توطدت الأواصر بين الهند ومصر في العصر الحاضر بحكم الأهداف المشتركة لحركتي التحرير التي تزعمها سعد زغلول باشا (١٩٥٩-١٩٢٧م) في مصر وقادها المهاتما غاندي في الهند.

يعتبر سعد زغلول أحد كبار رموز حركة النضال في مصر، تلقى تعليمه في الجامع الأزهر، وشارك مشاركة فعالة في النشاطات السياسية عام ١٨٨٠م، فقبض عليه وسجن ، و بعد ما أطلق سراحه بدأ يزاول مهنة

المحاماة، وزاد من وتيرة مشاركته في النشاطات السياسية كزعيم وطني، وقادالوفد المنوط به إلى مؤتمر باريس للسلام عام١٩٩٩المناقشة القضية المصرية، وطالبت بريطانيا سعد زغلول باشا بالكف عن إقامة الاحتجاج السياسي، وعندما رفض الخضوع لهذه المطالبة نفي إلى مالطا ثم إلى سيلون، فسبب ذلك في وقوع قلق سياسي هائل في مصر أدى في نهاية المطاف إلى اندلاع الثورة المصرية عام ١٩١٩م التي توجت باستقلال البلاد، فأجريت الانتخابات عام ١٩٢٤م، وفاز حزب البعث الذي قاده سعد زغلول باشا بالأغلبية الساحقة، وقام بتشكيل حكومة حزب البعث، وتولى مهام رئاسة مجلس الوزراء ، ولقبه الشعب بـــ"زعيم الأمة" تقديرا لخدماته نحو الوطن.

أما الزعيم الشهير المهاتما غاندي فقام بنشاطات سياسية فعالة إثر عودته إلى الهند من جنوب أفريقيا عام 1914م، وأيد حركة الخلافة وفكرة نبذ الولاء للإنجليز ، وجمع المسلمين والهندوس تحت مظلة سياسية واحدة، فذاع صيته في الأقطار الإسلامية قاطبة، حتى لم تبق جريدة عربية ولا صحيفة تركية إلا وأشادت بجهوده واهتمت بنشر أفكاره وآرائه، وكان للشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة "المنار" في مصر ولـــخالدة أديب خانم الكاتبة الشهيرة في تركيا دور هام في التعريف بآراء غاندي وأفكاره في أوساط قراء الصحف ولاسيما في العالم العربي، وبالتالي اعتقدت شريحة من العرب ممن تابعوا الجرائد والصحف أن الشيخ محمد رشيد رضا كان واسع الاطلاع على أوضاع الهند وأخبارها، واعتبروا المهاتما غاندي قائدا عاما لحركة التحرير في القارة الآسيوية، وبهذه المناسبة جدير بالذكر أن الشيخ محمد رشيد رضا تولى نقل أحد كتب غاندي بعنوان

"الانضباط النفسي" إلى اللغة العربية، وكتب في أحد هوامش الكتاب[١]: "ومن مناقب غاندي التي تزيده عظمة أنه لم يكن يرى الدين منفصلا عن السياسة رغم تمسكه بدينه بالإخلاص وصدق النية، بينما تشعر الطبقة المثقفة بالثقافة العالية بالخجل من الانتماء إلى دينها فضلا عن اتباع أحكامه والاستقامة عليه بإخلاص وإحسان".

قام الشيخ محمد رشيد رضا المصري بزيارة للهند، وكان يحابي آراء غاندي ويساند أفكاره، فاجتمع الشيخ رشيد رضا بمهاتما غاندي، كما التقى بغيره من الزعماء والقادة السياسيين في الهند.

لم تتسن للمهاتما غاندي زيارة البلدان الإسلامية، لكن شخصيته حظيت بإعجاب واسع فيها ، ويمكننا تقدير مدى شعبيته وقبوله لدى الجماهير العرب بحجم مشاعر الحب والإعجاب التي عبروا عنها عند مروره ببعض الأقطار الإسلامية عام ١٩٣٠م في طريقه إلي لندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة، يقول الوزير السابق للشؤون الداخلية للهند والبيروقراطي المعروف راج غوبال أتشاريه عن هذه الرحلة[٢]: "... لما وصلت السفينة التي كان يسافر غاندي على متنها من بومباي (ممبائي) إلى عدن بعد قطع المسافة الطويلة استقبله العرب والهنود المقيمون فيها بحفاوة بالغة وهم يرفرفون العلم الهندي، وعقدوا حفل ترحيب في مرفأ عدن، وقدموا إليه كلمة الشكر"، فرد على ذلك غاندي قائلا[٣]: "يشارك الهنود أيضا في النضال من أجل الاستقلال والحرية مع العرب والأمم الأخرى، فيجب

---

[١] الانضباط النفسي

[٢] ثقافة الهند ص١٧١ عدد٢/٤١

[٣] ثقافة الهند ص١٧١ عدد٢/٤١

علي جميع من يرجون السلام أن يوحدوا كلمتهم ويتعاونوا ويتكاتفوا فيما بينهم".

وبهذه المناسبة ألقى المهاتما غاندي كلمة مسهبة نشرت لاحقا في كتاب، ولما اقتربت السفينة من السويس بدأت ترد إليه الرسائل من مئات من القادة العرب، واهتمت بها الصحافة العربية اهتماما بالغا، فخصصت مساحة لائقة بنشرها، ومن هذه الرسائل ما كتبته صفية زغلول، وهي ابنة الشخصية السياسية المصرية سعد زغلول باشا[١]: "بهذه المناسبة السعيدة التي يمر فيها كبير قادة الهند السياسيين بمياه مصر والمرفأ المصري إني أقدم إليه تحياتي القلبية وأدعو الله لفوز الهند بالغاية التي تسمو إليها".

وأرسل إليه مصطفى النحاس باشا، رئيس حزب البعث الذي كان أكبر حزب وطني في مصر آنذاك، ما يلي[٢]: "نيابة عن مصر التي تناضل مثلكم لأجل الاستقلال والحرية إنني أستقبلكم كأكبر قائد للهند التي تصرف جهودها المضنية لنيل الحرية والاستقلال، إنني أدعو الله أن تختتم رحلتك هذه براحة وسلامة، وأن تعود إلى وطنك بصحة وعافية، وأن يقدر الله لك النجاح والفوز الذي يليق بمكانتك وشأنك وعلو مرتبتك، وإنني أرجو أن أهل مصر سوف يتشرفون بزيارتك لدى رجوعك إلى الوطن، وإنك سوف تشرف أرض الفراعنة هذه بقدميك، وسيكون من هذا ما يفتخر به ويعتز به ليس حزب البعث وحده بل القوم المصري بأجمعه، ومهما كانت نتائج رحلتك إننا لننظر إلى أعمالك المجيدة وتضحياتك للوطن العزيز وما قمت به من أعمال جليلة لإسعاد الإنسانية بإعجاب وتقدير بالغين، كما أننا ننظر

---

[١] ثقافة الهند ص١٧٢ عدد٢/٤١

[٢] ثقافة الهند ص١٧٢ عدد٢/٤١

إليك باحترام وغبطة لما فعلت وقدمت من تضحيات واتبعت طريق الزهاد حفاظا على مبادئك ودينك وإعلاء لكلمة الصدق والحق والعدالة، عافاك الله وحفظ من جميع البلايا والفتن ويمنحك الفوز والغلبة المستديمة ولا يضيع جهودك، وسوف يحضر المندوبون لاستقبالك على السويس وبور سعيد نيابة عنا وعن أهل مصر أجمعين".

فوعد غاندي استجابة لهذه الرسالة والدعوة بزيارة مصر والإقامة بها لبعض الوقت، وتوجد تفاصيل ذلك في الصحف والمجلات المصرية، ولما فشل مؤتمر المائدة المستديرة رغم آمال الإنجليز في نجاحه خاف الإنجليز من أنه إذا أقام غاندي في مصر واشترك في الاجتماعات الشعبية والمواكب الجماهيرية فإنه سيضر بمصالح بريطانيا وستكون لذلك تبعات شديدة في مصر وفي البلدان العربية الأخرى ، كما أنه سيعرّض بذلك الممتلكات البريطانية للخطر، فلم يسمحوا له بالنزول على بورسعيد، ولم يرضوا بإقامته في مصر رغم كافة الجهود والطلبات في هذا الشأن، فأسف عليه غاندي والزعماء المصريون كثيرا، ولم تر تلك الاستعدادت والتحضيرات التي جرت لاستقباله من قبل المثقفين والأدباء والشعراء والصحفيين العرب النور بسبب منع بريطانيا نزول غاندي على أرض مصر، وبقيت كافة الكلمات وقصائد الشعراء وأراجيزهم حبرا على الورق بسبب مؤامرة الإنكليز، وبهذه المناسبة المنتظرة قرض كبير شعراء مصر ومفكريهم أحمد شوقي قصيدة ترحيبا بغاندي تشتمل على ٣٩ بيتا وتعتبر من أروع ما كتب الشعراء في قصائدهم عن غاندي شكلا ومضمونا، وكفى بأمير الشعراء شوقي فضلا ما كتب عنه الكاتب والمؤرخ الإسلامي شكيب أرسلان[١]: "أنه

[١] ثقافة الهند ص١٧٣ عدد٢/٤١

لو كان نزول القرآن في هذا الزمان لكان أقرب إلي أسلوب شوقي"، وفيما يلي بعض الأبيات من القصيدة في استقبال غاندي وترحيبه[١]:

بني مصر، ارفعوا الغار وحيـــوا بطـــل الهند
وأدوا واجبـــا، واقضوا حقوق العلـــم الفـــرد
أخوكـــم في المقاســـاة وعرك الموقف النكد
وفي التضحية الكبـــرى وفي المطلب، والجهد
وفي الجرح، وفي الدمع وفي النفي من المهد

والقصيدة التي قالها أمير الشعراء أحمد شوقي ترحيبا بالمهاتما غاندي لا تزال عالقة بذاكرة المصريين، وقد كانت الجهود الرامية لنيل الاستقلال والحرية من الاستعمار البريطاني الغاشم همزة وصل ونقطة للاتصال والتواصل بين الهند ومصر، واختار البلدان طريقا مماثلا لمستقبل بلادهم بعد ما توجت جهودهما بالنجاح، فأعلن غاندي وأتباعه تأسيس حكومة علمانية كما فعل نظيره جمال عبد الناصر في مصر سائرين على جادة اللاعنف والثورة البيضاء.

ثم أقام البلدان العلاقات الدبلوماسية بينهما سنة ١٩٤٨م، وهذ العمل من التعاون الفكري والعملي بين البلدين لم تزل تتقدم إلى الأمام ، وشاركت الهند ومصر برعاية رئيس الوزراء جواهر لال نهرو و قيادة الرئيس جمال عبد الناصر في تأسيس حركة عدم الانحياز، وساند نهرو مصر في حرب ١٩٥٦م مما أثار الأعداء وهددوا بطرد الهند من رابطة دول الكومنويلث، ووقفت الهند أيضا بجانب مصر والبلدان العربية في الحرب التي نشبت بين مصر وإسرائيل سنة ١٩٦٧م، وطالبت بعودة الأراضي المحتلة، وأبدى

[١] ثقافة الهند ص١٧٣ عدد٢/٤١

نهرو إعجابه برحلة أنور السادات إلى القدس ووصفها بمبادرة جريئة، كما اعتبر هدنة الصلح بين مصر وإسرائيل مبادرة طيبة وخطوة مبكرة نحو السلام.

"[١]اهتم البَلَدَان اهتماماً كبيراً بتنمية العلاقات وتقوية الروابط في المجال الثقافى والأكاديمي وتعزيزها، حيث بدأت مركز الأبحاث والجامعات تنظم عدة ندوات فكرية وثقافية بين مفكري ومثقفي البلدين والحرص علي المشاركة المستمرة في المهرجانات الثقافية والفنية بالبلدين(أسابيع أفلام،مهرجانات سينما،المسرح التجريبي،الفن التشكيلي الرقص والموسيقي)كما أن هناك فرص لتنويع مجالات التعاون الثقافي مثل الترميم وصيانة الآثار وإقامة معارض للآثار المصرية في الهند، و حظي هذا المركز بصيت رفيع في الدوائر الثقافية والفكرية في مصر منذ نشأته، فإنه يضم مكتبة ثرية، بها ما يزيد على ٥٠٠٠ مجلد يستفيد بها المترددون على المكتبة من مصريين وهنود علي واسع النطاق، كما ينظم المركز دورات لتعليم اليوجا وعروضا سينمائية، ودورات لتعليم اللغة الهندية والأردية وفنون المطبخ الهندي، ويعد المركزالثقافي زاوية لتنفيذ برامج التبادل الثقافي بين البلدين الذي يعود إطلاقه إلي عام ١٩٥٨ ولايزال ساريا حتى اليوم.

كما أقيم معرض في القاهرة في شهر أغسطس سنة ٢٠٠٨م بهدف الاحتفال بذكرى يوم الاستقلال ومرور ستين عاما على إقامة العلاقة الدبلوماسية بين الهند ومصر، فتمحورت فكرة المعرض حول الرجوع بالذاكرة إلى مسيرة تطور العلاقات الهندية المصرية وحكايتها من خلال الصور.

---

[١] www.sis.gov.eg/ar

وفي إطار التبادل الثقافي بين البلدين، زار القاهرة وفد مؤلف من ثلاثة أعضاء من هيئة الآثار الهندية تلبية لدعوة من وزارة الثقافة المصرية في أكتوبر ونوفمبر سنة ٢٠٠٨م، وقام بدراسة لتاريخ العهد المبكر لمصر لتجديد "قصرالبارون" وإعادة مجدها الغابر إليها، ومن جهة أخرى أقيمت في فبراير ٢٠٠٩م فعاليات مهرجان "سورج كند" الثقافي في ضواحي العاصمة الهندية فشاركت فيها مصر.

يقول الدكتور بطرس غالي: [١] "الروابط الخاصة التي تربط بين مصروالهند لم تكن ممثلة فقط في علاقة زعماء قادوا حركات التحرر الوطنية في العالم النامي ومهدوا للشعوب طريق الاستقلال والسيادة الوطنية وإنما هي روابط تجد جذورها في أعماق الشعبين المصري والهندي فنجد مثلا أن الأفلام والموسيقى والفن الهندي يتمتع بشعبية جارفة في مصر تكاد تنافس مثيلتها المحلية وكذلك يلقي الفن المصري على اختلافه إعجابا وتقديرا خاصا لدى الشعب الهندي وهو ما يعكس التقارب الفكري والتعاطف والتفاهم بين الشعبين العريقين" .

تقول الأديبة المصرية المعاصرة (إقبال بركة) وهي تعبر عن انطباعاتها حول الهند[٢]: "إن الهند قارة لها تاريخ غارق في أعماق التاريخ الإنساني ضارب في قدم الحضارة الإنسانية، إن خصائصها ومميزاتها تستوقف كل أحد وتؤثر عليه، ولم تزل تثمر وتفيد، إنها تتأثر بالقيم الحضارية للآخرين بدون أن تتخلى عن ميزاتها، والهند عندي عبارة عن بوذا والهنود وطاغور وتاج محل وغاندي ونهرو وأنديرا غاندي واميتاب

[١] صوت الشرق العدد٤٢٣ مايو-يولية٢٠٠١

[٢] صوت الشرق،ص ٤عدد مايو،يونيو٢٠٠٠

باتشن، كما أراها أعلى وأرفع وأكثر ثروة من ذلك كله، إنها أروع مكان للتجربة في عيني وعيون الآخرين الذين قضوافيها أياما من حياتهم، فتأثروا بوجهات أنظارها حتى تغير مسار حياتهم، وجعلوا يتعمقون في مبادلة الحب والوئام بين رجل وآخر، وكيف لايكون ذلك وقد تأثرت المسيحية الإسكندرية بالفلسفة البوذية، كما تجدون مسحتها على الفلسفة اليونانية، ثم إننا نشاهد آثارها في الشطرنج والقصص والروايات وعلم النجوم والفلكيات والرياضيات، فإنني كلما درست ألف ليلة وليلة تمثلت لي الحياة الاجتماعية في الهند من أحقاب ضاربة في القدم، ولم تقتصر آثار الثقافة الإسلامية في الهند على قصص ألف ليلة وليلة، بل هناك سلسلة طويلة للتأثير والتأثر، مما يحتاج الحديث عنه إلى الباحثين الذين لاتسع بحوثهم إلا مجلدات ضخام".

ومما لايختلف فيه اثنان أن هاتين الثقافتين لم تزل كل منهما تثمر وتؤتي أكلها حتى الآن، والهند بلاد امتزجت فيها الوقائع والحقائق والأساطير والروايات والكرامات والإرهاصات بحياة أهلها، فأصبحوا يقاسمون أصدقاءهم الحكمة والفلسفة والرقة الشعرية وروعتهاالتي توارثوها عن أسلافهم.

فإن العلاقات بين الهند ومصر قائمة على أساس متين من الإخلاص والمودة علي مستوى الحكومة والشعب، لذلك فإنها لا تزال تتقوى وترتقي مع مرور الأيام بدون أن تتأثر بالعواصف التي تهب في كلا البلدين حينا لآخر.

***

مساهمات المنظمات والمعاهد في انتشار اللغة العربية في كيرلا

حسينة -بي*

الإسلام وانتشار اللغة العربية في كيرلا

فقد انتشر الإسلام سريعا وباكرا في البلاد المليبارية بصلة التجار العرب مع كيرلا والعلاقة الوثيقة بينهم منذ أقدم العصور. القصة المشهورة عن مجيء مالك بن دينار وأصحابه وعن إسلام شيرمان برمال وسعة أيد حكام كيرلا خاصة ساموتري كاليكوت لتسهيل العرب في سكنهم وبنائهم المساجد في مختلف الأماكن في كيرلا شائعة بين أهل كيرلا وأهل الهند. وبعد ذلك استوطن كثير من الأسر العربية المسلمة في مليبار ولا تزال بقايا هذه الأسرة حتى الآن في كيرلا منها الأسرة البافقيهية بكويلاندي والأسرة المخدومة بفنان. وبنتيجة وجود هؤلاء العرب المستوطنين في كيرلا واختلاطهم بالسكان المحليين انتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا في أنحاء كيرلا وتغلغلت في حياة أهلها الثقافية والاجتماعية. وقد أدّى الاحتكاك بين العرب والهنود إلى تسرب اللغة العربية إلى اللغة المحلية وتدخّلت كثير من مفردات اللغة العربية وأسماء الأشياء إلى لغة الناس. ثمّ ولدت اللغة العربية

* قسم اللغة العربية – جامعة كاليكوت

الملیالمیة (Arabi malayalam) وأصبحت هذه اللغة لغة محلية للمسلمين في مليبار .

كان رجال الدين من المسلمين يسافرون إلى الأمصار الإسلامية في طلب العلم وبرز كثير من العلماء في المدن المشهورة في كيرلا أمثال كاسركود (Kasargod)، وكننور، ودرمافتن[1]، وجومبال[2]، والفندرين[3]، وكاليكوت وكدنغلور (Kodunghalloor) وغيرها ومنها أصبحت كاليكوت وفنان مركز العلم والثقافة الإسلامية في كيرلا. ومن أبرز علماء المسلمين في مليبار الشيخ المخدوم الكبير أبو يحيى زين الدين وولده الشيخ المخدوم عبد العزيز ثم حفيده زين الدين صاحب تحفة المجاهدين والقاضي الشيخ فخر الدين أبو بكر بن رمضان الشالياتي قاضي كاليكوت والشيخ جفري وأمثالهم. وبسبب هؤلاء الشيوخ الكبار انتشرت اللغة العربية والمصنفات الجليلية في اللغة العربية التي تداولها الناس في كيرلا في حياتهم اليومية قراءة وكتابة.

تعليم اللغة العربية في كيرلا

كان التعليم بين المسلمين في كيرلا محدودا في الأيام الماضية. وكان النوع الوحيد من التعليم الممنوح إلى أطفال مهابلا هو من أوتوبلي (othupally) الذي كان يلقي فيه المعلّم إلى الطلبة وكان الطلّاب يردّدون هذه الدروس ويحفظونها. ثمّ تطوّرت هذه الأنواع من أوتوبلي إلى درس حيث يتعلّم فيها الطلبة القرآن والحديث والفنون الأخرى من العلوم الإسلامية في اللغة العربية. لكنّ المصلحين والمفكّرين احتاجوا إلى تجديد الوسائل

[1]) Dharmadam – Thalassery - Kannur
[2] Chombal of Ponnani
[3] Pandalayani – Kollam - Koyilandy

والقواعد في تعليم الدرس وابتدأت نشأة المدارس في كيرلا. وهكذا أسّس أي. يم كويا كنجي مدرسة 'معونة الإسلام' في كنور في عام ١٩١١م. وكانت هذه المدرسة تلقي الدروس في مادّة اللغة العربية واللغة الملیالمية. ولكنّ كان مولانا شاليلكت كنج أحمد هاجي (١٢٨٣ – ١٣٣٨ ه) هو المؤسس الحقيقي لحركة المدرسة في كيرلا. ثمّ أسست عديد من المدارس على هذا المنوال والمناهج الدراسية في هذه المدارس تأكّد باهتمام اللغة العربية في حياة المسلمين الدينية في مليبار. ليست اللغة العربية تدرّس رسميا في المساجد والمدارس الدينية فقط ولكن أثرها تأثر كثيرا على لهجة ملیالم. شكل اللغة عربي ملیالم الأدبية باستخدام الحروف العربية لتدوين ملیالم يشهد اقتناع المجتمع في الالتزام بالقيمة المتأصلة للغة العربية.

لمحة عن دراسة اللغة العربية في المدارس الرسمية الحكومية

عندما تأسّست المدارس الدينية فالتحق عدد من الطلبة بهذه المدارس وحصلوا على مقدرة ومهارة في العلوم الإسلامية، ولكن المسلمين كانوا متخلفين في الحصول على التعليم المدني من المدارس العلمانية. وقد نهض المصلح الاجتماعي والمفكّر وكام عبد القادر مولوي (١٨٧٣ – ١٩٣٢) وأدرك عن تخلف المسلمين في الحصول على التعليم من المدارس المدنية. عقد المولوي اجتماع نخبة من المسلمين في ترفاندرم (Trivandrum) وقدّم هذا الاجتماع خطة إلى الحكومة في أمر ارتقاء تعليم المسلمين في كيرلا. وفي هذه الخطّة قدّم المولوي عرضا الذي أثّر على تنمية اللغة العربية في كيرلا. وقد طلب إلى الحكومة لتعيين منشئ (Arabi munshi) لتعليم اللغة العربية في المدارس ولتعيين مفتشين لتفتيش تدريس اللغة العربية في المدارس. وهذا النداء من قبل وكام عبد القادر مولوي أجيب من المجتمع في

نطاق واسع. وعيّن منشى في المدارس الابتدائية منذ عام ١٩١٥ – ١٩١٦) لتدريس اللغة العربية لغة ثانية وهكذا تقدّمت لجنة المحمدية في آلبزا (Aleppy) وأسست اللجنة مدرسة ابتدائية وعيّن أستاذا لتدريس اللغة العربية في هذه المدرسة وعين أيضا مفتشا للإشراف على تدريسها باسم "المفتش المحمدي" MOHAMMADEN INSPECTOR وبدأ تعليم العربية رسميا في كوشن (Kochi) سنة ١٩٣٠. وهكذا حينما قرّرت الحكومة في ترفتامكور (Travancore) لتدريس اللغة العربية في المدارس وقد احتاجت إلى الكتب والمواد في اللغة العربية. وقد عيّن وكام مولوي لاختيار المعلّمين الماهرين وهو أيضا كتب كتبا دراسية للفصول الابتدائية. وهذه الأعمال من قبل وكام مولوي دلّت بنجاح عجيب في تعليم اللغة العربية في كيرلا. وهكذا أسست بعض الجمعيات لهذا الهدف من التعليم العلماني والعربي. ومن هذه الجمعيات :-

جمعية معونة الإسلام :- تأسست هذه الجمعية في العام ١٩٠٠م في فنان

جمعية حماية الإسلام: أسست هذه الجمعية في سنة ١٨٩١ في كاليكوت تحت رعاية خان بهادور متو كويا تنغال. ألقت الجمعية دروسا في التعليم العلماني مع التعليم الديني. أسست هذه الجمعية مدرسة ابتدائية في سنة ١٩١٢. وفي سنة ١٩١٩ تحوّلت إلى مدرسة وسطى ثم في عام ١٩٢٢ ارتقت إلى مدرسة ثانوية . وقد أجرت هذه المدرسة منهجا خاصا لتعليم اللغة العربية والموضوعات الدينية وعلّمت اللغة العربية من الفصول الابتدائية.

أنصار الإسلام لتعليم الأنام (muhammadan education association): – أنشئت هذه الجمعية في عام ١٩١٨ في كاليكوت. شجعت هذه الجمعية دراسة اللغة العربية واللغة الأردوية واللغة الإنجليزية بين الشباب المسمين.

انتشار اللغة العربية في العصر الحديث

كما أشير من قبل أن اللغة العربية انتشرت في كيرلا على أيد هؤلاء الشيوخ والأساتذة ووصلت هذه اللغة الجليلة إلى أوساط عامة الناس. أما في عصر الحديث فإن النشاط الثقافي الإسلامي ونشأة هذه اللغة فتولّته مختلف المنظمات والمعاهد الدينية. ومنها:–

جمعية العلماء لعموم كيرلا وتسمى سمست كيرلا جمعية العلماء

وقد أسس هذا المنظم في سنة ١٩٢٩ بعد اجتماع من علماء ومشايخ كيرلا. كانت الجمعية في البداية جمعية صغيرة برئاسة الشيخ ب. ك. محمد المليباري. ثمّ زادت نشاطاتها وتوسعت كثيرا منذ سنة ١٩٢٦ بعد عقدها مؤتمرا عاما الذي حضر فيه شخصيات إسلامية. تركّزت أهداف هذه الجمعية في نشر اعتقادات أهل السنة والجماعة وتثقيف الأمة الإسلامية دينيا ودنيويا. ثمّ نظمت تحت هذه الجمعية إدارة للتربية والتعليم SAMASTHA KERALA ISLAM MADA VIDYABYASA BOARD في سنة ١٩٥١ وهذه الإدارة تشرف حاليا على أكثر من أربعة آلاف من المدارس الدينية وتجري تحتها عديد من الكليات العربية وامتدت نشاطات هذه الإدارة إلى خارج ولاية كيرلا. فمن المعروف هناك مدارس تابعة لها في ولاية تامل نادو وكرنادكا وجزر أندمان (Andaman island) ولكشاديب (lakshadweep island) وهذه الآلاف من المدارس تشمل في مناهجها

الدراسية من مختلف فروع العلم من القرآن والحديث وعلوم الفقة والعربية والعقائد والتصوف والأخلاق والتاريخ والتجويد ... إلخ وتدرس اللغات الإنكليزية والأردوية في أكثر المدارس. وهناك جمعية المعلمين المركزية التي تتبع الإدارة وعقدت الجمعية عديدا من اللقاءات والمؤتمرات عن اللغة العربية وطرق تدريسها. ومن أهمّ المدارس الدينية الكبيرة التي تشرف عليها جمعية العلماء

١) الكلية السعدية:- تقع هذه الكلية في قرية كلناد في كاسركوت

٢) الجامعة النورية: - تقع هذه الجامعة في فيض آباد بمحافظة مالابرم. وفي الأيام الأولى بدأ الدرس هناك تحت مولانا القطبي منذ سنة ١٣٨٢ ه. وكانت تصدر من هذه الجامعة مجلّة السعادة باللغة المليبارية والعربية. وتخرّج من هذه الكلية عديدا من العلماء والأدباء والوعاظ.

٣) جامعة دار الهدى الإسلامية بتشماد: - هذه الجامعة هي عضو في اتحاد جامعات العالم الإسلامي وعضو في رابطة الجامعات الإسلامية. والجامعة تقوم بمهامها بنشر الإسلام واللغة العربية ويتخرّج منها الطلبة كلّ سنوات وهم يحملون مهارة بارعة في اللغة العربية.

٣) كلية معونة الإسلام بفنان ٤) كلية جنات العلوم ببالكات ٥) كلية الأنورية العربية بفطشرا PATTACHIRA في معين آباد في إقليم فالكات ٦) الكلية الرحمانية العربية بكدميري ٧) كلية دار السلام العربية بنندي بكاليكوت ٨) كلية دار النجاة ٩) كلية منبع العلوم في أدي نور ١٠) كلية سيد المدني في الآل قرب منغلور

الحركة السلفية

وقد أثرت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كيرلا في أواخر العقد الأول من القرن العشرين ومن رجال الحركة آنذاك مولانا الحاج الشيخ كنج أحمد الشاللكتي (١٩١٩) والشيخ عبد القادر الوكمي (١٩٣٠) والشيخ الشاعر سعيد علي كوتي (١٩١٢). وكان الشيخ كنج أحمد الشاللكتي من أبرز هؤلاء وكان آنذاك رئيس المعلمين في مدرسة تنمية العلوم بوازكاد منذ سنة ١٩٠٩ وخلق كثيرا من الطلبة الذين تأثّروا بأفكاره السلفية وفي مقدمتهم تلميذه الشيخ ك. أم مولوي الذي كان أباكر رواد الحركة السلفية في كيرلا. بدأت الحركة السلفية عملها المنظم في كيرلا في سنة ١٩٢٢ بعد تأسيس جمعية الاتحاد الإسلامي بكيرلا (KERALA MUSLIM AIKYA SANGHAM) . تحت الحركة السلفية تجري المنظمة ندوة المجاهدين التي أسست سنة ١٩٥٢ على أيد.

يشارك السلفيون في النشاط الإسلامي ولهم في كيرلا نحو ٥٠٠ مدرسة سلفية وعديد من الكليات العربية. ومن هذه الكلية

١) كلية مدينة العلوم ببلكل ٢) وكلية روضة العلوم بفروق ٣) كلية سلم السلام بأريكوت ٤) كلية أنصار الإسلام بولونور ٥) الجامعة الندوية بأدونا ٦) كلية بستان العلوم في كيايبامنغلم ٧) كلية أنوار الإسلام العربية في مونغم ٨) كلية المجاهدين في بالكات.

حركة الجماعة الإسلامية

ترعى الجماعة الإسلامية كليات كثيرة في ولاية كيرلا. تجري هذه الكليات على خطة معينة ومنهج عصري. ومن أشهر هذه الكليات:-

١) الكلية الإصلاحية بشيندمنغلور ٢) الجامعة الإسلامية بشاندبرام :- تعتمد الجامعة على اللغة العربية كوسيلة في التعليم في ضوء حقيقة أن

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، السنة النبوية وجميع العلوم الإسلامية الأخرى. ٣) كلية الإلهية بترورکاد ٤) كلية الإسلامية بوادانبلي ٥) كلية الإسلامية للبنات بوندور ٦) كلية إرشاد الإسلام بفروق. هذه الكليات تعلم العلوم الإسلامية والمعارف العصرية واللغات المختلفة مع اهتمامها بدراسة الفنون والآداب والتكنولوجيا مع موضوع الإسلام واللغة العربية.

الكليات تحت جمعية العلماء بجنوب كيرلا

فقد انتشرت الكليات التي تعنى باللغة العربية وارتقائها في جنوب كيرلا تحت رعاية جمعية العلماء. ومن أهم هذه الكليات : –

١) الجامعة المنانية بوركلا ٢) الجامعة الحسنية بآلوائي ٣) كلية هداية الإسلام العربية ببوندور. وقد أسهمت هذه الكليات كبيرا في نشر اللغة العربية في ولاية كيرلا.

اللغة العربية والجامعة

بعد أن تكوّنت ولاية كيرلا في العام ١٩٥٦ تطوّرت دراسة اللغة العربية فشملت آلاف من المدارس الابتدائية والثانوية الرسمية وغير الرسمية كما أخذت تدرس في الكليات الحكومية وتدرس فيها العربية في مستوى الماجستير والدكتوراه. تنعقد الجامعات محاضرات وندوات ومناقشات حول مختلف الموضوعات العربية. وهكذا بلغت اللغة العربية في الفن والأدب والتعليم إلى قمتها. ولا تزال اللغة العربية وآدابها تدرس في كثير من الكليات والفنون والعلوم في كيرلا. ومن هذه الكليات: –

١) كلية الفاروق بفروك ٢) كلية مهاراجاس بأرناكلم ٣) كلية الجامعة بترفاندرم ٤) كلية برانان بتلشيري ٥) قسم اللغة العربية بجامعة

كاليكوت ٦) قسم اللغة العربية بجامعة كيرلا ٧) كلية منباد ٨) كلية الحكومية ببرندالمنا ٩) كلية الحكومية بملابرم ١٠) كلية الحكومية العلوم والآداب في مينشندا ١١) كلية الحكومية بكاسركوت.

الصحافة العربية في كيرلا

طلعت الصحافة العربية في كيرلا في النصف الثاني من القرن العشرين. منذ هذه الفترة نشرت عديدا من المجلّات في اللغة العربية التي ساعدت اللغة العربية وآدابها أن ترتقي في مهد كيرلا وأن تنتشر شهرتها إلى البلاد الأخرى.

مجلة البشرى :- كانت أوّل مجلّة عربية في كيرلا هي مجلّة البشرى التي أسّسها المولوي ك. ب في عام ١٩٦٣. توقّف إصدارها بعد سنة من نشرها عام ١٩٦٤. ثمّ استأنف إصدارها تحت رعاية اتحاد معلمي العربية لولاية كيرلا في (KATF) في سنة ١٩٦٧. كانت تهدف إلى تعريف العالم العربي بمساهمات كيرلا في الأدب العربي وتعريف أهل كيرلا بالكتب العربية الثمينة وتقديم الشؤون الاجتماعية والثقافية المعاصرة. لكن ما لبثت أن يتوقف إصدارها.

مجلةّ الهادي :- صدرت تحت إشراف لجنة منشئي العربية لولاية كيرلا في سنة ١٩٧٢ (KAMA). كان مدير تحريرها الأستاذ ب. أ. سعيد ورئيس التحرير المولوي أ. عبد الوهاب. وكانت هذه المجلة تهتم بنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في كيرلا. ولكن توقف صدورها من بعد.

مجلة الثقافة :- أصدرت مجلّة الثقافة في سنة ١٩٩٦ عن دار الثقافة للدعوة والصحافة من مركز الثقافة السنية الإسلامية بكارندور.

مجلّة الريحان : طلعت هذه المجلة في العام ٢٠٠٤ على أيد قسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب في رحاب دار الأيتام المسلمين بويناد.

مجلة الصلاح :- صدرت في سنة ٢٠٠٦ عن رجاب الجامعة الندوية في أدونا

مجلّة الجامعة :- هذه المجلة تصدر عن الجامعة الإسلامية بشاندابرم.

مجلّة النهضة:- تصدر عن جمعية الهداية الصلاحية في كلية سبيل الهداية بفارافور

مجلّة كاليكوت:- طلعت هذه المجلة من أيد قسم اللغة العربية جامعة كاليكوت في عام ٢٠٠٦. هذه المجل تمتاز من المجلّات الاخرى بحيويتها وغزارتها بالمواد الأدبية الحديثة البحثية وبتقديمها الأدباء العرب المعاصرين في مختلف أقطار العالم ومساهماتهم البالغة في الأدب العربي والمقالات النقدية عن مختلف الموضوعات والظواهر التي تسير معا في أوساط الأدب العربي في العالم.

مجلّة الديوان: - أصدرها القسم العربي بالكلية الحكومية بملابرم سنة ٢٠٠٩.

مجلّة العاصمة: - وهي تصدر عن قسم اللغة العربية من كلّية الجامعة ترفاندرم.

مجلّة النور:- هذه المجلة تصدر عن لجنة الطلاب السابقين في الجامعة النورية العربية بفيضاباد ملابرم.

تساهم هذه المجلّات كلها مساهمات قيمة في انتشار اللغة العربية وآدابها في كيرلا. والآن وقد أصبحت هذه اللغة الجليلة جزءا لا يتجزّأ من حياة المسلمين في مليبار وفي كيرلا. والآن نهض الطلاب من الأديان الأخرى بعد أن أدركوا وفهموا ودرسوا هذه اللغة وهم يتعلمون هذه اللغة من المدارس الابتدائية وهم يحصلون البكالوريوس والماجستير من الكليات والجامعات المختلفة وهم يشتغلون في الوظائف في مجال الترجمة

والتدريس. هكذا تتبوّأ اللغة العربية مكانا مرموقا في قلب أهل مليبار وكيرلا.

احتفال يوم اللغة العربية العالمية في كيرلا

تحتفل كيرلا اليوم ١٨ من شهر ديسمبر احتفالا ليوم اللغة العربية العالمية. وفي كيرلا تنعقد كثيرا من الحفلات والبرامج في هذا اليوم في مختلف المدارس والكليات والجامعات والأماكن الكثيرة. تجري في هذه الحفلة مختلف الأنواع من البرامج الندوات والمسابقات حول اللغة العربية وآدابها. هذه الاحتفالات تدافع عن التقاليد الثقافية والأدبية للغة العربية، فضلا عن تعزيز الوعي للغة العربية في مختلف أنحاء البلاد وتأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى ومختلف الحضارات. وصفوة القول إن اللغة العربية هي واحدة من أكثر اللغات التعبيرية من حيث مفرداتها واسعة وشاملة، واتساق أساليبها الأدبية وكونها لغة حية تشمل جميع جوانب الحياة العصرية.

المصادر والمراجع

١- تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين – الشيخ أحمد زين الدين المعبري المليباري، دائرة المعارف الهندية.

٢- المسلمون في الهند – أبو الحسن علي ندوي

3- Islam in Kerala. Groups and movements in the 20th century, Dr. M. Abdul Samad, Laurel publications, Kollam

4- Mappila muslims of Kerala. Their history and culture. Dr. A.p. Ibrahim Kunjhu, 1989, Sandhya publication, Kaniyapuram, Trivandram.

5- Mappila muslims of Kerala. A study in Islamic trends. E. Miller 1976, Orient Longman Madras.

حب إقبال للعرب وعشقه للعربية

الدكتور عبد الناصر علي*

كان لمحمد إقبال حب كبير للإسلام والمسلمين وخاصة للعرب الذين تشرفوا بالإسلام أولا في المعمورة كلها فعزّت مكانة العرب وأهاليها في الأرض كلها، واتسعت ثقافة إقبال في التعرف على حقيقة الإسلام وتاريخه المشرق وأراد إعادة مجده وشوكته من جديد، ولهذا الغرض السامي رهن مقدرته الفياضة وصلاحيته النادرة وفكرته البالغة في رفع مجد الإسلام ونشر تعاليمه على حقيقتها وأساسها، وكتب عن بدء الإسلام والحضارة الإسلامية وخصص العرب لأن الإسلام أولا وصل في العرب ومن هنا اقتبس العالم نوره، وحقيقة الأمر أن ثقافة إقبال إسلامية في أساسها وجوهرها، وفي سالف الأيام خصوصاً كان حتماً على كل من أراد من العلم تضلعاً وفي الأدب تبحراً أن يحيط شامل الإحاطة بثقافة الإسلام في أشتات جوانبها، فجرت عادة المتعلم والمتأدب في بلاد الهند والفرس والترك بأن يدرس العربية على أنها لغة القرآن والحديث والشرع، كما أنها أعظم اللغات الإسلامية في الأهمية.

وحسبنا في تبيان ذلك أن نقول أن الفارسية مدينة في نشأتها للعربية، فبعد الفتح العربي لإيران، ذاعت لغة العرب في البلاد وشاعت، وحلت لغة

* الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية في جامعة جواهر لال نهرو- نيودهلي

الغالبين محل المغلوبين، وأفضى اختلاط العرب بالفرس إلى نشأة لغة جديدة هي مزيج من العربية ولغة الفرس الفهلوية، وقد أصبحت لغة إيران الإسلامية المعبرة عن تراث حضاري من أروع ما عرفت الإنسانية. وجدير بالذكر أن حشداً زاخراً من ألفاظ عربية وجد السبيل إلى هذه الفارسية حتى أصبحت أشبه شيء بلغة عربية تتخللها ألفاظ فارسية. كما تأثرت هذه اللغة في أدبها أبعد التأثر وأعمقه بأدب العرب.

وجمهرة كتب إقبال بالفارسية التي كانت بدورها سبباً في تشكيل لغته الأوردية. فلما فتح الفرس شمال الهند في القرن الرابع الهجري وعايشوا أهلها، انبثقت في الوجود لغة تتألف من لغة الفرس ولغة الهند نسبت إلى معسكر الفرس فسميت أوردو بمعنى المعسكر في التركية وقد رجع العنصر العربي في الأوردية لما فيها من فارسية محملة بالعربية.

فلغة العرب التي كانت من مقومات ثقافة إقبال أثرت التأثير الأعمق في فارسيته وأورديته جديرة بأن تجعله على ذكر من العرب ومن المؤكد المقطوع به أن لغة العرب عزّت بكونها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وأحاطت بها من القداسة هالة لم تحط بغيرها. وإذا ذكرنا أن الدين الحنيف هبط وحيا على النبي العربي صلوات الله سلامه عليه، وفقد تذكرنا أن القرآن نزل بلسان عربي مبين. يقول ابن خلدون أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه[١]. غير أن حكم ابن خلدون لا يصح على إطلاقه، فلا يصح في العقل أن يفهمه العرب جميعاً جملة وتفصيلا. بل إن الصحابة كانوا يختلفون في تفسيره، ولقد مست الحاجة من بعد إلى تفسير القرآن لاستنباط

[١] مقدمة ابن خلدون، ص ٤٠٨- نقلا عن إقبال الشاعر الإسلامي الفيلسوف ، مرتبه الدكتور شبير عالم، ص ٢٧٤

أحكام الدين وتفهم ما فيه من روائع البلاغة والوقوف على حقيقة من ذكر فيه من أقوام خفيت أخبارهم من سالف الدهر. وأخذت الرغبة في الإحاطة علما بهذا كله بعد انتشار الإسلام في الآفاق على الخصوص إلى نشأة العلوم الإسلامية من تفسير وفقه ولغة وبلاغة وتاريخ ونحو وما يجري هذا المجرى. ويتلو القرآن في صفاته ومنزلته الحديث الشريف وها نحن أولاء نتوارد اليوم مع الثعالبي في أمسه البعيد حين قال إن من أحب الله أحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أحب النبي العربي أحب العرب . ومن أحب العرب أحب لغة العرب التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب. والإقبال على تفهم العربية من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين و سبب إصلاح المعاش والمعاد[١].

وهذا كله صريح في دلالته على أن ظهور الإسلام في العرب وتوجيه كلام الله ورسوله إلى البشرية بلسان العرب، رفع منزلة العرب فوق غيرهم من الشعوب الإسلامية درجات ولو في الاعتبار، وإن كان الدين الحنيف لا يفضل عربياً على غيره من المسلمين إلا بالتقوى، ومصداق ما تذهب إليه قول للشاعر الفارسي الشعوبي مهيار الديلمي الذي تعصب للفرس على العرب، غير أنه لم ينس أن الإسلام ظهر فيهم وهو حتى حين يفخر بالفارسية يعجز كلية أن يجحد فضل العرب الذي شرفوا بظهور الإسلام فيهم، وكأنما أفلت الزمام من يده فمدحهم ضمناً هويمدح الفرس بمثل قوله:

قد قبست المجد من خيـــر أب وقبست الدين مـــن خيـــر نبي

وضممت الفخـــــر من أطرافه سؤدد الفرس ودين العـــــــرب

[١] الثعالبي، فقه اللغة، ص ٣- نقلا عن إقبال الشاعر الإسلامي الفيلسوف ص ٢٧٥

فيؤخذ من هذا أن العرب في رأيه إنما تنحصر مفاخرهم في الإسلام. وإذا كانت الحضارة منبثقة من الدين والعلم والفن، فنحن نوقن بأن الحضارة الإسلامية في معظم مقوماتها ومظاهرها مشتقة من الدين. ولقد أسلفنا أن علوم الإسلام استمدت كيانها من الرغبة في تفسير كتاب الله، ونضيف إلى ذلك أن المسلمين أشفقوا من تسرب اللحن إلى القرآن الكريم فوضعوا علم النحو، كما كان المسجد أروع صورة لفهم المعماري. فمن حيث كان هذا شـــأن العرب وتلك صلتهم الوثقى بالإسلام وحضارته، كان المتوقع من إقبال وهو شاعر الإسلام الحق بالمعنى الأصح الأدق، أن يكون على ذكر دائم من بني يعرب وما يموج به عالمهم من أحداث وينعقد بينهم وبين غيرهم من أسباب صلات.

اشتغل إقبال بتدريس العربية وتمنى لو كان في قدرته أن يعالج النظم بلغة الضاد. وهذا من الدليل على شغفه بلغة الدين والعلم أساساً، ورغبته في توجيه الخطاب إلى أهلها بلسان يفهمون. أما أرض العرب أو على التحديد أرض الحجاز موطن أوائل المسلمين، فقد كان مشوق القلب إليها لزيارة بيت أراد حجه وإن حمله في قلبه كما قال. سرى حنينه إلى ناقته فسارت سيراً عنيفاً، وقد أنسيت أنها تحمل شيخاً ضعيفاً ونقلت خطاها في أرض وعرة، وكأنما على الحرير كان خطوها، وبلغ من حبه لأرض الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يرغب إلى من يجتاز بها أن يخفف الوطء على أديمها، لأن كل حبة رمل من رمالها قلب كقلبه الخفاق بحبها، هذا من قوله في رباعياته الفارسية، أما في خاتمة كتاب "رموز نفي الذات" فتمنى الموت في الحجاز[١]، وهو يقول:

[١] إقبال والعالم العربي مقالة الدكتور حسين مجيب المصري من كتاب إقبال الشاعر الإسلامي الفيلسوف ص ٢٧٦

أنا من إظهاره في خجـــل منـــك لطف يسر الجـــرأة لي
يـــا رحيماً بك للناس مفـــاز كل ما أبغيه موتي في الحجاز

وكان محمد إقبال شديد الصلة بالإسلام والمسلمين، وهو الذي أحب العرب بحبه للإسلام، وتمنى أن يكون متمكنا من نظم مشاعره بلغتهم وهو أول من دعا العرب إلى النهوض – كما قال الأستاذ أنور الجندي – بوصفهم حملة رسالة الإسلام، والذين دفعوها إلى الآفاق، والذين تبقى لهم مزية القدرة على حمل الصحوة الإسلامية مرة اخرى. ويقول الدكتور حسان حقي الذي كان صديقا حميما لإقبال: ومما لاحظته فيه انه كان ميالا للعرب؛ لا بل كان يحترمهم إكراما للنبي العربي صلى الله عليه وسلم.

ونجد كثيراً أن إقبال يخاطب في شعره المسلم والعرب ويخبر بما كانت لهم مكانة في العالم من سيادة وقيادة وتسعد بها كرة الأرض، وهم أصل الكون في هذا العالم المادي الزائل الزائف يقول: إن كل ما في العالم من الظواهر الكونية، أو الأجرام الفلكية، راحل زائل، وغائب آفل، أنت أيها الإنسان المسلم بطل المعركة، وقائد الجيش، وكل ما حولك من سافل وعال، ورخيص وغال، من جنودك وأتباعك، أسفاً لك، أيها الرجل، لم تقدر نفسك، ولم تحسب لها حساباً، ما أشد جهلك وما أضيق نظرك! إلى متى تجري وراء الدنيا الذليلة، وتعبدها وتخضع لها؟ إما أن ترفضها رفضاً باتاً، وتزهد فيها وتتبتل، وإما أن تملك ناصيتها وتسود وتحكم، ولا منزلة بين المنزلتين ولا توسط بين النهايتين[١].

[١] روائع إقبال للأستاذ أبي الحسن علي الحسنى الندوي ص ١١٣

حقيقة الأمر أن إقبالا يمكن أن يعد مؤرخاً للعالم العربي في الغابر والحاضر، لأنه ناط عنايته بما ماج فيه من تيارات روحية وسياسية واجتماعية، وله الفضل الذي لا يجحد على المؤرخ بالمفهوم الدارج، لأنه يستقرئ ويستخلص ويبرز من المعالم ما يفوت غير البالغين شأوه في صحة الفكر ورجاحة العقل وسداد الرأي ورهافة الحس ودقة الشعور، وهو يقول:

ليت شعري من خلفكم في الحياة ؟ إن العصر الحاضر وليد نشاطكم وكفاحكم، وصنع جهادكم ودعوتكم، ومازلتم سادته ولاته حتى أفلت زمامه فتبناه الغرب وامتلكه، ومنذ ذلك اليوم فقد المجتمع الإنساني شرفه وكرامته، وأصبح تحت ولاية الغرب، بعد ولايتكم أيها العرب منافقاً خليعاً، ثائراً على الدين. فيا أيها العربي، عد إلى قوتك وعزتك، وامتلك ناصية الأيام، وخذ عنان التاريخ وقد قافلة البشرية إلى الغاية المثلى. إنك أيها المسلم في العالم وحدك، وما عداك سراب خادع، ودرهم زائف، إن إيمان المسلم هو نقطة دائرة الحق، وكل ما عداه في هذا العالم المادي وهم وطلسم ومجاز، المسلم الضعيف يعتذر دائما بالقضاء والقدر أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب، وقدره الذي لا يرد، إن المؤمن إذا نادى الآفاق بآذانه أشرق العالم واستيقظ الكون[١].

ومن المعلوم أن محمد إقبال كان على الدوام داعية إلى فهم تعاليم الإسلام على حقيقتها والاعتصام بها فيما يصح به حال المسلمين في الدنيا والدين، وهو لا ينسى العالم العربي بما يميزه من بلغاء، فيعقد فصلا في هدية الحجاز لتوجيه الخطاب إلى شعراء العرب في شمول وعموم دون أن يعين أحدا من قدمائهم أو محدثيهم. وفي الرباعية الأولى من هذا الفصل يبلغ

[١] روائع إقبال للأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي ص ١٢٩

شاعر العرب أنه يغض من قيمة ياقوت الشقاه، لأنه قبس من القرآن نوراً جعل به الليالي سحراً. وقد أراد بذلك أن يقول أنه استمد من معاني القرآن شعره وصحة فهمه لأحكام الإسلام. وأراد لهذا الشعر أن يكون وسيلته إلى التعبير عن ذلك، وما أراد به أن يحاول البلاغة ولا أن يكون المتفنن الذي يأتي بالمطرب المعجب ويهيم في كل واد، وتوجيه الكلام إلى شعراء العرب دليل على أنه يبوئهم ذروة الفصاحة ويخصهم بهذه الميزة بالذات دون غيرهم من شعراء الأمم الإسلامية. وكان من المتوقع أن يذكر شعراء الفرس مثلا وهو في عدادهم والناظم بلغتهم، كما أنه يذكر شعراء العرب بقرآنهم العربي الذي يجد فيه غنية عن أن يطرق فنون الشعر، لأنه يمده بزاده من المعاني، ولا يجد هذا في مصدر سواه.

شهدنا الصبح في ليل مبينـــا تجلت فيـــــه أنـــوار لسينـــا
صححنا من رياح البيد روحا فمنها القـــوم كانـــوا القادمينا[1]

وفي هذا ما فيه من تمجيد للعرب الأقدمين عموماً، فضلا عن ضرب المثل بشخصيات منهم خصوصاً كالخليفة أبي بكر الصديق الذي كان ثريا واسع الثراء، إلا أنه أنفق ماله على الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يخلف لمن بعده شيئا مذكورا، وإقبال يضرب به المثل في غنى النفس, يشير كذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب المخشوشن المتقشف بالمفهوم الصوفي، وهو القناعة بكل ما تنطوي عليه الكلمة من معنى، وخلاص النفس من الطمع، فالفقر ليس عدم الملك وقلة المال، ولكنه ألا تكون الدنيا في قلب الإنسان وإن كانت في يده. فهذا ما يرتضيه إقبال للمسلم ويعجب به عند أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب من خلفاء العرب[2].

[1] هدية الحجاز للعلامة محمد إقبال ص ١٢٠
[2] إقبال والعالم العربي مقالة الدكتور حسين مجيب المصري من كتاب إقبال الشاعر الإسلامي الفيلسوف ص ٢٨٣

وفي مواضع عدة من كتابه ضرب الكليم يتحدث إلى أمراء العرب مذكرا إياهم بأن العرب هم الذين حملوا رسالة الإسلام إلى الناس كافة في سالف الزمان، فقبيح بالقائمين بالأمر في تلك الأمة أن يتقاعسوا في يومهم عما سعى إليه واضطلع به أسلافهم في أمسهم، وهو يشيد بفضل أمة العرب على غيرها من الأمم، على أن الفضل للمتقدم، فأولى بأمراء العرب أن يذكروا تلك السابقة بالخير و الحسنى، ويتخذوا منهم ذلك الحافز الذي يبعثهم على وصل ما انقطع من مساعيهم في هذا السبيل، وينعى عليهم وقفة المتهاون بلا وجه، المتردد من غير ما سبب في طريق سلكها الأجداد من بدايتها، فحقيق بالحفدة أن يمضوا فيها إلى نهايتها.

وهذا آكد دليل على أنه يخص العرب بما لم يخص به سواهم من دعوة إلى صنيع ما له إلا وحدهم، فعليهم ذلك أوجب واجب لا يملكون تنصلا من أدائه على وجهه، لأن لهم في السابقين نسباً كريماً، وجميل بهم أن يكونوا الأمناء على وديعتهم.

نجد في كتاب رسالة الشرق منظومة عنوانها نغمة حادي الحجاز، وفيها يعرض لمناجاة الناقة ووصفها بكيفية توهمنا أننا نقرأ شاعراً يجوب البيداء في الحجاز قلب البلاد العربية. وهو يكرر بيتاً في تلك المنظومة يرغب فيه إلى ناقته أن تحث خطاها لأن المنزل يقترب، وفي هذا ما فيه من تعبير عن شوقه وتوقه إلى أرض العرب. كما صور ناقته تصويراً لا عهد لنا بمثله في لغة الضاد، فمن حيث كانت الناقة من أخص ما تعرض شعراء العرب لذكره ووصفه وكانت صحراؤهم ونياقهم في الخيال لازماً وملزوماً، كان وصف إقبال للناقة بالخيال الفارسي الدقيق وفي نشوة الإيمان العميق أشبه شيء بتحيته إلى عالم العرب وإيمائه الخفي إلى رمزه الجلي[١].

[١] الدكتور حسين مجيب المصري: إقبال والعالم العربي، نقلا عن كتاب إقبال الشاعر الإسلامي الفيلسوف ص ٢٨٧

ونرى أن إقبالا وهو يتصدى للعرب في العهد الحاضر أيضاً، ويتأمل أحوالهم ونظم الحكم عندهم، ويبذل لهم النصح ليهديهم سواء السبيل ويوصيهم بالتمسك بأهداب الدين ويحذرهم من التهافت على تقليد الفرنجة، ويلفتهم إلى أن المستعمرين إنما يسعون سعياً حثيثاً في صدع وحدتهم والتفرقة بينهم بكيفية تفضي إلى شقاقهم والقضاء على تضامنهم وهدم كيانهم وإذهاب ريحهم وسلبهم قوة اتحادهم التي تقف في سبيلهم نحو الرغبة الجامحة في التسلط عليهم وابتزاز ثرواتهم، ولا يحب لهم نسيان هدي القرآن الذي يريد لهم وللمسلمين أجمعين أن يكونوا المتآخين المتحدين، ولقد عقد فصلا في مثنوي له يسمى بس جه باید کرد، بمعنى ما العمل إذن، تحت عنوان كلمات مع الأمة العربية، يستهله بتمجيد العرب الذين عزوا بالدين الحنيف، فهم أول من قال لا إله إلا الله وأنار سراج الهداية، ومنهم سيد الخلق صلى الله عليه وسلم الذي جاء بدين الحق:

رمز (إلا الله) من قد لقنـــــوه ذلك المصبـــــاح أين أوقــدوه
نفس الأمي مشهـــــور اللقب جعل البستـــان صحراء العرب

وفي جاويد نامة تحت عنوان ظهور درويش السودان بسط الكلام عن لورد كتشنر، فذكر بعض ملوك العرب لأسمائهم وهم على التحديد فؤاد ملك مصر وابن السعود ملك الحجاز وفيصل ملك العراق، وقد حكموا في سالف الأيام، ووجه إليهم صريح الخطاب الذي يتكشف عن مبدئه في الدعوة إلى إصلاح حال الشعوب العربية على الخصوص، لأنه حثهم على إحياء تعاليم الإسلام كيفما تصلح الأمور لبلادهم وتنهض شعوبهم من كبوتهم بعد أن أراد المستعمرين لبعضها أن ترزح تحت وطأته متخلفة عن ركب شعوب أوربا في سيرها قدماً نحو آفاق النور، ورغب إلى هؤلاء الملوك أن يوقدوا في

الصدور ناراً أخمدت ويرجعوا أيام دنيا ضيعت، وتمنى لوادي البطحاء أن ينجب مثل خالد بن الوليد، وأن يغرد فيه التوحيد، كما صاح بهم صيحة راغب في تحريك همتهم إلى مجاهدة الغربيين الذين يتسلطون عليهم ويستعبدون شعوبهم ويكره لهم أن يكونوا المتواكلين المستضعفين ويحب لهم أن يكونوا المنطلقين الغاضبين لامتحان كبريائهم واغتصاب حقوقهم، وهو في عنفه بهم في دعوته، يمزج عبوس العضب بابتسام الأمل يقول:

أمـــة الإيمـــان يا سود الجـــلود منكم أستاف عطـــرا للخلـــود
فإلام تجـــهـــلون سيـــــركـــم وتولـــون ســـواكم أمـــركـــم
ليت شعري هل تخافون البـــلاء البـــــلاء كان للمرء الصفاء[1]

يصف إقبال مصر في نهضتها برمزية تمثالها العجيب، مشيرا إلى قوة التطور التي يتبدل بها سير الشعوب وينبغي لتلك القوة أن تنبثق من العقل، ثم يضرب المثل لتلك القوة الحكيمة بحسام المصطفى صلى الله عليه وسلم وعصا موسى عليه السلام، وهذا منه تخبيل وتمثيل غاية في الروعة، واستلهام تمثال مصر إحلال لهذا البلد العربي مكانة مرموقة تجري عليه صفة الهادي إلى ماعلا من مثل، بما فيه صلاح أمر الأمم، فكانت له الريادة والسبق إلى الدعوى. وهكذا لم يترك الشام وفلسطين، فيذكر مدينة حلب في ماض من الأعوام وقد دخل الفرنج عليها بتقاليدهم ومقيت من عاداتهم، وعبر عن كراهته لمثل تلك الظاهرة الاجتماعية في بلد عربي، ثم عرض لقضية فلسطين وأورد قياسا هو الصواب الأصوب، فقال إن اليهود إذا توهموا لهم في فلسطين حقا، فحري بالعرب أن تكون لهم إسبانيا ثم ندد بسياسة الاستعمار الإنجليزي التي تخدع العرب عن أنفسهم وتريد للبهتان أن

[1] الدكتور حسين مجيب المصري: إقبال والعالم العربي، نقلا عن كتاب إقبال الشاعر الإسلامي الفيلسوف ص ٢٨٩

يستر الحقيقة وللزور أن ينطلي عليهم، فما أراد المستعمرون للبلاد عمراناً كمايدعون مكذبين، لأن ما خفي من مقاصدهم ليس من ذلك في كثير ولا قليل، كما نصادف عنوانا هو "إلى عرب فلسطين"، لندرك منه أنه يخاطبهم ناصحاً لهم موقظا هممهم مذكراً بضرورة شدة استمساكهم بحقهم، مستوجباً منهم أن يجابهوا اليهود بعزم أكيد، فهؤلاء القوم الظالمون المغيرون يريدون غصب أرضهم وغلبهم على حقهم، ورغب إليهم أن يذكروا مجد المسلمين الأوائل وكيف تأتي لهم بصدق إيمانهم أن يطوعوا التاريخ لإرادتهم، ولقد كانت حميتهم ناراً، فجدير بتلك النار ألا تخمد في صدور عرب فلسطين، ثم يعبر عن اعتقاده الجازم بعدم جدوى المحادثات والمؤتمرات في لندن ولا جنيف لحل مشكلة فلسطين، مادام اليهود مسيطرين على الغربيين متعهدين لأعمالهم وأحوالهم[١].

قد وجه محمد إقبال خطابه إلى الأمة العربية خاصة وإلى المسلمين عامة، ناصحاً لهم وموقظاً من سباتهم العميق لأن يعرفوا مكانتهم وقدرهم في سيادة العالم وقيادته، وهو في الواقع يريد استرجاع مجد الإسلام والمسلمين الذي كانوا يتمتعون به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين، وهو يقول أن المسلم المؤمن هو أصل العالم وسر هذا الكون: المسلم لم يزل يتحف كل عصر بعلومه وتوجيهاته، وينير ظلمات كل عصر بنوره وضيائه، ويضرب على وتر واحد، ويكرر رسالة الأنبياء، ويقول لكل جيل: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فهو كالصبح جديد وقديم، فهو في جدته ليس أجد منه، وهو في قدمه ليس أقدم منه، هو قديم لكنه يتجدد به العالم وتتجدد به الكائنات، وتنعش به القوى،

[١] الدكتور حسين مجيب المصري: إقبال والعالم العربي، نقلا عن كتاب إقبال الشاعر الإسلامي الفيلسوف ص ٢٨٧

وتستيقظ به الأجسام والقلوب والعقول، ثم هو جديد بنفسه، تتجدد قواه ويتجدد نشاطه، تتفتح قريحته مع العصور، علمه سيار وعقله مبتكر، ونفسه طموح وهمته وثابة، وهو كالمطر كل قطرة غير الأولى، ولكنها قطرات مطر، كلها تحيي الأرض، وكلها تنبت النبات، وكلها تسقي المزارع والأشجار، وكلها تفتح الأزهار، وكلها تكون الأنهار، وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: أمتى كالمطر لايدري أوله خير أم آخره[١].

وبكى مجدهم الغابر في الأندلس و حين زار مسجد قرطبة عام ١٩٣٢م، فصلى فيه وتذكر حضارة وأمة العرب التي كانت بالإسلام خير أمة أخرجت للناس، وكان محمد إقبال أول مسلم يسمح له بالصلاة في ذلك المسجد منذ خروج المسلمين من الأندلس في عام ١٤٩٢ م. وقد عبر عن مشاعره في تلك اللحظات بقوله : انظر أيها المسجد إلى هذا الهندي الذي نشأ بعيداً عن مركز الإسلام، ومهد العروبة، نشأ بين الكفار وعباد الأصنام كيف غمر قلبه الحب والحنان؟ وكيف فاض قلبه ولسانه بالصلاة على نبي الرحمة الذي يرجع إليه الفضل في وجودك، كيف ملكه الشوق؟ وكيف سرى في جسمه ومشاعره التوحيد والإيمان !!

وقد قال في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس عام ١٩٣١ م: إنني على إيمان ويقين أن مستقبل العرب مرتبط بالإسلام، وبالإسلام فحسب، ولابد من توحيد واتحاد صفوف المسلمين في المعمورة؛ لأن مصير المسلمين عربا وعجما، مصير واحد. لست خائفا من أعداء الإسلام، إنما أخشى من التفكك والتفرقة في صفوف المسلمين.

أمة الصحراء يا شعب الخلــود مــن ســواكم حل أغلال الــورى

---

[١] روائع إقبال للأستاذ أبي الحسن علي الحسنى الندوي ص ١٠٠

أي داع قبلكـــم في ذا الوجـــود صاح: لا كسرى هنـــا لا قيصـــرا
من سواكم فـــي حديث أو قديم أطلع القـــــرآن صبحـــا للـــرشاد
هاتفا فـــي مسمع الكون العظيم ليس غـــــيـــر الله ربا للعبـــــاد

حبه للغة العربية: أحب إقبال العرب وفُتن بلغتهم العظيمة، ولا غرو فهي لغة القرآن، لغة السماء زيادة على كونها لغتهم. وهو قد شحذ بأفكاره وأشعاره همم الهنود وأجج بحماسته عزائم الفرس وأطرب بنغماته الكواكب والأفلاك حتى وصلت إلى السماء السابعة. ولكنه تمنى لو تصل أصوات نايه الرخيم العذب القوي إلى مسامع العرب وتبلغ فحواها قلوبهم فيجمعوا شملهم ويعودوا أمة واحدة بعد أن صاروا أجزاءً متفرقة وأباديد، ويستأنفوا سبيل مجدهم الصاعد. لقد آلمه تفرقهم وتصدعهم فهو يتلهف على جمع شملهم.

فقد دَرَسَ العربيةَ عام ١٨٩٥م بعد أن أكمل تعليمه الثانوي في الكلية الحكومية بـــلاهور، وأتم دراسته إلى أن حصل على شهادة الماجستير، فعُين أستاذاً للغة العربية في الكلية الشرقية بـــلاهور، في مايو-أيار، عام ١٨٩٩م تسعة وتسعين وثمان مئة وألف للميلاد، مدة أربع سنوات.

ولدى إقامته في جامعة لندن؛ درَّس اللغة العربية مدة قصيرة، وفي لندن اضطُر الأستاذ أرنولد إلى الانقطاع عن عمله أستاذاً للغة العربية في جامعة لندن بضعةَ أشهر؛ فاختار محمد إقبال ليحل محله أستاذاً للغة العربية مدة ستة أشهر.

أما عن الشعر العربي وأدبه؛ فقد كان له باعٌ طويل فيه، فكيف لا يكون وهو الشاعر الذي لا يُشَقُّ له غبار، وهو المُطَّلِع على الكثير من آداب الشعوب الإسلامية والأجنبية، وهو القارئ الجيد للثقافة العالمية. وهكذا كان

شعر إقبال ينبض بالعربية، المستمدَّة من روح الإسلام وتعاليمه السمحة، ونجد أن محورَ فلسفته قام على هذا الروح.

يقول عنه أبو الحسن النَّدْوِيُّ: قدمت إليه ترجمتي لقصيدته البديعة "القمر" فتصفحها محمد إقبال، ووجه إلي أسئلة عن بعض شعراء العربية يختبر بها دراستي وثقافتي، وانتهى المجلس ورجعت معجبا بتواضع الشاعر العظيم، وبساطة مظهره، وعدم تكلفه في المعيشة والحديث[١].

وهو يقول عنه: "تحدث إقبال عن الشعر العربي القديم وتحدث عن إعجابه بصدقه وواقعيته، وما يشتمل عليه من معاني البطولة والفروسية، وتمثل ببعض أبيات الحماسة، وذكر أن الإسلام أثار في أتباعه روح الكفاح، وحب الواقع، ..... ، وذكر أن أوروبا إنما نهضت وملكت العالم لما ثارت على هذه الفلسفة ما بعد الطبيعة، وبدأت تشتغل بعلوم الطبيعة المجدية المنتجة، ولكن قد حدث وثار منه المسائل في هذا العصر ما يخاف معه أن ترجع أوروبا القهقري، وذكر أن العقل العربي كان أقوى على إساغة الإسلام إساغة صحيحة، وأجدر بحمل أمانته"[٢].

كان إقبال متمكناً من اللغة العربية، فقد حصل على البكالوريوس فيها من جامع بنجاب، لهذا ترى في أشعاره كثيراً من الكلمات العربية، إلى جانب التركية والفارسية، وكلها مذابة في اللغة الأردية، وقد رأى إقبال في الشعب العربي خير سند للإسلام، فخصه بعناية واهتمام، وكان ينظر إلى العرب واللغة العربية نظرة احترام وتقدير، والشعوب الإسلامية تعتقد اعتقاداً راسخاً أن اللغة العربية مفتاح الثقة في الدين فهي لغة القرآن والحديث والأدب، لقد ملك حب العرب قلبه وكان متفتح النفس تجاه جميع الأمم[٣].

---

[١] روائع إقبال للأستاذ أبي الحسن علي الحسنى الندوي ص ١٤

[٢] روائع إقبال للأستاذ أبي الحسن علي الحسنى الندوي ص ١٦

[٣] صفاء الدين محمد أحمد: إقبال شاعر الحب والإيمان، نقلا عن إقبال الشاعر الإسلامي الفيلسوف ص ٤٥٢

كان إقبال يعرف اللغة العربية، ترى في قصائد كثيراً من الكلمات العربية إلى جانب التركية والفارسية وكلها مذابة في الأردية، ونظر إقبال إلى العربية نظرة احترام لأنها لغة القرآن والحديث، وكان متفتح النفس تجاه جميع الأمم، أنه كاشف صادق لجوهر الحياة، وإقبال كان داعية من دعاة الإسلام الصادقين، وكان يعد نظام الإسلام حلا واقعياً للمشكلات، وكان يعتبر النظم الوضعية مرفوضة، لأنها لا تهتم بطمأنة الروح، وأراد إقبال أن يقدم للمسلمين ما رأى أثناء رحلاته من مساوئ وأضرار، وأوضح أن الإسلام دين إنساني يدعو إلى المساواة بغض النظر عن الجنس واللون والمذهب، والحدود الجغرافية في نظره عقبة تمنع التقدم، ويرى إقبال أن الأمة الإسلامية يجب أن تعيش في اتحاد ووئام، فديننا واحد، ورسولنا واحد، وقرآننا واحد، ومما يؤكد عالمية نظرته، إلحاحه على مبدأ وحدة الأصل الإنساني[١].

وينقل أبو الحسن الندوي حديثَ إقبال إليه عن اللغة العربية، فيقول:" قال: أشرتُ على بعض أمراء المسلمين، أصحابِ الإمارات الهندية؛ بنشر الإسلام في غير المسلمين، ونشر الثقافة الإسلامية، وإحياء اللغة العربية وآدابها في هذه البلاد"[٢].

ويبقى إقبال عبقرية أهداه الزمن إلينا ليبين لنا قيمة العربي عنده وإخلاصه للغة القرآن في إعجازه وبيانه وصوره ولأن منبعه كان القرآن كان بلاغيا مبدعا ، وجعل الرسول قدوته فهو القائل :

نفس الأمي مشهــور اللقب جعل البستـــان صحراء العرب

***

[١] الأستاذ علاء الدين حسن: محمد إقبال رائد التجديد،نقلا عن إقبال الشاعر الإسلامي الفيلسوف ص ٤٤٣

[٢] روائع إقبال للأستاذ أبي الحسن علي الحسنى الندوي ص ١٨

الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي وآثاره العلمية

الدكتور محمد أجمل القاسمي*

في الواقعِ، شخصٌ واحدٌ يتمكن له من أن يغيّرَ التيارَ من اتجاهٍ إلى اتجاهٍ ويحوّل مجرىَ التاريخ ويأتي في زمن قصير بالأعاجيب التي تأخذ بالألباب، وكم حدثَ في التاريخ مثل هذه الأحداث، فهو الشيخ الإمام المحدث الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (١٧٠٣ – ١٧٦٢م). ويأتي في زمن عصيبٍ قد أحدقَ بالإسلام جميع أنواع المخاطر من بدعة وضلالة، فيدرس القرآن والسنة ويفهّمهما فهماً بالغاً قد عجز عن ذاك الفهم الآخرون ويحوّل مجرى التاريخ بعلمه وفكره، وهو الشيخ سيد أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي (١٧٨٦ – ١٨٣١م) يفتح عينيه في هذه الدنيا فيشاهد الإسلام وتعاليمه وشريعته الغرّاء في خطر، فإنه وحيد بعزمه القوي وهمته العالية يفعل ما لا يستطع أن يفعله الآخرون فهو يقيم الحكومة الإسلامية على أرض الله الصمد، ولكن الزمان لا يجود بمثل هؤلاء الرجال الأفذاذ إلا قليلاً وفي زمن معلوم لا يعرف أهميته إلا الله. وكذلك اختار الله سبحانه وتعالى الشيخ المحدث سيد نذير حسين الدهلوي (١٨٠٥ – ١٩٠٢م) أن يكون علَماً

* أستاذ محاضر بمركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو- نيودلهي

من أعلام الفكر والاجتهاد والتقوى والعمل، ويغير بمشيئة الله وقواه العلمية والفكرية العملية مجرى التاريخ، وإذا درسنا سيرة الشيخ نذير حسين لوجدنا أن الزمن الذي ولد فيه كان زمناً مظلماً حالكاً للإسلام والمجتمع الإسلامي والمسلمين، كانت البدع والخرافات والأدواء الخلقية تنخر جسد الحياة الإسلامية وتمتص دماءها وتتركها جثة هادرة بقيت فيها الأنفاس تكاد تموت بين حين وآخر.

فقد كان الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي متبحراً في العلم بين العلماء المعاصرين، وأحد رموز أساتذة الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم وعلومه التي أنجبتها الهند، عجز الاستعمار الإنجليزي البغيض عن اختراقه رغم جميع ما ركّزه من الموارد لشطب الإسلام من شبه القارة الهندية ولإعادة واحات المأساة التي قام الصهيونيون بممارستها مع الإسلام والمسلمين في العهد الأموي بالأندلس.

نشأته

هو الشيخ سيد نذير حسين بن جواد علي بن عظمة الله بن الله بخش الحسيني وُلد في سنة ١٨٠٥ الميلادية بقرية "بلتوا" التي تقرب بمدينة سورج غراه في مديرية مونغير بولاية بيهار–الهند، وتقع هذه المدينة على شاطئ نهر غنغا بمسافة حوالي عشرين ميلاً من مدينة مونغير غرباً، وثمانين ميلاً من مدينة عظيم آباد (باتنا) شرقاً، نشأ وترعرع نذير حسين في بيئة مثقفة دينياً إسلامياً في المدينة إياها.[١] استمتع الشيخ نذير حسين بأسرة أرستقراطية هذا ما يقال أسر السادات الحسينية أباً وأماً وكان يحمل بلقب "ميان صاحب"

[١]. سيد بن حسين العفاني: "زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين"، دار العلم للملايين، بيروت، ط. ١٩٨٨، ص. ١١٩.

بعد ما صارت له شخصية بارزة من حيث قدرات ومؤهلات تعليمية متفوقة. وهو كان معروفاً آنذاك بلقب "ميان صاحب"، ويعرب العلماء عن آرائهم حول اللقب يوجهه عامة الناس له، حيث كان سكان دلهي يصفون أعضاء عائلة الشيخ الشاه ولي الله المحدث الدهلوي البارعين بـــ "ميان صاحب" ولذلك توصف ابنه الأكبر الشيخ المحدث الشاه عبد العزيز بـــ "ميان صاحب"، وحينما تولى الشاه محمد إسحاق منصب جده (من الأم) الشاه عبد العزيز فهو كذلك وصف بنفس اللقب، فنقلاً عن هذه المؤشرات السابقة عندما سلّم الشيخ الشاه محمد إسحاق هذا المنصب لنذير حسين وذلك بعد ما هو غادر دلهي متوجهاً إلى مكة المكرمة بقصد الهجرة، تم انتقال هذا اللقب إلى الشيخ سيد نذير حسين. ومن الأخذ بعين الاعتبار أصبح نذير حسين حفيداً لشاه ولي الله وقد جرت العادة بين مسلمي مدينة دلهي بما يستدعي نذير حسين كأحفاد ولي الله الروحانيين بسبب توليه منصب الشيخ محمد إسحاق علماً وروحانياً. وبدأ عامة الناس يعتبرونه من أحفاد الشيخ ولي الله الروحانيين.[١]

وتجدر الإشارة الى أنه مُنحَ له لقب "شيخ الكل في الكل" عند ما سافر نذير حسين إلى مكة المكرمة في عام ١٣٠٠ الهجري، وذلك نظراً لكثرة تلاميذه، وطول مدة تدريسه وتُعنى به أنه شيخ كل العلماء في كل العلوم وكذلك للتمكن من الحصول على مزيد من الدراسات في الأحاديث النبوية[٢] ومن دون شك، ظلت مكة المكرمة مركزاً هاماً لدراسة الحديث في تلك الأيام فصاعداً. كما كانت ملجأ للعلماء والمحدثين، فمنهم من تعاملوا مع

[١] . فضل حسين المظفرفوري: "الحياة بعد المماة"، ط. المكتبة النذيرية، قصور باكستان، ١٨٣٢، ص.١٩

[٢]. عبد الرحمن الفريوائي: "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة" ط. إدارة البحوث الإسلامية، بنارس، ص. ٣٤

الشيخ نذير حسين تأثر متأثرا بالغاً وقاموا بمنح هذا اللقب أما تلاميذه يدعونه ويصفونه بـــ "شيخ الكل" فقط، بدلاً عن "شيخ الكل في الكل" في كتاباتهم ومذكراتهم. إلاّ أن الشيخ نذير حسين بنفسه كان يفضل لقب "ميان صاحب" المنسوب إلى الشيخ الشاه محمد إسحاق وتالياً إلى المحدثين الكبيرين ولي الله ونجله عبد العزيز رحمهما الله تعالى.

والجدير بالذكر، أنه لم يعتن باللقب الذي سمحت الحكومة الإنجليزية بسبب ولائه معها، وذلك لقب "شمس العلماء" حيث يقول: إنه لا يحتاج إلى لقب آخر بعد أن وصفنا القرآن الكريم بـــ "حنيف مسلم"، وهذا يكفي، وكان يصر هو على اللقب "ميان صاحب" ويعتبر هذا اللقب كسعادة وفخرة له.

انتقال أجداد نذير حسين إلى قرية سورج غراه

قام بعض أفراد من الأقلية المسلمة في بعض من أحياء البلاد بذبح البقرة اختفاء من أنظار الناس أو بشكل تحايلي وعمت الحادثة بين الهندوس بصورة سريعة وكان ذبح البقرة غير مسموح رسمياً فلذلك كان ذنباً كبيراً في ذلك العصر، بالنتيجة تم اقتتال بعض المسلمين في أماكن شتى أرجاء البلاد وكان صدر الأمر من الملك الحاكم أندردون[١] في المنطقة تأتي تحت ضمن نطاق صلاحية حكمه بذريعة خطابه الهائج إلى متبعيه المتشددين وذلك خلال عهد الملك قطب الدين أيبك حيث كان يعتلي منصب الحكومة في عاصمة دلهي.

ولما عم خبر الحادث المؤلم واستمع عليه الملك قطب الدين أيبك في دلهي العاصمة الهندية، فأرسل جيشاً كبير الحجم لسد هذه الاضطرابات التي

---

١. عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر"، ج٥، ط. دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٩، ص. ٣٠٨.

ظهرت عقب حدوث حادثة ذبح البقرة، كذلك توجه ستون ضابطاً من كبار علماء السادات إلى موقع الحادث وكان واحد منهم "أحمد الشاه جاجنيري" وهو من أجداد الشيخ نذير حسين. وغلب هذا الجيش المبعوث على الملك أندردون، وخلال ذلك، تم التوقيع على اتفاق بأن الضابطين المعارضين الهاجمين ضد جيش الملك أندردون يلجؤون حيثما يودون في بقعة من بقاع البلاد بحسب حسن سكنهم، فاستوطن الشيخ أحمد جاجنيري مدينة "سورج غراه"[١] وعاشت فيها أسرته ومعظم أبنائه ومن بينهم كان الشيخ جواد علي بن عظمة الله بن الله بخش الحسيني الذي تشرف بأن يكون أبا الشيخ نذير حسين. جواد علي كان ذكياً حاداً بين أبنائه الآخرين في الكتابة والقراءة، وتعلم اللغة العربية والفارسية وتوفق وأتقن في كلتي اللغتين بأحسن درجاتهما ولبى جواد علي دعوة الأجل في نفس القرية ودفن فيها.[٢]

إن أحوال طفولة الشيخ نذير حسين ليست لها أهمية خاصة حيث إنه لا يبذل جل اهتمامه إلى الدراسة والكتابة، بل كان يفر من الدراسة ويرغب في اللهو واللعب، وليس من المستغرب، إن هذا اللهو والاشتغال بالألعاب الرياضية في ريعان شبابه أدى إلى حسن صحته وسلامة جسمه فإننا نراه في أواخر سنه صابراً حليماً ولم يكن يشعر بالملل والإعياء في سبيل أهدافه وغاياته، وإذ أنه كان من أسرة العلماء والقضاة الأجلاء مع أنه لم يكن جدياً خلال طفولته واكتسب كثيراً من العلم والفضل بعد أن كبر في السن.

---

[١] محمد ميان: "علماء هند كا شاندار ماضي"،

[٢]. أبو يحي خان نوشهروي: "تراجم علماء اهل حديث". ط. مكتبة الكتاب انترانيشنول، نيودلهي ١٩٩٢، ص. ١٣٤.

الرغبة في العلم

الشيخ نذير حسين يحرص على اتخاذ أصدقاء من الشبان أو من عامة الناس المعاصرين، بالرغم من أنه يتمتع بالبيئة الأرستقراطية المترفة، وكان فتى من الطبقة البراهمة الهندوسية صديقا له في قريته الذي ربما يقوم باللقاء ويحمل علاقة وطيدة مع أبيه.

وذات يوم قال لسيد نذير حسين بأن قدمك على عتبة الشباب ولم تدرس شيئاً من العلم مع أن كلاّ من أسرتك بارعين في العلم والفضل، أما أنت فستبقى جاهلاً. فهذه الملامة والنصيحة أثارت كوامن نفسه وأحدثت شعورا طاغياً، فمال إلى الدراسة والحصول على العلم والفضل ميلاً عظيماً. ودرس الفارسية من أبيه الشيخ جواد علي الذي كانت له مهارة تامة في هذه اللغة السائدة في زمنه ثم درس الكتب العربية الابتدائية كذلك تعلم الخط والإنشاء في قريته إياها، ونهل من ينابيع مختلفة. ودرس عديداً من العلوم والفنون حتى اشتهرت براعته في الفقه والحديث.[١]

وفي غضون ذلك يختلج في قلبه شوقٌ إلى تحصيل الدراسة العليا، وهذا الشوق حثّه أن يغترب عن قريته الجدّية وقصد المغادرة الى مدينة باتنا (عظيم آباد) وحال كون عمره ستة عشر عاماً. فلما أدرك رائجة العلم والمعرفة خرج من القرية تحمل مشاق السفر عن القرية للحصول على هدفه وهي القراءة والدراسة وبذلك جهودا كبيرة بهذا الشأن، واستشار مع زميل له كان يحرض على العلم أيضا فشدّ الرحال في ليلة مظلمة وقاما باللجوء إلى مدينة صادق فور وهو المكان الذي كان معروفا بالعلم والفضل يتوافد إليه الطلاب من جميع أنحاء البلاد للدراسة آنذاك. فقرأ سيد نذير حسين

[١]. محمد اجتبا ندوي: الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره"، ط. جامعة ميشيغان ١٩٩٩، ص. ١٠٢.

على أساتذة صادق فور ودرس هناك ترجمة القرآن وكتاب مشكاة المصابيح.[١]

اللقاء بالسيد أحمد البريلوي والشاه إسماعيل الشهيد

وفي أثناء ذلك، بلغ إليه خبر قدوم سيد أحمد البريلوي وإسماعيل الشهيد فوصلا إلى مدينة باتنا (عظيم آباد) فأدرك سيد نذير حسين بتلك المدينة وسار حتى زار إلى زعيمي حركة الجهاد الإمامين الشهيدين في عام ١٢٣٧ الهجري/١٨٢١ الميلادي، فاستمع سيد نذير حسين إلى خطاباتهما الدينية الإسلامية والإصلاحية في الحفلة التي انعقدت في غاندي مايدان (الساحة الغاندية) بمدينة باتنا. الكلمة التي ألقاها الشهيدان تركت أثراً كبيراً في عواطفه وأحاسيسه وأفاضت نوراً متألقاً على أفكاره وأخيلته حتى امتلأ خاطره بالإيمان وتجلى قلبه بنور المعرفة.

وكان يقول سيد نذير حسين: "إننا حضرنا تلك الحفلة ثم حان وقت الصلاة فأديناها في ساحة غاندي لمدينة باتنا بمناسبة حضور سيد أحمد البريلوي والشيخ إسماعيل الشهيد وكنت الساحة مملوءة بالحاضرين، ولقيت بهما للمرة الأولى في مدينة "باتنا".[٢]

الارتحال لطلب العلم العالي

رحل سيد نزيد حسين لطلب العلم إلى صادق فور والتحق بمدرسة "مولوي عنايت علي" وكان الشيخ عنايت علي من كبار علماء "صادق فور" (Sadiqpur) ومؤسس مدرسة "صادق فور"، وكانت هذه المدرسة آنذاك مدرسة شهيرة ومعروفة بالعلم والفضل يتوافد إليها الطلاب ورجال الدين

١. محمد ابراهيم سيالكوتي: "تاريخ أهل حديث"، ظ. الكتاب انتراناشيونال، نيودلهي ١٩٩٥، ص. ٤٢٦.
٢ عبد الحيء الحسني: "نزهة الخواطر ج/٨، ط. دار عرفات رائى بريلي ١٩٨٤م، ص. ٥٣٢.

من أرجاء البلاد، فقرأ هناك سيد نذير حسين بعض الكتب الابتدائية المهمة ولم يلبث فيها إلاّ ستة أشهر. ثم غادرها متوجهاً إلى مدينة دلهي ماكثاً في أماكن عديدة حتى أقام في أثناء سفره بقرى مختلفة مثل "مدينة غازيفور" (Gazipur) وسكن فيها أياما غير كثيرة ثم وجه إلى مدينة إله آباد وأقام بها، وقرأ المختصرات الدراسية على أعيان تلك المدينة ولاحقاً وصل إلى مدينة دلهي في سنة ١٢٤٨ هـ/١٨٣٢م.

وحلّ الشيخ نذير حسين شمس العلماء في مدينة دلهي عام ١٨٢٨م ولكنه نزل بها بعد فترة مديدة وجعل مسجداً ملجأ له يسمى بـ "مسجد أورنغ آبادي" يقع في حي "كاترا بانجابي"، وكان هذا المسجد فخماً شامخاً ونال مكانة مرموقة بين مساجد دلهي الأخرى، ولم يكن هذا المسجد أقل بهاء ورونق من المسجد الجامع ومسجد فتح فوري، لكن "مسجد أورنغ آبادي" ذهبت ضحيته بسبب توسيع محطة القطار بدلهي".[١]

وتلمذ الشيخ نذير حسين على أساتذته، وقرأ الكتب المتداولة على مولوي عبد الخالق وأخذ الأصول والبلاغة والتفسير من الشيخ كرامت علي الإسرائيلي، والأدب من الشيخ عبد القادر الرامفوري وتخرج من ذلك في خمس سنين.

ثم لازم الشيخ نذير حسين بالشاه محمد إسحاق سبط (ابن بنت) الشيخ عبد العزيز بن ولي الله المحدث الدهلوي وأقام تحت إشرافه ورعايته حوالي ثلاثة عشر عاماً، وتشبع بعلومه واستغرف من بحار عرفانه، وفاق في العلم والفضل، فاستخلفه الشيخ محمد إسحاق منصبه عندما قام بهجرته إلى مكة

---

[١]. فضل حسين : "الحياة بعد المماة"، ص. ٣٢، أنظر كذلك "دهلي كى تاريخى مساجد"، عطاء الرحمان قاسمي، ط. أبو الكلام آزاد اكيدمى، نئ دهلى ٢٠٠٦، ص. ٩٥

المكرمة عام ١٢٥٨ الهجري/١٨٤٢ الميلادي فعكف على هذا المنصب، وتصدر للتدريس والتذكير والإفتاء، ودرّس الكتب الدراسية من كل علم وفن لا سيما الفقه والأصول لغاية سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م وكانت له عناية كبيرة في الفقة الحنفي ثم غلب عليه حب القرآن والحديث فترك اشتغاله بما سواهما إلا الفقة فأصبح من أهل الحديث (الغير المقلدين).[١]

وكان الشيخ نذير حسين أخصَّ تلامذة الشاه محمد إسحاق، وأخذ عنه ما لم يأخذه غيرُه، وكان يجعله يفتي ويقضي بين الناس بحضرته، ويمتحنه كثيراً بالمشكلات ويجيبه، وأجازه غير مرة، ثم استخلفه على مسند تدريسه لما ارتحل للحجاز سنة ١٢٥٨هـ. وأعاد كتابة الإجازة له، ولُقِّب نذير حسين بـ "ميان صاحب".

أساتذة الشيخ نذير حسين

لدى إقامته بمدينة صادق فور في ولاية بيهار، درس الشيخ نذير حسين هنالك ترجمة القرآن الكريم وكتاب مشكاة المصابيح على الأستاذ الشاه محمد حسين وهو خليفة مولوي عنايت علي الصادقفوري. ثم نزل بمدينة غازي فور–اوترابراديش حوالي ثلاثماية كيلومتر من العاصمة–دلهي مسافة، ودرس هناك على مولوي أحمد علي تيشرياكوتي، ثم وصل إلى دلهي في سنة ١٢٤٢هـ وتلمذ أولا لدى الأستاذ الشيخ عبد الخالق وهو تلميذ الشاه محمد إسحاق المحدث ودرس عليه من الكتاب التالية: الكافية، والقطبي، والمختصر المعاني وحسامي وبعضاً من الكتب الفقهية.

---

[١]. عبد الرحمن الفريوائي: "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، ط. إدارة البحوث الاسلامية بنارس، ١٩٩٢م، ص. ١٨

وقرأ كتاب شرح جامي، وصدرا، وشمس بازغة للملا محمود الجونبوري على الأستاذ ملاّ أخوند شير محمد وهو تلميذ الشاه عبد القادر بن الشاه ولي الله وزميل في فصل الصحيح البخاري للشاه محمد إسمعيل الشهيد. ودرس الشيخ نذير حسين على الأستاذ كرامت علي الإسرائيلي مؤلف "السيرة الأحمدية" الكتب كما تلي : المطول، والتلويح، ومسلم الثبوت، وعدد من الكتب التفاسير وغيرها. وهو كان تلميذ فضل إمام الخير آبادي والشاه رفيع الدين ابن الشاه ولي الله المحدث الدهلوي.

وأخيراً لازم الشاه محمد إسحاق الدهلوي وأخذ منه الحديث والتفسير ودرس عليه كتاب كنزل العمال والجامع الصغير وغير ذلك.[١]

"وفي الواقع أن الشيخ نذير حسين ينتمي إلى الزعماء البارعين من حركة أهل الحديث، وهو خليفة الشاه محمد إسحاق جيلاً بعد جيل منه إلى الشاه عبد العزيز والشاه ولي الله حتى وصف بلقبهم "ميان صاحب".[٢]

الإفتاء والتدريس

تولى الشيخ نذير حسين منصة التدريس، بدأ يقوم بإجراء الفتاوى حلاّ محل شيخه الشاه محمد إسحاق، وتحمل مسؤولية التدريس جميعا من المواضيع المتعلقة بالفنون والأصول لفترة طويلة وذلك حتى عام ١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٣م وكان مولعاً بالفقه الحنفي كما قال العلامة عبد الحي الحسني الحنفي، وأضاف الشيخ شمس الحق العظيم آبادي (١٢٦٩-١٣٢٩

[١]. فضل حسين : "الحياة بعد المماة"، ص. ٣٥

[2] . Barbary Daly Metcalf: "Islamic Revival in British India, Deoband 1800-1900", Princeton University Press, New Jersey, 1982. P. 276

هـ/١٨٥٢-١٩١١م): كان كلُ مسائله بين عينيه؛ يأخذ ما يريد ويدعْ ما يشاء.[١]

ثم غلَب عليه حبُّ القرآن والحديث، فترك الاشتغالَ بما سواهما إلا الفقه. ولكنه اشتهر بتدريس كتب الحديث رواية ودراية، وذاع صيته بحيث يتلقن تلاميذه محاكاة نهج سلف أهل الحديث اعتقاداً وعملاً، وأعطاه الله قَبُولاً عظيماً، حتى ارتحل إليه الطلبةُ من سائر أنحاء الهند، بل تجاوزت سمعته إلى عدة البلاد العربية، فجعل يرحل إليه عددٌ من علمائها، وكثر طلبته غير محصى، حتى قال تلميذُه العظيم آبادي: "وقد نفع الله تعالى بعلومه خلقَه، وله لطفاً عظيماً على خلق الله تعالى، حتى يتشكل تناوله دراسة الفقة بشكل ملموس وإشاعة علم الحديث بصورة مكثفة، وهكذا قام بترويج علم السُّنن، حيث ظهرت آثار السنَّة النبوية كنوافير أنوار الفيضانات له وينابيع الأفكار والأبحاث من كافة الجهات – وإن كان غيره من النبلاء الأتقياء المحققين مشاركاً فيها – ليس في بلاد الهند بلدٌ بل ولا قرية إلا بلغت فيضاناته، وتلاميذه موجودون فيها، يروون الأحاديث، ويروِّجون السنن، ويطهِّرون الناس عن اعتقاد الشرك والبدعات والمنكرات والمُحْدَثات، ولم يتم حصر تلاميذه ببلاد الهند فحسب بل انتشر تلاميذُه في الآفاق من العرب والعجم.

شغفه بالدراسة والمطالعة

الشيخ نذير حسين كان مولعاً بالدراسة والمطالعة منذ حداثة سنه، ومن حسن حظه، حينذاك، توجد في مدينة دلهي مكتبتان هائلتان: إحداهما

[١]. عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر"، ج5، ص. ٣٨

المكتبة الحكومية في الحصن التي كانت تذخر فيها الكتب الدينية المتنوعة منذ آلاف سنة، وفي إطار ذلك كان الشيخ نذير حسين يحب ولي العهد العائد لبهادور الشاه ظفر، ميرزا فخر الدين، الذي حاول في أكثر الأحيان بخصوص توفير الكتب والمجلات للمكتبة الآنفة الذكر. والمكتبة الثانية التي تقع في مدينة دلهي أيضا ويكون بابها مفتوحا لجميع النفوس، ويملك عليها الشيخ الشاه عبد العزيز (١١٥٩-١٢٣٩هـ/١٧٤٦-١٨٢٣م) نجل الشاه ولي الله الدهلوي واستفاد منها كثيراً. واقتصر الشيخ نذير حسين أن يمتلك على مكتبة بنفسه فبدأ يحاول تذخير الكتب والمخطوطات فيها من جميع أقطار البلاد، ومعظمها كانت كتباً خطية نادرة لم يتحول أحدٌ انتباهه إلى الطباعة والنشر ولذلك فقدت أكثرها خلال ثورة الاستقلال عام ١٨٥٧م.[١] واشترك في نشاطات الكفاح لاستقلال الهند. ويبدوا في بعض المراحل أنه قام بالولاء مع الحكومة الإنجليزية.

وكان الشيخ نذير حسين يدرِّس أكثر من أوقات الليل والنهار، وقد كان وزّع كل لحظات وقته ما بين التدريس والإفتاء والعبادة، وكان له مجلس للوعظ والإصلاح بعد صلاة الفجر يحضرُه عدد كبير من محبي العلم والمعرفة ويصغون بكل عناية واهتمام، واشتهر بتدريس كتب الحديث رواية ودراية، وكما قمنا بطرح آرائنا أنه كان على نهج السلف إتقانا وإيمانا، وتوجب الله نصيبه بقبول حسن وعناية عظيمة، حتى حلوا إليه الطلبةُ من سائر أقطار البلاد، بل انتشرت رائحة خدماته إلى المناطق العربية، فارتحل إليه عددٌ من علمائها، وكثر طلبته بحيث لا يحصى، حتى قيل: "وقد نفع الله تعالى بعلومه خلقَه، وله منَّة عظيمة على خلق الله تعالى.

---

[١] أبو يحيى نوشهروي: "تراجم علماء أهل حديث". ص. ١٤٦

وقال عبد الحي الحسني: "وأما تلاميذه فعلى طبقات عدة؛ فمنهم العالمون الناقدون المعروفون، فلعلهم يبلغون إلى ألف نفس، ومنهم المقاربون بالطبقة الأولى في بعض الأوصاف، ومنهم من يلي الطبقة الثانية، وأهل هاتين الطبقتين يبلغون إلى الآلاف... وخلق لا يُحصون".[١]

وقد أحصى المقيّمون على مدرسة الشيخ الطلبةَ الذين سكنوها في مدة سبع سنوات، فبلغوا اثني عشر ألفاً، هذا سوى الذين كانوا يحضرون ولا يقيمون في المدرسة و لم يتم العثور على تلميذ تتلمذ عليه وذاق لذاذة علمه ومعرفته وتخرَّج عليه عددٌ يضاهي من تخرج على يدي نذير حسين، وقد قام بالتدريس لهم بضعاً وستين سنة. ونظراً لكثرة تلاميذه[٢].

وفي المقابل تدريسه العلمي يوجهه الشيخ بكل اهتمام وعناية ويربي التلاميذ سلوكيّاً وعمليّاً بسَمْته وهديه، كذلك تصدر من شخصيته قصص وإعتيادات ذات عبرة، حيث أن ذات يوم في المساء هطلت أمطارٌ غزيرة، وامتلأت الأسواقُ والشوارع بالمياه، كان الفصلُ فصلَ الشتاء، وكان الشيخ نذير حسين قد رجَع إلى بيته بعد صلاة المغرب، إلا أن جميع الطلبة ظلوا في داخل المسجد، ولم يتمكنوا على توفير أمور الطعام، واستمر المطر يَهْطِلُ حتى نصف الليل، وسمع من في المسجد طَرَقات على باب المسجد، ولما فتحوا الباب وجدوا الشيخ نذير حسين واقفاً وقد حمل جميع ما في بيته من طعام حتى لا يموت الطلابُ جوعاً.[٣]

---

[١]. عبد الحي: نزهة الخواطر ج ٤، ص: ٢٣٥

[٢]. أبو يحيى نوشهروي: "تراجم علماء أهل حديث". ص. ١٥٦

[٣]. غلام رسول مهر: "يوميات رحلة إلى الحجاز" (الترجمة العربية، ط دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٩٧٨، ص. ٣٧.

أشهر تلامذته

قام ناقدوه بالمناقشة على الاختيار بين تلاميذه الكبار، ويبدو واضحا أسماء بعضهم، فمنهم: ابنه شريف حسين الذي توفي في حياة والده، وعبد الله الغزنوي، وأبناؤه محمد وعبد الجبار (١٢٦٨-١٣٣١هـ/ ١٨٥١-١٩١٢م) وعبد الواحد وعبد الله، ومحمد بشير السهسواني (توفي في ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، وعبد المنان الوزير آبادي (١٢٦٧-١٣٣٤ه/١٨٥٠-١٩١٥م)، ومحمد حسين البتالوي (١٢٥٦-١٣٣٨ه/١٨٤٠-١٩١٩م)، وعبد الله الغازيفوري، وشمس الحق العظيم آبادي، وعبد الرحمن المباركفوري (توفي ١٣٥٣ه/١٩٣٤م)، وأحمد الله البرتابغرهي (١٢٨٢-١٣٦٢ه/١٨٦٥-١٩٤٣م)، وعبد السلام المباركفوري، وأبو المكارم محمد علي المووي، وأحمد بن حسام الدين المووي، وأبو القاسم البنارسي، وثناء الله الأمرتسري (١٢٨٥-١٣٦٧ه/١٨٦٨-١٩٤٧م)، ومحمد نعمان الأعظمي، ويوسف الخانفوري.[١] وهو أحد من نشر علم الحديث في العراق - وأبو سعيد شرف الدين البنجابي. بالإضافة إلى أنه تجمع من تلامذة البلاد العربية واشتملوا على إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ، وسعد بن حمد بن عتيق (١٢٦٧-١٣٤٩ه/١٨٥٠-١٩٣٠م)، وعلي بن ناصر أبو وادي، وفوزان السابق، وأبو بكر خوقير، وعبد الله بن إدريس السنوسي المغربي (توفي سنة ١٣٥٠ه/١٩٣١م)، وغيرهم كثير حتى قام تلميذه فضل حسين آخرَ كتابه "الحياة بعد الممات" بإحاطة أسامي خمس مئة عالم من تلامذته.[٢]

---

[١] شيخ محمد إكرام: رود كوثر: كتابى دنيا نيودلهي ١٩٨٥ ص. ١٢

[٢]. تلطف حسين: "مقدمة المعيار الحق"، ص. ٨٨

محنته بسبب دعوته للسنَّة

نظراً لما كان عليه الشيخ نذير حسين من اتِّباع ودعوة لمنهج أصحاب السلف، واشتهار وكثرة في التلاميذ، فقد أصابه ما أصاب غيره من المصلحين، فأوذي وعودي من المخالفين والمتعصبة، والحاسدين، وابتُلي في ذات الله غير مرة، واستطال عليه أعداؤه استعانة بالمحتل الإنجليزي! – كما فعلوا مع العلامة صدِّيق حسن خان – واتهموه بالخروج على الولاة والاعتزال عن السنَّة، فسجنه الإنجليز سنة ١٢٨٠ه تقريباً في روالبندي بباكستان سنةً كاملة، ولما أُطلق سراحه رجع إلى التدريس والإفادة كعادته، ولما حج سنة ١٣٠٠م سبقه كيد أعدائه وسعيهم عند والي مكة واتهموه بما هو بريء منه، فسجنه، وأراد به سوءاً، ثم جرى إطلاقه.

ثم إنه لما عاد إلى الهند، أُتُّهم بإفشاء البدعات والخرافات حتى قام عليه الحاسدون بادعاء التكفير، كما كفَّر الناسُ في الزمان السالف كبارَ العلماء من الأئمة المجتهدين، ولكن الشيخ نذير حسين، فإنه كان آية ظاهرة، ونعمة باهرة من الله سبحانه في التقوى والديانة، والزهد والعلم والعمل، والقناعة والعفاف، والتوكل والاستغناء عن الناس، والصدق وقول الحق، والخشية من الله، والمحبة له ولرسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – اتفق الناس ممن رزقه الله سبحانه وتعالى حظاً من علم القرآن والحديث على جلالته في ذلك، وقال العلامة العظيم آبادي: "امتُحن وأوذي مرات، وكم من حاسد افترَوا عليه بالأباطيل والأكاذيب، وكم من معاند له تقوَّلوا عليه بما لم يقل به، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون، لكن هو لا يخاف في الله لومة لائم".[١]

---

[١]. العظيم آبادي: "تذكار نذير حسين"، ص. ٢٢.

مؤلفات الشيخ نذير حسين

"ولم يكن الشيخ نذير حسين كثرة اشتغال بالتأليف، ولو أراد ذلك لكان له في الحديث ما لا يقدر عليه غيرُه، وله رسائل عديدة. وأما الفتاوى المتفرقة التي شاعت في البلاد فلا تكاد أن تحصر، وأعتقد بأنها لو جمعت لبلغت إلى مجلدات ضخمة".[١]

ولكن الحقيقة هي أن مؤلفاته التي هي موسومة بأساميها فلم يتم العثور عليها إلا "معيار الحق"، وذلك باللغة الأردية، وهذا كتاب لم يؤلَّف مثله في بابه، و"واقعة الفتوى ودافعة البلوى"، و"ثبوت الحق الحقيق"، و"رسالة في تحلي النساء بالذهب"، و"المسائل الأربعة"، وكلها (الأردية)، و"فَلاح الولي باتباع النبي"، ومجموعة بعض الفتاوى، وهاتان الرسالتان بالفارسية، و"رسالة في إبطال عمل المولد" بالعربية، أما الفتاوى المتفرقة التي شاعت في البلاد والقرى وانتفع بها الناس فكثيرة، ما بين مطوَّل ومتوسط ومختصر، بالألسنة الثلاثة المذكورة، يعسر عدُّها، ونعتقد أنها لو جمعت لبلغت إلى مجلدات ضخام، وإن سُمِّيت فتاواه على نمط رسائل الحافظ السيوطي وجُعلت رسائل مستقلة في كل باب بلغت إلى مئتين".[٢]

"رَتَّب بعض تلاميذه فتاواه في جزأين كبيرين باسم الفتاوى النذيرية، ولو رتب أبحاثه وفتاواه كلها لكانت في مجلدات عديدة، وله كتاب جليل في مباحث الاجتهاد والتقليد "معيار الحق"، وقد ذكر مؤلف "الحياة بعد الممات" سبعة ثلاثين بحثاً أو كتاباً له.[٣] فإن هذه الرسائل طبعت قديماً ولم يتم

---

[١]. عبد الحيء: "نزهة الخواطر" ج٦، ص. ١٤٢

[٢]. العظيم آبادي: "دراسة نذير حسين"، ص. ٥٥.

[٣]. عبد الرحمن الفريوائي: "جهود مخلصة"، ص. ١٠٥.

تجديدها وتنجيدها، وقد مضى على وفاة هذا الإمام قرناً أو أكثر، فيجب على علماء تلك البلاد إعادةُ إحياء تراثه وإخراجه من جديد مع جميع ملاحظاته وملحقاته.

ثناء العلماء عليه

يقول العلامة المتفنن صِدّيق حَسَن خان القِنَّوجي: إنه هو "شيخُ الإسلام، ومركزُ علوم الاستجازة والسماح، والعالمُ الخبيرُ حقيقةَ ومَجازَه، ومن المثل السائر: لا يُفتى ومالكٌ في المدينة، ولا يسند والحاكم ببغداد".[١]

إن الذي أعلمه وأعتقده وأتحققه في مولانا السيد الإمام، والفرد الهمام: نَذير حسين الدِّهْلَوي أنه فَرْدُ زمانه، ومُسنِدُ وقته وأوانه، ومن أجلِّ علماء العصر، بل لا ثاني له في إقليم الهند في علمه وحلمه وتقواه، وأنه من الهادين والمُرْشِدين إلى العمل بالكتاب والسنة والمعلِّمين لهما، بل أجلُّ علماء هذا العصر المحققين في أرض الهند أكثرُهم من تلاميذه، وعقيدتُه موافقةٌ لعقيدة السَّلَف؛ الموافقة للكتاب والسنّة، وفي رؤية الشمس ما يغنيك عن زحل.[٢]

يكتب في رسالة بتاريخ ٥ من ربيع الأول ١٣١٢ه: "حضرة الشيخ العلامة، المحدّث الفهامة، قدوة أهل الاستقامة: السيد محمد نَذير حسين".[٣]

ويقوم بإعراب الاعتقاد بكلمات: "وإني صاحبْتُه ولازمتُه قريباً من ثلاث سنين، واستفضتُ منه فيوضاً كثيرة، ووجدته إماماً في التفسير والحديث والفقه، عاملاً بما فيها، حَسَن العقيدة، ملازماً لتدريس القرآن والحديث ليلاً ونهاراً، كثير الصلاة والتلاوة والتخشع والبكاء، حسن الخُلُق،

---

[١]. فضل حسين: "الحياة بعد الممات"، ص. ٣٠٣.

[٢]. حسين بن مُحْسِن الأنصاري اليماني عن طريق الحياة بعد الممات، ص. ٣١٠.

[٣]. المؤرِّخ الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النَّجْدي بواسطة "الحياة بعد الممات"، ص. ٢٩٨.

كثير التودد، لا يحسد ولا يحقد، منكسر النفس، ولم أر في زمننا من أهل العلم أكثر عبادة منه، وكان يطيل الصلاة جدا، ويمدّ ركوعها وسجودها، وكان يعظ الناس كل يوم بعد صلاة الصبح بالمسجد، ويجتمع في مجلسه جمع غفير، ولو حلفت بين الركن والمقام أني ما رأيتُ بعيني مثله ولا رأى هو مثلَ نفسه في العلم والعبادة والزهد والصبر والكرم والخُلق والحلم، ما حنثت، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله، شيخ الإسلام، مفتي الأنام، محدّث العصر، فقيه الدهر، رئيس الأتقياء، قدوة النجباء، الإمام الأجل الأكرم، شيخ العرب والعجم، عمدة المفسرين، زبدة الناسكين، ذو الكرامات الظاهرة والمقامات الفاخرة".[١]

"إنَّ من علامات أهل السنّة أن يُحِبَّ أهلَ الحديث وناصِريهم، كالأئمة الستّة، والأئمة الأربعة، وغيرهم من متقدميهم ومتأخريهم – وعدَّ أسماء بعضهم، وقال في آخره: ومنهم شيخُ الهند حضرة الشيخ مولانا نَذير حسين الدِّهْلَوي. فوالله نِعْمَ ما قال هذا الفاضل الصالح، وإني أقول: إن حُبَّه من علامات أهل السنّة، وإنه لا يبغضه إلا مبتدعٌ معاند للحق".[٢]

ويذكر فضل حسين عند البيان حول المجدِّدين عبر القرون وعلى رأس الثالثة عشرة شيخُنا العلاَّمة النبيل، والفهّامة الجليل، نِبْراسُ العلماء الأعلام، سامي المجد الأثيل والمقام، ذو القدر المحمود، والفخر المشهود، حَسَنُ الاسم والصفات، ربُّ الفضائل والمَكْرُمات، المحدِّث الفقيه المفسِّر، التقيُّ الوَرِعُ النَّبيه، الشيخ الأكمل الأسعد، السيِّد الأجلُّ الأمجد، رُحْلةُ الآفاق، شيخُ العَرَب والعَجَم بالاتفاق، صاحبُ كمالات الباطن والظاهر، مُلْحِقُ

---

[١]. شمسُ الحقّ العَظيم آبادي عن نَذير حسين في "غاية المقصود شرح سنن أبي داود" (١/٥٤-٥٥)

[٢]. المولوي وَحيد الزمان: ترجمته للعقيدة الصابونية"، ص. ١/٥١-٦٧.

الأصاغر بالأكابر، شيخُنا وبركتنا، السيد نَذير حسين، جعله الله تعالى ممن يُؤتَى أَجْرَه مرَّتين، ولا زالت أنوارُ معارفه مدى الأيام لامعة، وشموسُ عوارفه في فَلَكِ المعالي ساطعة، وحماه الله من حوادث الأزمان ونَكَباتها، وأعزَّ محله في الجنان بأعلى درجاتها".[١]

ولا يأتي ذكرُه فيه إلا مقروناً بالتبجيل والثناء، ويضيف قائلاً فإنه إمامُ عَصْرِه، وأستاذ دَهْرِه، العلاَّمة المحدِّث الفقيه المفسِّر، شيخنا ومعلِّمنا السيد محمد نَذير حسين الدِّهْلَوي.[٢]

ويقول في توصيفه: "قرأتُ بعض السنن على رئيس المحدِّثين في عصره، عمدة المحققين في دهره، مُسْنِدِ الوقت، شيخِ الإسلام، جمال الملة والدين، السيد محمد نَذير حسين الدِّهْلَوي".[٣]

كما قيل "أوَّلُهم وأَشْرَفُهم وأقدَمُهم: السيّد العلاَّمة، زَيْنُ أهل الاستقامة، المحدِّث، المفسِّر، الفقيه، الكامل، النَّبيه، الوَرِعُ، الزاهد، مُلْحِقُ الأحفاد بالأجداد، الذي لم تَرَ مثلَه العُيون، ومُلئت المشارق والمغارب بتلاميذه، الإمامُ الهمام، السيد محمد نَذير حسين".[٤]

وأعرب عن تقديره الشيخ أبوبكر في تصنيفه قائلاً "شيخنا السيد نَذير حسين عالم دِهْلي المُحَدِّثُ الشهير".[٥]

ويقول أحد من تلاميذه: "ممن حضرتُ عليهم؛ وسمعتُ منهم؛ وأخذتُ عنهم من العلماء الأعلام المحدِّثين الكرام: الشيخُ الفاضل النِّحرير، والعالِمُ

---

[١]. فضل حسين: "عون المعبود"، ٢٦٦/١١ ط. العلمية

[٢]. نفس المصدر: (١٢٤/١)

[٣]. التعليق المُغْني على سنن الدّارَقُطْني (١١/١):

[٤]. "الوجازة في الإجازة" (ص٢٨)

[٥]. أبو بكر خُوقِير المَكّي: "ثَبْت الأثبات الشهيرة (الغفيلي) ص. ٣٧.

الكامل الشهير، حاملُ لواء أهل الحديث بلا نزاع، وحليةُ أهل الدِّراية والرواية والسماع: السيد نَذير حسين الدِّهْلَوي، رفع الله درجاته، وبارك في حسناته".[١]، وكما قيل: " العالمُ النِّحرير، الذي ليس له في عصره نَظير، السيد محمد نَذير".[٢]

وقال ثناء عليه أحد من علماء النبلاء الهنود: "ثم إنه هاجر إلى مكة المكرمة، واستخلف من هو فَرْدُ زمانه وقُطْبُ أوانه، رُحْلة الآفاق، شيخ العرب والعجم بالاتفاق، المجدِّدُ على رأس المئة الثالثة عشرة، أعني المحدِّث المفسِّر الفقيه شيخنا الأجل السيد: محمد نَذير حسين الدِّهْلَوي؛ في إشاعة العلوم الحديثيَّة، فولى التدريس والإفادة والإفتاء والوعظ والتذكير، ودرَّس الكتب من جميع العلوم المتداولة اثنتي عشرة سنة، ثم غَلَبَ عليه حُبُّ تدريس القرآن والحديث، فترك اشتغاله بما سواهما إلا الفقه، فاشتغل بتدريس هذه العلوم الثلاثة إلى آخر عمره، أي من سنة ١٢٧٠ه إلى ١٣٢٠ه، فجميع مدة اشتغاله بتدريس هذه العلوم الثلاثة ٦٢ سنة، أفاد شيخنا بعلومه ونفع بإفاضته خَلْقاً كثيراً، حصل له من الشرف والفضل ما لم يحصل لأحد ممن عاصره، وبلغ من العُلى والرِّفعة ما لم يبلغ غيره من المعاصرين".[٣]

وهكذا قال أحمد الله بن أمير الدِّهْلَوي في إجازته للشيخ عبد الله القَرْعاوي رحمهما الله واصفاً: "أخذتُ قراءة وسماعاً وإجازةً عن مشايخ

---

[١]. سعد بن حَمَد بن عتيق: " إتحاف النُّبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء"، ص. ٧٤

[٢]. عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الوهاب: "مقدمة المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن حمد بن عتيـــق"، ص١٥

[٣]. عبد الرحمن المُبارَكْفُوري: "مقدمة تحفة الأحوذي"، ط. الجامعة السلفية، ١/٥٢-٥٣.

أجلاء أعلام، وسادة كرام، من أجلِّهم شيخُنا الشريف الإمام الهمام المدقِّق سيدنا نَذير حسين الدِّهْلَوي رحمه الله".[١]

وأبدى الشيخ يوسف الهزاروي الخانفوري عن آراءه حول الشيخ سيد نزير حسين فانه "شيخنا ومولانا، شيخ الإسلام والمسلمين، رئيس العلماء المحققين، بقيَّة السَّلَف، حُجَّة الخَلَف، مجدد القرن الثاني عشر، معلِّم بني الأسود والأصفر والأحمر، المجتهد المطلق، الحاوي على كل ما جلَّ من العلوم الشريفة وما دقّ، الفارس الأسبق في ميدان البَراعة فلا يُلحق، المحدِّث المفسِّر الحافظ الفقيه الأصوليُّ النَّحْوِيُّ المقرئ، السيد محمد نَذير حسين، الشيخ الإمام العابد الزاهد، الثقةُ، العَدْلُ، الضابط المُتْقِن، ناصر السنّة، قامع البدعة، سلالة أهل بيت رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – فِلْذَةُ كَبِدِ البَتول، قُرَّةُ عين أسد الله الغالب أبي الحسن علي بن أبي طالب، عليهم الصلاة والسلام".[٢]

وقال الشيخُ العلامة أبو القاسم محمد بن محمد سعيد البَنَارِسي في إجازته للشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ: "شيخُ الكُلِّ في الكُلّ، مولانا السيِّد فخر المحدِّثين، تاج المُفَسِّرين، شيخنا وسيّدنا محمد نَذير حُسين المحدِّث الدِّهْلَوي".[٣]

وقال العلامة الرُّحْلة المؤرّخ عبد الحفيظ الفِهْري الفاسي: "الشيخ نَذير حسين بن جواد علي الرِّضَوي العَظيم آبادي الدِّهْلَوي من أشهر العلماء الأثريين بالهند، ورسائله تدل على تبحُّره في علم الحديث".[٤]

---

[١]. أمير الدهلوي: "كتيب للسماح من الشيخ القرعاوي"، (ق١/ب)

[٢]. يوسف حُسين الهَزارَوي الخانْفوري: "الجوائز والصِّلات في أسانيد الكتب والأثبات"(ص٨)

[٣]. نفس المصدر(ص٧٧)

[٤]. عبد الحفيظ الفهري الفاسي: "استزال السكينة الرحمانية"، ص. ٢٧، رقم ١٩.

وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: "المحدّث الكبير الشهير، المحقق الناقد، الضابط المتقن، الشيخ نذير حسين".[١]

وقد أُنشدت قصائد كثيرة في مدحه ورثائه، ومنها قصيدة محمد عبد الرحمن بقا الغازيفوري، ومطلعها:

ظَعَنَتْ سُليمى فالســـرورُ قبيحُ والعيـــن تذرِفُ والـــؤاد جريحُ
الصبر في يوم الفِراق محرَّمٌ أوَ مـــا ترى وُرْقَ الأراكِ تنوحُ[٢]

الهوامش

١. سيد بن حسين العفاني: "زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين"، دار العلم للملايين، بيروت، ط. ١٩٨٨.
٢. فضل حسين المظفرفوري: "الحياة بعد المماة"، ط. المكتبة النذيرية، قصور باكستان، ١٨٣٢.
٣. عبد الرحمن الفريوائي: "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة" ط. إدارة البحوث الإسلامية، بنارس.١٩٩٠.
٤. عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر"، ج٥، ط. دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٩.
٥. محمد ميان: "علماء هند كا شاندار ماضي"،
٦. أبو يحيى خان نوشهروي: "تراجم علماء اهل حديث". ط. الكتاب انترانيشنول، نيودلهي ١٩٩٢.

---

١. عبد الفتاح أبو غدة: "تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي"، ص. ٢٦٠.
٢. فضل حسين: "الحياة بعد الممات".

٧. محمد اجتبا ندوي: الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره"، ط. جامعة ميشيغان ١٩٩٩

٨. محمد إبراهيم سيالكوتي: "تاريخ أهل حديث"، ظ. الكتاب انتراناشيونال، نيودلهي ١٩٩٥.

٩. الحيء الحسني: "نزهة الخواطر ج/٥، ط. دار عرفات رائى بريلي ١٩٨٤.

١٠. فضل حسين : "الحياة بعد المماة".

١١. عطاء الرحمان قاسمي "دهلي كى تاريخى مساجد"، ط. أبو الكلام آزاد اكيدمى، نئ دهلى ٢٠٠٦.

١٢. عبد الرحمن الفريوائي: "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، ط. إدارة البحوث الاسلامية بنارس، ١٩٩٢.

١٣. Barbara Daly Metcalf: "Islamic Revival in British India, Deoband 1800-1900", Princeton University Press, New Jersey, 1982

١٤. غلام رسول مهر: "يوميات رحلة إلى الحجاز" (الترجمة العربية، ط دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٩٧٨.

١٥. شيخ محمد إكرام: رود كوثر: كتابى دنيا نيودلهي ١٩٨٥

١٦. شمس الحق العظيم آبادي: "تذكار نذير حسين".

١٧. شمس الحق العظيم آبادي: "دراسة نذير حسين".

١٨. حسين بن مُحْسِن الأنصاري اليماني عن طريق الحياة بعد الممات.

١٩. أحمد بن إبراهيم بن عيسى النَّجْدي بواسطة "الحياة بعد الممات".

٢٠. شمسُ الحقّ العَظيم آبادي عن نَذير حسين في "غاية المقصود شرح سنن أبي داود".

٢١. أبو بكر خُوقِير المَكّي: "ثَبْت الأثبات الشهيرة (الغفيلي).
٢٢. سعد بن حَمَد بن عتيق: " إتحاف النُّبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء".
٢٣. عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الوهاب: "مقدمة المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن حمد بن عتيق".
٢٤. عبد الرحمن المُبارَكْفُوري: "مقدمة تحفة الأحوذي"، ط. الجامعة السلفية.
٢٥. أحمد الله أمير الدهلوي: "كتيب للسماح من الشيخ القرعاوي".
٢٦. يوسف حُسين الهَزارَوي: "الجوائز والصِّلات في أسانيد الكتب والأثبات".
٢٧. عبد الحفيظ الفهري الفاسي: "استنزال السكينة الرحمانية".
٢٨. عبد الفتاح أبو غدة: "تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي".

***

إسهام علماء الهند في كتابة سيرة الإمام مالكرضـ السيد سليمان الندوي نموذجًا

صاحب عالم الأعظمي الندوي*

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبـــيين والمرسلين، المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واتبع هداه بإحسان إلى يوم الدين.

إنه من المعلوم تاريخيًا أن لعلماء المسلمين في شبه القارة الهندية إسهامات جليلة في تصنيف وتأليف الأعمال في التراث الإسلامي باللغة العربية وباللغات المحلية بما فيها اللغة الأردية بالدرجة الأولى. وبدأ الاهتمام لديهم منذ الفتح الإسلامي لها سيما بعد ما دخلت منطقة السنده وما يجاورها، في حوزة الدولة الإسلامية في عصر الدولة الأموية وكان ذلك تحت قيادة الفاتح محمد بن القاسم الثقفي (ت٩٥هـ/٧١٣م)، الذي تعامل بعد فتح السنده مع الأهالي برفق ومحبة، ونفث فيهم روح العدالة الاجتماعية والمساواة. وقد نـــزل كثير من الأسر العربية العلمية السند ممن بذلوا مجهودًا كبيرًا في تنشيط الحياة الثقافية خلال الفترة التي حكمت فيها الدولة العربية في السند وما يجاورها. وأسهموا في نشر المؤلفات في العلوم الإسلامية سيما في الحديث والتفسير والفقه والسيرة النبوية.

* كلية دار العلوم، جامعة القاهرة – جمهورية مصر العربية.

وقد حلت الكارثة على هذه المنطقة عندما بدأت تنتشر الأفكار الشيعية من خلال استقرار الطوائف الشيعية مثل القرامطة والإسماعيلية والتي سيطرت تدريجيًا على كثير من المناطق السندية سياسيًا ودينيًا، وهو الأمر الذي أدى إلى انقطاع جميع الروابط العلمية من الحجاز والشام، فتدهورت الحياة الثقافية وهجرت علوم الحديث واستمرت هذه الحالة من أواخر القرن الرابع الهجري إلى مدة طويلة تقدر بأربعمائة عام تقريبًا، وحدث ذلك خصوصًا بعد انقراض دولة العرب من السند والملتان والپنجاب. وقد انتشر هذا الضعف والانحطاط في القرن السادس والسابع والثامن للهجري إلى أقصى درجة. فكانوا، على حسب المصادر المعاصرة، يأخذون العلوم الفقهية والمنطق والفلسفة والكلام كسند للعمل في المسائل الدينية الشرعية.

وقد نشطت العلوم الإسلامية بسبب مجيء العلماء من الحجاز والشام ومصر الذين أسهموا بدورهم في النهضة العلمية عند المسلمين في الهند وفي نشر علوم الحديث بالدرجة الأولى. ثم وفق الله سبحانه وتعالى بعض العلماء من أهل الهند الذين شدوا رحالهم إلى الحرمين الشريفين، وأخذوا الحديث وجاءوا به في الهند، وانتفع بهم خلق كثيــر. وقام كل من الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي(ت١٠٥٢هـ/١٦٤٢م)، وشيخ الإسلام شاه ولي الله الدهلوي(ت١١٣١هـ/١٧١٨م) بإصلاح العقائد الإسلامية والدعوة إلى القرآن والتمسك بالسنة النبوية، وأفنيا حياتهما في سبيل نشر الحديث والسنة المشرفة وفي الدعوة إلى التوفيق بين الحديث والفقه، والجمع بين المذاهب على أساس الحديث، بجانب تأهيل الكوادر الخاصة الذين أسهموا في نشر الحديث النبوي وترويجه وإحياء دروس الحديث والعناية بهذه الفنون بجانب تأليف وشرح كتب الصحاح الستة وترجمتها إلى اللغات المحلية. ومن هنا،

كثرت مؤلفات علماء الهند في الحديث وتراجم مشاهير الإسلام من الصحابة والتابعين وعلماء الحديث والتفسير في العصور التالية أي منذ أواخر القرن الثاني عشر إلى هذا الحين.

وعلى الرغم من أن المذهب المالكي لم ينتشر انتشارًا واسعًا كالمذاهب الثلاثة الأخرى في شبه القارة الهندية، إلا أن العلماء في الهند قاموا بشرح وتحقيق أعمال الإمام مالك، سيما كتابه الموطأ. ويعد الشاه ولي الله الدهلوي أول من قام بشرح الموطأ بالعربية والفارسية على السواء، باسم المسوى والمصفى. والمنهج الذي كان الإمام الدهلوي يريد ترويجه في فقه الحديث ودروسه يمثله هذا الكتاب خير تمثيل، وتتجلى فيهما مكانة الإمام الدهلوي الاجتهادية وطول باعه في فقه الحديث، وعلومه. وكان يضع الموطأ على الدرجة الأولى من الكتب الستة، وكان معجبًا بالموطأ غاية الإعجاب، وكان يدعو بحماس وقوة إلى العناية اللائقة به وتقديمه في البدء بتدريس الحديث. ومن العلماء البارزين الشيخ العلامة المحدث محمد زكريا الكاندهلوي (١٣١٥-١٤٠٢هـ/١٨٩٧- ١٩٨٢م)، وهو من المحدثين الكبار صاحب المؤلفات الكثيرة في الحديث النبوي، ومن أهم أعماله "أوجـز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك في ثمانية عشر مجلدًا.

وتجدر الإشارة إلى أنه لما تمكنت بريطانيا من بسط سيطرتها السياسية الكاملة على الهند، بدأت الأخيرة تتأثر بالحضارة والثقافة الغربية عن طريق مباشر على حين كانت بلاد أخرى تتأثر عن طريق غير مباشر عن وكالتها الأدبية والثقافية. ولما كان الشعب الإسلامي الهندي أرهف شعورًا دينيا وأرق وعيًا إسلاميًا، وأشد غيرة على الإسلام، فكان من نتائج هذه الغيرة الدينية التي يمتاز بها الشعب المسلم الهندي ومبادرته إلى قبول

تحديات التبشير والاستشراق التي وجهت إلى شبه القارة الهندية، بعد قيام الحكم الإنجليزي المسيحي؛ أن قام كثير من العلماء بتأليف أفضل الكتب وأقواها باللغة العربية والأردية والإنجليزية في الرد على ما كتب المستشرقون في السيرة النبوية ومشاهير الإسلام والتاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية، كما قاموا بتأسيس مراكز الأبحاث العلمية للرد على الأعمال الاستشراقية. وقد قاموا بنشر سلسلة مشاهير الإسلام؛ حيث اعتبروا أفضل وسيلة للرد على أباطيل المستشرقين حول الشخصيات الإسلامية والثقافة الإسلامية. ومن هؤلاء العلماء السيد سليمان الندوي (١٣٠٢-١٣٧٣هـ/١٨٨٤-١٩٥٤م) الذي أسهم في كتابة سير مشاهير الإسلام ومن أشهر أعماله سيـــرة النبي بسبعة مجلدات كبار، والرسالة المحمدية، والعلاقات العربية الهندية، تاريخ أرض القرآن، وسيرة أم المؤمنين حضرة عائشة رضي الله عنها، ونساء الإسلام، وتحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها، وكتابه "حيات إمام مالك" والذي نحن بصدده. فقد كان لكتابات علماء الهند فضل كبير في إعادة الثقة إلى الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية العصرية من أبناء الإسلام بالعقائد والمقررات الدينية وبالحضارة والثقافة الإسلامية، وبتاريخهم الزاهر، وبلغتهم وآدابهم، وفي إحياء الاعتداد بالنفس والثقة بالذات، وإزالة "مركب النقص" الذي أحدثته الهزيمة في الصراع مع الاستعمار الإنجليزي في عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م، وأصلته الثقافة الغربية والغزو الفكري الاستشراقي.

هذا، وسيتضمن البحث النقاط التالية:

١. إسهام علماء الهند في علم الحديث عبر العصور.
٢. تعريف بعض الشروح المهمة لعلماء الهند لكتاب موطأ الإمام مالك.

٣. تعريف وترجمة الشيخ السيد سليمان الندوي بإيجاز.

٤. تعريف وتحليل لكتابه "حيات إمام مالك" المكتوب باللغة الأردية

المبحث الأول: تاريخ علم الحديث في الهند

جذور العلاقات العربية الهندية: إنه من المعلوم تاريخيًا أن جذور العلاقات التجارية العربية الهندية موغلة في القدم. وقد استطاع الطرفان تكوين مستعمراتهم التجارية قبل مولد النبي – صلى الله عليه وسلم– بقرون فكانت التجارة هي الخيط الأول الذي ربط الهند من خلال مناطقها الساحلية مثل السند والگجرات بالعرب. ومن هنا نشأت أسس العلاقات التاريخية بين الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية في نسق تطوري من خلال وادي السند والگجرات والپنجاب، وقد هيأ هذا الرصيد من العلاقات القديمة الأرضية المناسبة لدخولها مرحلة النضج والاكتمال في العصر الإسلامي[١]. فقد اتسعت دائرة تلك العلاقات مع ظهور الرسول– صلى الله عليه وسلم– ووصول عدد من الصحابة والتابعين في عهد الخلافة الراشدة، داعين أهلها إلى الإسلام.[٢] ولما دخلت الهند، خصوصًا السند وما يجاورها، في حوزة الدولة الإسلامية في عصر الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)، ففي هذه المرحلة من الفتوحات الإسلامية تم الاستقرار السياسي وتأسيس

[١] لمـــزيد من التفاصيل حول العلاقات العربية والهندية راجع الكتب التالية: حول العلاقات العربية الهندية راجع السيد سليمان الندوي: العلاقات العربية والهندية. ترجمة من الأردية أحمد محمد عبد الرحمن، ط: المركز القومي للترجمة القاهرة٢٠٠٨م/مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، تعريف نقولا زيادة، ط: بيروت ١٩٧٤م/حمد محمد بن حراي: العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، وجنوبي شرق آسيا، بحوث تاريخية، ط: الجمعية التاريخية السعودية، بالرياض ٢٠٠٦م

[٢] حول وصول الصحابة والتابعين إلى الهند راجع أطهر المباركپوري: الهند في عهد الرسالة، ص٣٢/ لمزيد من الاطلاع على تراجم الصحابة والتابعين وورودهم في الهند، راجع أطهر المباركپوري: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، ط: القاهرة١٩٨٠م

الدولة العربية بقيادة الفاتح محمد بن القاسم الثقفي (ت٩٥هـ/٧١٣م)، الذي تعامل بعد فتح السند مع الأهالي برفق ومحبة، ونفث فيهم روح العدالة الاجتماعية والمساواة، كما سمح لهم بالحرية الدينية والثقافية، واتخذ الإداريين من الهنود المهرة كمعاونين له، وللإدارة الجديدة، وأقام المجتمع الإسلامي من خلال جلب الأسر العربية واستقرارها بين أهالي السند والپنجاب للاحتكاك الاجتماعي والثقافي، مما خلق الجو المناسب للأسر العربية للممارسة في نشر الإسلام بالحسنى واستقبل أهالي هذه المناطق هذه التغيرات الديموغرافية وتعلموا اللغة العربية وألموا بالثقافة الإسلامية، حتى أصبحت اللغة العربية تنطق بجانب اللغة السندية[١].

بواكير علم الحديث ورجاله في الهند: تفيد المصادر أن الأسر التي جلبها محمد بن القاسم من العراق والجـــزيرة العربية لعبت دورًا كبيرًا في نشر علوم الحديث والتفسير والفقه، حيث استقر كثير من العلماء آنذاك في هذه المنطقة واعتنوا بنشر العلوم الدينية وتتلمذ لهم وأخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه خلق كثير وهو الأمر الذي ساعد على الحركة العلمية في إقليم السنده[٢]، ومن هؤلاء العلماء موسى بن يعقوب الثقفي الذي كان من أجل العلماء في جيش محمد بن قاسم، استقدمه هو وأسرته لأمور القضاء الشرعية. وتفيد المصادر أنه جرى تداول القضاء في أسرته إلى قرون

---

[١] راجع شمس الدين المقدسي(نحو٣٩٠هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق ونشر دي غوية، ط٢: ليدن ١٩٠٦م، ص٤٧٩/ راجع أبي الظفر الندوي: تاريخ سند، ص٣٧٩

[٢] تفيد المصادر أن الإدارة الإسلامية بعد الفتوحات لبعض المناطق الهندية خططت للمسلمين مدنًا جديدة و أحياء خاصة وبنت بها مسجدًا كأول بناء وجلبت إليها أربعة آلاف أسرة عربية، راجع البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، ط:مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٦١٤

طويلة.[١] ولما كانت العاصمة دمشق أولًا وبغداد ثانيًا مركزًا علميًا وفد كثير من طلبة الهنود على مدن بغداد والحجاز للحصول على التعليم العالى، وفي مدة قصيرة طار صيتهم بين أهل العلم ودامت مؤلفاتهم مصدرًا مهمًا للعلماء والباحثين. واستقر بعض هؤلاء العلماء النازحين من الهند في بغداد والحرمين الشريفين، وتــزوجوا وأنجبوا الذرية الصالحة التي أنجبت العلماء البارزين في الفقه والحديث، ويذكر بعض الباحثين أن كلًا من الإمام الأوزاعي(٨٨-١٥٧ه/٧٠٧-٧٧٤م)، والإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت(٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م) وإن كانوا ولدوا في الشام والعراق، ولكنهم من سلالة سندية وأصلهم من الهند.[٢] ومنهم خلف بن سالم (ت٢٣١هـ/٨٤٥م): الإمام الحافظ المجود، أبو محمد السندي المهلبي البغدادي مولى آل المهلب من كبار الحفاظ. ولد بعد الستين ومائة. وحدث عن: هشيم، وأبي بكر بن عياش، وأبي معاوية، وطبقتهم، وارتحل إلى عبد الرزاق . حدث عنه :أحمد بن أبي خيثمة، والحسن بن علي المعمري، ويعقوب بن شيبة، وأبو القاسم البغوي، وأحمد بن الحسن الصوفي، وعدة. وأخرج له النسائي حديثا في" سننه"، وكان موصوفا بالحفظ ومعرفة الرجال. ومن مشايخه : إسماعيل ابن علية، وعبد الله بن إدريس، ومحمد بن جعفر غندر، ويحيى بن سعيد القطان. وكان صديقا لأحمد بن حنبل. مات في سنة إحدى وثلاثين ومائتين.[٣] والعالم الآخر أبو حفص ربيع بن صبيح؛ حيث

---

[١] "موسى بن يعقوب بن محمد بن شيبان بن عثمان الثقفي، ولاه القضاء والخطابة محمد بن القاسم الثقفي بالرور سنة ثلاث وتسعين، وكان يطلق عليه "الصدر الإمام الأجل بدار الملة والدين وسيف السنة ونجم الشريعة الإسلامية" راجع عبد الحي الحسني (ت١٣٤١هـ): الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ثلاثة أجزاء، ط:دار ابن حــزم، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، جـ١، ص٥٠/ Also see: Dr. Muhammad Ishaq: Indian contribution to Hadith literature, P.22

[٢] السيد أبو الظفر الندوي: تاريخ سنده، ط٢: أكاديمية شبلي النعماني، الهند ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٣٧٢

[٣] أبو ظفر الندوي، مرجع سابق، ص٣٧٢

كان من تابعي التابعين ومن الرواة الثقاة، ذهب إلى السند ومات فيها عام ١٦٠هـ/٧٧٧م، ويقال إنه أول مسلم ألف كتابًا، غير أن هذا الكتاب لا وجود له الآن، ولا يعلم نوعه وربما كان في علم الحديث[١] ومنهم المحدث والإخباري نجيح بن عبد الرحمن الوليد الملقب بأبي معشر السندهي(ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)[٢]، وكان معاصرًا لابن إسحاق، ويذكره ابن سعد في قائمة من روى له المغازي وروي له تراجم الصحابة أيضًا[٣]. وكذلك يظهر اسمه في الفصول الخاصة بأعوام النبي الأولى عند ابن سعد والطبري[٤]. وبجانب هؤلاء الرواة هناك شخصيات أخرى التي لعبت دورًا كبيرًا في نشر علوم الحديث والفقه، ومنهم المحدث أبان بن محمد البجلي البـــزاز الكوفي الملقب الإخباري صاحب كتاب النوادر، والمحدث محمد الحافظ الزاهد الديبلي، والمحدث أحمد بن نصر الديبلي، والعالم الفقيه المحدث إبراهيم بن محمد الديبلي السندي، والعالم المحدث علي ابن موسى

---

[١] قال الطبري: "إنه خرج غازيًا إلى السنده فيمن خرج مع عبد الملك بن شهاب المسمعي من مطوعة أهل البصرة، فمات بها؛ ذلك في سنة ستين ومائة، راجع: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـــ): تاريخ الرسل والملوك، ١١ جـــزءًا، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢: دار المعارف، مصر العربية، جـــ٨، ص١٢٨/ اسمه الكامل الربيع بن صبيح السعدي، روي عن الحسن البصري، وحميد الطويل، ويزيد الرقاشي، وأبي الزبير، وغيرهم، وعنه روي كل من سفيان الثوري، ووكيع، وابن مهدي، وأبوداوود وأبو الوليد الطيالسي، وآدم بن أبي إياس وغيرهم، راجع عبد الحي الحسني: الإعلام، جـــ١، ص٤٥

[٢] أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن إسحاق الملقب بالنديم: الفهرست، ثلاثة مجلدات، تحقيق رضا تجدد، ط: إيران عام ١٩٧١م، ص١٠٥/ عبد الحي الحسني: الإعلام، جـــ١، ص٥٠/ القاضي أطهر المباركبوري: رجال السند والهند، ط: مومباي، الهند، دون تاريخ، ص٢٥

[٣] حول ذكر عدد مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه، راجع محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـــ): الطبقات الكبير، ١١ مجلدًا، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، ط:مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٢١هـــ/٢٠٠١م، جـــ٣، ص٥

[٤] اعتمد الطبري على روايته حول واقعة الغرانيق، راجع تاريخ الرسل والملوك، جـــ٢، ص٣٤٠/ وقد ذكر أيضًا البلاذري رواية أبي معشر ضمن غزوة الغابة أو غزوة ذي قرد التي حدثت في السنة السادسة للهجرة، راجع فتوح البلدان، ص١٧

الديبلي وغيرهم[١]. وفهرست علماء الهند في منطقة السنده طويلة جدًا ومن الصعب حصرها في هذا البحث[٢]، وما أتيت به فهي نماذج للإشارة إلى أن العلماء من العرب والهنود كانت لهم إسهامات جليلة في علوم الحديث والفقه وتطويرها خلال فترة الحكم العربي والتي نشأت واستمرت أكثر من مائتي عام أي ٢٢-٣٩٦هـ/٦٤٢-١٠١٠م. وقد روى الرحالة المقدسي حين زار السند عام ٣٧٥هـ/٩٨٥م أن مذاهب أكثر أهل إقليم السند من أصحاب الحديث.[٣]

تدهور علم الحديث في الهند: لقد حلت الكارثة على الهند عندما بدأت تنتشر الفكرة الشيعية من خلال استقرار الطوائف الشيعية مثل القرامطة والإسماعيلية والتي سيطرت تدريجيًا على كثير من المناطق السندهية سياسيًا ودينيًا، وهو الأمر الذي أدى إلى انقطاع جميع الروابط العلمية من العراق والحجاز والشام، فتدهورت الحياة الثقافية وهجرت علوم الحديث واستمرت هذه الحالة من أواخر القرن الرابع الهجري إلى مدة طويلة تقدر بأربعمائة عام تقريبًا. وحدث ذلك خصوصًا منذ بداية القرن الخامس للهجري عندما بدأت الحملات العسكرية الغزنوية في بداية القرن الخامس للهجري على الملتان والمنصورة وما يجاورها، إلا أن تمكن السلطان محمود الغزنوي(ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) من الاستيلاء على المناطق المذكورة أعلاه

---

[١] لمزيد من الاطلاع على تراجم علماء السند راجع أطهر المباركپوري: رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجري، ط: مومباي، الهند عام ١٩٥٨م

[٢] لقد كانت هناك مراكز عديدة أنشأها العلماء في السنده وفي مدنها الديبل والمنصورة والقصدار والملتان وغيرها من المدن الرئيسية؛ ذلك بعد ما رجعت بعض الكوادر من المحدثين الهنود بعد تحصيل الحديث من نيشابور، والجـــزيرة العربية، وسوريا، ومصر وغيرها من مراكز الحديث آنذاك. للتفصيل عن هذه المراكز ومحدثيها ورجالها راجع:
Muhammad Ishaq: India's Contribution to the Study of Hadith Literature (The University of Dacca, Bangladesh 1955) Pp 30-44

[٣] راجع المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٤٨١

بين عامي ٣٩٦هـ/١٠٠٥م و ٤١٦هـ/١٠٢٥م[١]، واستطاعت الدولة الغزنوية القضاء على القرامطة بجانب الدولة السنية الحاكمة على المناطق الپاكستانية آنذاك، وسرعان ما تم إلحاق هذه المنطقة بالإدارة الغزنوية ذات الجذور الفارسية، وقد تمخضت عن هذه التطورات السياسية والعسكرية سقوط الدولة العربية وانقراضها من بلاد السند، مما أدى إلى تغير مسار الدعوة الإسلامية، والقضاء على اللغة العربية وحل محلها اللغة الفارسية والثقافة الإيرانية، وقد جلب السلطان محمود الغزنوي وخلفاؤه العلماء والفقهاء من خراسان وما وراء النهر، وغلب عليهم العلوم العقلية والشعر والنجوم والفنون الرياضية، مما أدى تقلص الاهتمام بعلوم السنة والقرآن، فكان ذلك سببًا مهمًا في ضعف دراسة علم الحديث في الهند إبان تلك الفترة.[٢]

وقد انتشر هذا الضعف والانحطاط في القرن السادس والسابع والثامن إلى أقصى درجة[٣]، فمثلًا كان عصر السلطان علاء الدين الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ/١٢٩٦-١٣١٦م) زاخرًا بالعلماء والفقهاء المتخصصين في العلوم

---

[١] حول الدولة الغزنوية راجع محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي، حياته وعصره، ترجمة عبد الله سالم الزليتني، ط: دار المدار الإسلامي ٢٠٠٧م بيروت

[٢] حول الحكم العربي في السند والپنجاب راجع الكتب التالية، عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الپاكستان أو السند والپنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي، ط: دار الصحوة دون تاريخ/١٩٧٠م/ إعجاز الحق قدوسي: تاريخ سند، ط:مركزي أردو بورد، لاهور ١٩٧٤م

[٣] شخصية وحيدة التي أسهمت في علم الحديث في القرن السابع هي شخصية الشيخ حسن بن محمد الصغاني المتوفى ٦٥٠هـ/١٢٦٢م، حيث ولد الشيخ في لاهور عام ٥٧٧هـ/١١٧٤م، وقد ذاع صيته في عهد السلطان قطب الدين أيبك الذي عرض عليه القضاء بمدينة لاهور ولكنه رفض وغادر الهند ومكث في الحرمين الشريفين لمدة طويلة،وسمع بها الأحاديث النبوية، ثم سافر إلى الهند ومكث لبعض الوقت ثم وصل إلى الحرمين الشريفين وزار اليمن وبغداد حيث توفي هناك. ومن مصنفاته في الحديث " مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية" جمع فيه من الأحاديث الصحاح. ومن أعماله أيضًا "مصباح الدجى في حديث المصطفى"، و"الشمس المنيرة". بجانب إسهاماته في علم اللغة العربية، حيث له كتاب معروف باسم "العباب الزاخر" في اللغة العربية في عشرين مجلدًا. راجع ترجمته في عبد الحي الحسني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، جـ١، ص٩١-٩٣

والفنون المتنوعة، ووصل عددهم طبقًا لبعض المصادر إلى ستة وأربعين عالما،[١] وقد ذكر المؤرخ المعاصر في كتابه تخصصات علماء عصر السلطان علاء الدين الخلجي، فيقول:كان العلماء في عصر السلطان علاء الدين الخلجي بارعًا في العلوم النقلية والعقلية، خصوصًا في التفسير والفقه، وأصول الفقه، والمعقولات، وأصول الدين، والنحو، واللغات، والمعاني والبيان، والكلام والمنطق"[٢], ولم يذكر علم الحديث بالمرة. وأذكر هنا مثالًا واحدًا عن الشكاوى لبعض العلماء حول عدم اهتمام الهنود بعلم الحديث في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث تفيد بعض المصادر الهندية إنه قدم المحدث شمس الدين ابن الحريري من مصر إلى الهند عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م[٣]، ذلك في عهد السلطان علاء الدين الخلجي، وجاء معه بأربعمائة كتاب في الحديث النبوي، ولدى وصوله إلى ملتان سمع أن السلطان غير مواظب على الصلوات، فقرر ألا يذهب إلى دهلي، ولكن كتب رسالتين إحداهما شرح في أصول الحديث، وثانيهما في النصح والإرشاد الموجهة إلى السلطان. فيقول:" لقد جئت قاصدًا مدينة دهلي وسلطانها، وكان الهدف وراء هذا السفر الطويل ترويج علوم الحديث وتدريسها لله ورسوله، ذلك لإخراج مسلمي الهند من براثن الفقهاء والعلماء من أهل البدع، ولكن لما علمت أن السلطان غير منتظم في فروض العبادات، فقررت أنه لا داعي لرؤية هذا السلطان، وعلي أن أعود إلى حيث أتيت، هذا وسمعت بعض

---

[١] راجع برني: تاريخ فيروز شاهي، أردو ترجمة الدكتور السيد معين الحق، ط٤: أردو سائنس بورد، لاهور ٢٠٠٤م، ص٥١٣-٥١٤

[٢] راجع برني: مصدر سابق، ص٥١٣

[٣] وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، كان قاضي الحنفية بمصر، وكتب في حق شيخ الإسلام محضرًا في الثناء عليه بالعلم والفهم، فبلغ ذلك ابن مخلوف القاضي فسعى في عزل ابن الحريري فعزل، راجع شهاب الدين محمد ابن حجر العسقلاني(٨٢٥هـ/١٤٤٩م): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ستة أجزاء، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، جـ١، ص١٧١-١٧٢

الأخبار عن السلطان بعضها أسعدتني، وبعضها أحزنتني، ومن أهمها أن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مهجورة ومتروكة وغير مرغوبة في بلدكم، وتؤخذ العلوم الفقهية كسند للعمل في المسائل الدينية الشرعية، يا للعجب! كيف للمدينة أن تنجو من الخراب والدمار تلك التي يفضل أهلها العلوم الفقهية على الأحاديث النبوية.[١]

نهضة علم الحديث في الهند في القرن التاسع والعاشر الهجري:

وكان علم الحديث متدهورًا في الهند في فترة ما قبل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، كما ذكرت آنفًا. وظلت كبوة الحديث هذه في الهند حتى ظهور سلاطين الگجرات في غرب الهند وسلاطين بهمني في جنوب الهند أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وبداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، فقد لعب حكام الدولتين دورهما في جذب كثير من العلماء سيما علماء الحديث إلى مملكتهما بالهدايا والعطايا السخية.[٢] ومن هنا، ورد إلى الهند محدثون مشهورون من الحجاز والشام ومصر الذين أسهموا بدورهم في النهضة العلمية عند المسلمين في الهند وفي نشر علوم الحديث ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، عبد المعطي بن حسن بن عبد الله باكثير المكي ثم الحضرمي (٩٠٥-٩٨٩ هـ/١٥٠٠-١٥٨١م)[٣]، استقر في الگجرات وتوفي بمدينتها أحمد آباد، والشيخ الشهاب أحمد بن بدر الدين المصري المتوفى بأحمد آباد عام ٩٩٢هـ[٤]، والشيخ محمد بن أحمد

---

[١] راجع للتفصيل برني: تاريخ فيروز شاهي، ص٤٣٦-٤٤٠

[٢] Muhammad Ishaq: India's Contribution to the Study of Hadith, P.80

[٣] عبد الحي: الإعلام، جـ١، ص٣٧٧

[٤] عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية، ص١٤٧

بن علي الفاكهي الحنبلي المتوفى بأحمد آباد عام ٩١٩هـ[١]، والشيخ رفيع الدين المحدث الشيرازي المتوفى بأكبر آباد عام ٩٥٤هـ[٢]، والشيخ إبراهيم بن أحمد بن الحسن البغدادي[٣]، والشيخ ضياء الدين المدني[٤]، والشيخ بهلول البدخشي[٥]، والخواجة مير كلان الهروي المتوفى بأكبرآباد عام ٩٨١هـ[٦]، وغيرهم. وبسبب هؤلاء العلماء النازحين من الحجاز ودورهم في نفث الروح العلمية في أوساط العلماء الهنود، نشطت الحياة العلمية من جديد، ثم وفق الله سبحانه وتعالى بعض هؤلاء العلماء بأن رحلوا إلى الحرمين الشريفين اللذين كانا من أهم وأكبر المراكز المـــزدهرة بدراسة علم الحديث في ذلك الوقت. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في أثناء الربع الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ظهرت مدرسة جديدة للحديث في مصر يتـــزعمها "أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م، وهو يعد من أكبر رواد علم الحديث آنذاك. وقدمت هذه المدرسة عالمين جليلين هما "عبد الرحمن السخاوي المتوفى عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م[١]، و"زين

---

[١] محمد بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الحنبلي، أبو السعادات، العلامة الشهير: ولد سنة ٩٢٣هـــ، قرأ في المذاهب الأربعة، ومن شيوخه: الشيخ أبو الحسن البكري، وابن حجر الهيتمي، وآخرين من أهل مكة وحضرموت وزبيد يكثر عددهم، وأجازه شيوخه، ومقروءاته كثيرة لا تحصى، وحفظ متونا كثيرة، ويقرأ القرآن بالسبع، ونظم ونثر وألف رسائل مفيدة، منها: رسالة في تفسير آية الكرسي، وشرح مختصر الأنوار في الفقه الشافعي، وغيرها من الرسائل، وكان جوادا كريما، شديد التواضع لأصحابه، دخل بلاد الهند، ثم عاد لمكة حاجّا، ثم رجع إلى الهند وأقام بها حتى مات بها في ليلة الجمعة حادي عشر جمادى الآخر سنة ٩٨٢هـــ.راجع عبد الحي، الإعلام، جـــ١، ص٤٠٤

[٢] هو من تلاميذ شمس الدين السخاوي، وصحبه فترة طويلة لدى وصوله إلى الحرمين الشريفين. راجع ترجمته الحافلة، عبد الحي: الإعلام، جـــ١، ص٣٤٠

[٣] كتب صاحب الإعلام عنه فيقول:"وأكثر اشتغاله تدريسًا كان "بمعالم التنـــزيل" في تفسير القرآن وجامع الأصول وصحيح البخاري والسنن لأبي داوود في الحديث.. راجع الإعلام، جـــ١، ص٢٩٧

[٤] الشيخ العالم المحدث، قدم من المدينة المنورة وسكن بدار الملك دهلي..ثم استقر في أرض أوده...وكان يدرس الحديث من صحيح البخاري وجامع الأصول...راجع عبد الحي: الإعلام، جـــ١، ص٣٥٨

[٥] عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية، ص١٤٨

[٦] عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية، ص١٤٩

[١] راجع ترجمته في أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط: بيروت، ذخائر التراث العربي. جـــ٧، ص١٥

الدين زكريا الأنصاري المتوفى عام ٩٢٥هـ/١٥٢٩م[١]، اللذين كانا من أشهر محدثي عصرهما، وقد اتخذ السخاوي الحرمين الشريفين مركـزًا رئيسيًا لتدريس علم الحديث، بينما اتخذ زكريا الأنصاري القاهرة مركـزًا لتدريس علم الحديث، وكان من أشهر تلاميذ الأخير "أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المتوفى عام ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، الذي كان له فضل في تعـزيز شهرة مكة المكرمة كمركز لدراسة علم الحديث.

ومن الصعب حصر العلماء الهنود الذين سافروا إلى الحرمين الشريفين لأخذ علم الحديث من هذه المدارس الحديثية، إنما أذكر هنا أسماء بعض الشخصيات التي أسهمت في نشر علم الحديث وترويجه في الهند مما دفعت علماء الهند إلى الاشتغال بهذا العلم بصورة دقيقة وشاملة مع فتح المراكز لتعليم وتدريس علم الحديث في كل من جنوب الهند سيما في الدكن، وفي دهلي، وفي الگجرات، ومالوه، وخانديش، والسنده، ولاهور، وجهانسي، وكالپـي، وأگرا، ولكهنؤ، وجونپور، وبهار، والبنگال وغيرها.[٢] ومن أشهر العلماء المحدثين الهنود الذين أسهموا بدورهم في علم الحديث بعد عودتهم من الحرمين الشريفين، هم على سبيل المثال وليس الحصر، الشيخ الإمام الكبير المحدث علي بن حسام الدين بن عبد الملك ابن قاضي خان المتقي المهاجر إلى مكة المكرمة التي توفي فيها عام ٩٧٥هـ/١٥٦٨م. ويعد الشيخ من أكبر المحدثين في الهند في ذلك الوقت، حيث بجانب تكريسه نفسه على العلم والإفادة، أسهم في إثراء مكتبة الحديث بمؤلفاته القيمة والتي بلغت نحو مائة مؤلف ما بين صغير وكبير، ومن كتبه

---

[١] راجع ترجمته في المصدر السابق نفسه، جـ٨، ص١٣٤

[2] Muhammad Ishaq: India's Contribution to the Study of Hadith, P.81-110

المهمة في علم الحديث "منهاج العمال في سنن الأقوال"، و"كنـــز العمال في سنن الأقوال والأفعال" وهو من أهم أعماله التي اشتهر بها. وله أعمال أخرى من الشروحات والرسائل في علم الحديث ومنها "البرهان في علامات المهدي آخر الزمان، و"المنهج الأتم في ترتيب الحكم، و"جوامع الكلم في المواعظ والحكم" وغيرها.[١]

ومن أشهر محدثي الهند المحدث الكبير مجد الدين محمد بن طاهر الحنفي البتني المتوفى عام ٩٨٩هـــ/١٥٧٨م، وله أعمال كثيرة في علم الحديث أشهرها كتابه في غريب الأحاديث "مجمع بحار الأنوار في غرائب التنـــزيل ولطائف الأخبار"، و"المغني في أسماء الرجال"، و"تذكرة الموضوعات"، وقانون الموضوعات والضعاف" وغيرها. عاش الشيخ طول حياته في التعليم والتدريس بعد عودته من الحرمين الشريفين بجانب إسهاماته في إصلاح المجتمع الهندي دينيًا وعقائديًا.[٢]

والعلامة المحدث الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي المتوفى ١٠٥٢هـــ/ ١٦٤٢م، الذي يعد من رواد المحدثين الذين روجوا علم الحديث في شمال الهند، سيما في دهلي وأطرافها. وقد سافر الشيخ إلى الحرمين الشريفين، وأخذ علم الحديث من علمائها، سيما الشيخ عبد الوهاب المتقي المتوفى عام ١٠١٠هـــ/١٦٠١م[٣]، وهو تلميذ المحدث الكبير علي المتقي المذكور أعلاه. ولدى عودته كرس حياته على نشر علم الحديث في دهلي وترويجه. ومن أهم مؤلفاته في علم الحديث "لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح" وهو أكبر وأعظم تصنيفاته. وله أسهامات جليلة في تأهيل

---

[١] راجع عبد الحي: الإعلام، جـــ١، ص٣٨٥-٣٨٩/ صديق حسن، خان: أبجد العلوم، ص٦٩٦

[٢] راجع صديق حسن خان: أبجد العلوم، ط: دار ابن حـــزم، بيروت عام ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م، ص٦٩٦-٦٩٧

[٣] راجع ترجمته في عبد الحي الحسني: الإعلام، جـــ٢، ص٥٨٣-٥٨٤

الكوادر من العلماء المحدثين الذين أسهموا فيما بعد في علم الحديث النبوي الشريف[١].

وهكذا نرى أن لعلماء العرب دومًا دورًا ثقافيًا في شبه القارة خلال العصور الإسلامية الهندية، خصوصًا في القرن العاشر للهجري، مما أدى إلى تجهيز الكوادر الهندية من العلماء الذين سافروا إلى الدول العربية لاسيما إلى الحجاز حيث المركز الإسلامي الديني والعلمي، وقد لعبوا دورًا مهمًا في تطوير الثقافة العربية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما "أثروا من خلال دورهم الثقافي في الحياة العلمية والثقافية بهاتين المدينتين المقدستين تأثيرًا ملموسًا...ولم يقف هذا التأثير الثقافي للهنود عند حدود الحرمين الشريفين فقط، إنما تعدى ذلك إلى باقي المدن والبلاد الإسلامية الأخرى مثل مصر والشام وغيرهما".[٢]

المبحث الثاني: بعض الشروح المهمة لعلماء الهند لكتاب موطأ الإمام مالك

دواعي انشغال العلماء بالعلم الحديث وشروحه: بسبب المساعي والمجهودات التي بذلها علماء القرن التاسع الهجري أنجبت الهند نوابغ من العلماء والمحدثين الكبار في علم الحديث، الذين جعلوه نصب حياتهم، وشغلوا به وبذلوا حياتهم وكل غالٍ وثمين في نشر الحديث النبوي والسنة النبوية وإحيائها وحفظها وتدوينها وترويجها وشرحها. وكانت جهودهم في خدمة علم الحديث في العصور المتأخرة، سيما في القرن العاشر إلى القرن

---

[١] راجع ترجمته في عبد الحي الحسني: الإعلام، جـ٢، ص٥٥٣-٥٥٧/ صديق حسن خان: أبجد العلوم، ص٧٠٠

[٢] راجع لمزيد من التفاصيل حول هذا التأثير والتأثر يسري أحمد زيدان: دور الهنود في الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، العدد الثاني عشر، المجلد الأول، مارس عام ٢٠٠٤م، ص٢٤٣-٢٦٦

الرابع عشر الهجري وما بعدها، معروفة لدى العالم العربي والإسلامي[١]. وقد دفعت كل من الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية المسلمين سيما العلماء في ذلك أن يبذلوا المجهودات المضنية في الجبهات العديدة ومن أهمها:

١. إنشاء المؤسسات التعليمية في ربوع الهند لتدريس الحديث والتفسير والعلوم الإسلامية للحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية في ظل الاستعمار الإنجليزي.
٢. إنشاء المطابع الحجرية لطباعة النصوص الدينية من الكتب والمجلات ونشرها وترويجها في المدارس الإسلامية وفي المجتمع الهندي نفسه[٢].
٣. إعداد الكوادر من المحدثين والباحثين في العلوم الإسلامية للانشغال في فنون الحديث بين التدريس، والبحث والشرح والتأليف.
٤. إعداد الكوادر الخاصة لإعداد سير مشاهير الإسلام من الصحابة، والتابعين والسلاطين وغيرهم من الشخصيات الدينية باللغة العربية وفي اللغات المحلية[١]، وذلك أنه من المعلوم أن الاستعمار الإنجليزي

---

[١] وبسبب هذه المجهودات المضنية أصبحت الهند مركزًا لهذا العلم الشريف حتى صدرت من قلم عالم مصري وهو العلامة السيد رشيد رضا المتوفى عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، الكلمات التالية:" ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر، لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة." حول كلام رشيد رضا عن إسهام الهنود في علم الحديث راجع أ. ي. فنسنك: ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي: مفتاح كنوز السنة، ط: القاهرة ١٩٣٤م، مقدمة محمد رشيد رضا، رقم الصفحة (ق)

[٢] حول إسهام علماء الهند في نشر التراث العربي الإسلامي، راجع مقالة للباحث الفقير "جهود المسلمين في نشر التراث العربي والإسلامي في شبه القارة الهندية، مجلة الندوة الهندية نموذجًا"، ط: ندوة التاريخ الإسلامي، مجلة علمية محكمة يصدرها قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، يونيه ٢٠٠٨م، ص١٥٤-٢٠٠

[١] حول إسهام علماء الهند في إعداد سير مشاهير الإسلام راجع مقالة للباحث الفقير "إسهام علماء شبه القارة الهندية في كتابة السيرة النبوية باللغة الأردية: شبلي النعماني نموذجًا"، المنشور في كتاب المؤتمر الدولي الأول لقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة المنعقد في شهر ذي الحجة ١٤٣١هـ/الموافق شهر ديسمبر عام ٢٠١٠م، ص٣٣١-٣٧٦

في الهند جهز الكوادر الخاصة من المستشرقين لإخراج الكتب الدينية النصرانية والإسلامية، الذين حاولوا من خلال هذه الكتب تشويه صورة الإسلام وشخصياته سيما في مشاهير الإسلام والحط من شأنهم ومن شأن الدول الإسلامية التي حكمت في الهند. وقد وفرت الإدارة الإنجليزية المطابع والمؤسسات التعليمية لتحقيق أهدافها السياسية والدينية في الهند[١]. وهناك نماذج عديدة من الافتراءات ومن أهمها التشكيك في مصدر الإسلام نفسه، والحط من مقام صاحب الرسالة، وتشويه سيرة المشاهير والأبطال والقادة، واستغلال الخلافات المذهبية.[٢]

ومن هنا نجد أن العلماء في الهند آنذاك بذلوا المجهودات الحثيثة في نشر التراث العربي الإسلامي، وإحياء السنة النبوية ونشرها من خلال شرح أمهات كتب الأحاديث النبوية ونشرها، وإعداد الكتب الخاصة حول سير وتراجم الصحابة والتابعين والعلماء دون أي تفريق. فكلما يطلع الباحث على إسهامات علماء الهند في التراث الإسلامي، سيما في الحديث النبوي يجد أنهم بذلوا مجهودًا كبيرًا في شرح وتحقيق كتب الأحاديث. وحتى نجد أن لهم إسهامات جليلة في شرح وتحقيق كتاب الموطأ لمولانا الإمام مالك

---

[١] وقد اعترف بعض المستشرقين بنوايا الحكومات الاستعمارية وأكدوا على أنها منذ بداية نفوذها في هذه البلاد، استندت إلى المستشرقين لكتابة تاريخ تلك البلاد. وكان الهدف لدى هؤلاء المؤرخين هو تبرير وجود المستعمر، ومؤسسات حكمه، وضمان استمرار السيادة الاستعمارية، وكانت وسيلتهم في ذلك، إضفاء السواد على عهد ما قبل المستعمرات، الذي وصفوه –دائمًا وفي كل مكان–بعهد البربرية والتخلف، بينما أضفوا البياض والنقاء على عهد الحكم الاستعماري الذي قدموه كأداة للتنوير والتقدم". راجع برنارد لويس: الإسلام في التاريخ، ترجمة مدحت طه، ط: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٠٩

[٢] للاطلاع على نشاطات الجمعيات التبشيرية والاستشراقية وجهودها المشتركة في عملية الدعوة النصرانية في الهند راجع محمد عزت إسماعيل: التبشير والاستشراق: أحقاد وحملات على النبي صلى الله عليه وسلم، ط: مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. راجع ٤٢-٢٢٧-٢٢٨

رضي الله عنه على الرغم أن مذهبه لم ينتشر انتشارًا واسعًا كالمذاهب الثلاثة الأخرى في شبه القارة الهندية[١]. وهناك محدثون كبار قاموا بشرح كتابة الموطأ شرحًا كاملًا وفي مجلدات عديدة مع كتابة ترجمة وافية للإمام مالك في كل شروحه، وكان فضل ذلك يرجع إلى المبادرة التي قام بها المحدث الكبير الشيخ شاه ولي الله الدهلوي من ضمن إحياء السنة النبوية ونشرها في شبه القارة الهندية وأبنائها. وعلي أن أذكر بعض شروح الموطأ فيما يلي:

المسوى شرح الموطأ للإمام شاه ولي الله الدهلوي[٢]: يقع في جـــزأين، صنفه الإمام بالعربية ورتب فيه الموطأ على طريقة بديعة مفيدة، وحذف منه بعض أقوال مالك، مما تفرد به مالك عن سائر المجتهدين، وزاد فيه الآيات الشريفة المتعلقة بتلك الأبواب وعلق عليها تعليقات مختصرة مفيدة ودقيقة وشاملة. وفي مقدمة الكتاب يذكر الشاه ولي الله سبب قيامه بشرح الموطأ فيقول:"...إنه قد حصل لي تشويش في القلب بسبب اختلاف

---

[١] يعد السلطان محمد بن تغلق المتوفى ٧٥٢هـــ/١٣٥١م من السلاطين الهنود الذين حاولوا بكل الطرق تفعيل القنوات الشرعية كلها، ومن ضمنها حاول أيضًا تعيين قاضي قضاة في المذاهب الأربعة ومنها المذهب المالكي، على الرغم من أنه ما كانت توجد شريحة من الناس على هذا المذهب الذي لم يكتب له الانتشار في ربوع الهند بالمقارنة بالمذهب الحنفي والشافعي. وعلى كل يمدنا الرحالة ابن بطوطة ببعض المعلومات تفيد بأن السلطان كان قد عين القضاة لكل هذه المذاهب الأربع، ولدى كلامه حول خروج موكب السلطان المذكور يقول:"ويركب قاضي القضاة...وسائر القضاة وكبار الأعـــزة من الخراسانيين، والعراقيين، والشاميين، والمغاربة..كل واحد منهم على فيل...ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب...راجع شمس الدين أبي عبد الله الملقب بـــابن بطوطة:تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، ستة مجلدات، ط:أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـــ/١٩٩٧م، جـــ٣، ص١٥٨/هذا، وقد أكد ابن بطوطة نفسه أنه تم تعيينه كقاضي قضاة المالكية، فذكر لقاءه مع السلطان وما أنعم الأخير به من الإحسان والولاية، فيقول:" :"...فأخذ بيدي وزير السلطان وتقدم بي نحو السلطان الذي قال لي:"لا تحسب قضاء دهلي من أصغر الأشغال، وهو أكبر الأشغال عندنا....فقلت له يا مولانا على مذهب مالك وهؤلاء حنفية، وأنا لا أعرف اللسان، فقال لي قد عينت بعض الوزراء ينوبون عنك ويشاورون وتكون أنت الذي تسجل على العقود...، راجع المصدر نفسه، ص٢٣٠-٢٣٤

[٢] راجع ولي الله الدهلوي: المسوى شرح الموطأ، تحقيق وتصحيح جماعة من العلماء، ط:دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان عام ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م/ وله شرح آخر باللغة الفارسية سماه المصفى شرح فيه الموطأ على ترتيبه في المسوى شرحًا مفيدًا للغاية لأهل اللغة الفارسية.

مذاهب الفقهاء وكثرة أحـــزاب العلماء، وتجاذبهم كل واحد عن الآخر إلى جانب، وذلك لأنه لا بد من تعيين طريق للعمل، والتعيين بلا مرجح سفسطة، ووجوه الترجيح كثيرة، والعلماء قد اختلفوا في تقريرها إجمالًا وتفصيلًا اختلافًا فاحشًا، فتشبثت ذات اليمين وذات اليسار بلا طائل واستعنت بكل أحد بلا جدوى، فبعد ذلك توجهت إلى الله سبحانه وتعالى متضرعًا وقلت لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، فألهمت الإشارة إلى كتاب "الموطأ" تأليف الإمام الهمام حجة الإسلام مالك بن أنس، وعظم ذلك الخاطر رويدًا رويدًا. وتيقنت أنه لا يوجد الآن كتاب ما، في الفقه أقوى من موطأ الإمام مالك، لأن الكتب تتفاضل فيما بينها، أما من جهة فضل المصنف أو من جهة التـــزام الصحة أو من جهة شهرة أحاديثها أو من جهة القبول لها من عامة المسلمين أو من جهة حسن الترتيب واستيعاب المقاصد المهمة ونحوها، وهذه الأمور كلها موجودة في الموطأ على وجه الكمال بالنسبة إلى جميع الكتب الموجودة على وجه الأرض الآن.[١]"

بستان المحدثين في بيان كتب الحديث وأصحابها الغر الميامين[٢]: للإمام المحدث عبد العـــزيز بن الإمام ولي الله الدهلوي المتوفى ١٢٣٩هـــ/ ١٨٢٣م[١]. ألفه الشيخ بالفارسية، وهو بمثابة مذكرة علمية جيدة في التعريف بأئمة المحدثين وأعمالهم في علم الحديث. وقد بدأ المؤلف بكتابة سيرة الإمام بدقة بالغة؛ فذكر حياة الإمام مالك بإيجاز مع ذكر مولده، ووفاته، وصفته،

---

[١] راجع مقدمة المسوى، ص١٧-١٨

[٢] عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي: بستان المحدثين في بيان كتب الحديث و أصحابها الغر الميامين، تعريب محمد أكرم الندوي، ط: دار الغرب الاسلامي من تصوير الطيماوي، دون تاريخ.

[١] راجع ترجمته الحافلة في عبد الحي الحسني: الإعلام بمن تاريخ الهند من الأعلام، جـــ٣، ص١٠١٤-١٠١٧

وعلمه وفقهه، ومجالسه العلمية، وتوقيره للحديث النبوي الشريف، مع الإشارة إلى مكانة الإمام وعظمته بين العلماء والفقهاء، مع الذكر لموقفه من المحدثات والبدع، وأقواله في العلم، وإجلاله للمدينة. ثم خصص المبحث الخاص لدراسة الموطأ ومكانته العلمية وفضائله وخصائصه ومدى اعتناء الأئمة بمؤلفاته شرحًا وتعليقًا ودرسًا وتمحيصًا[١]. وتناول بالتفصيل روايات الموطأ المعروفة أي الروايات الستة عشر[٢]. وانتهي المؤلف بكتابة الفائدة المهمة فيقول:"واعلم أنه ليس بأيدي الناس اليوم من مؤلفات الأئمة الأربعة في الحديث إلا الموطأ، وأما كتب المسانيد التي عرفت بهم في العالم فليست من مؤلفاتهم، بل جاء بعدهم رجال قاموا بجمع مرويات هؤلاء الأئمة ونسبوها إليهم، ولا يخفى على عاقل أن مرويات الرجل تكون مجموعة لكل رطب ويابس وصحيح وضعيف بل وموضوع، فما دام ذلك العالم الذي ندين له بالفضل والعلم لا يقوم بنفسه بتنقيحها وتمييز صحيحها وحسنها من ضعيفها وموضوعها ثم يعمل فكره فيها ويمعن النظر ويقرأها على أصحابه، فكيف يعتمد عليها ويوثق بها؟"[٣]

المحلى بأسرار الموطأ: لصاحبه الشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام بن فخر الدين الدهلوي المتوفى عام ١٢٢٩هـ/١٨١٣م، وهو من أولاد الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي. وشرح الموطأ برواية يحيى. وفرغ من تأليفه

---

[١] راجع بستان المحدثين، ص٢١-٣٢

[٢] وقد اكتفى المؤلف بذكر روايات الإمام المتداولة في بلاد العرب وهذه الروايات هي، رواية يحيى بن يحيى الليثي، ورواية ابن وهب، ورواية القعنبي، ورواية ابن القاسم، ورواية معن بن عيسى، ورواية التنسي، ورواية يحيى بن بكير، ورواية ابن عفير، رواية أبي مصعب الزهري، ورواية مصعب الزبيري، ورواية الصوري، ورواية ابن برد، ورواية يحيى التميمي، ورواية أبي حذافة السهمي، ورواية سويد، ورواية محمد بن الحسن الشيباني. راجع ص٣٢-٦١

[٣] راجع بستان المحدثين، ص٦٤

١٢١٥هـ/١٨٠٠م[١]. وله شرح على شمائل التـرمذي، وله "خلاصة المناقب" قي فضائل أهل البيت ورسالة في أصول الحديث، ورسالة في الإشارة بالسبابة عند التشهد في الصلاة[٢].

التعليق المُمَجَّد لموطّأ الإمام محمد[٣]: للعلامة عبد الحي اللكهنؤي المتوفى عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م. وهو من علماء الهند الكبار الذين اشتغلوا في الحديث والتراجم. وله مؤلفات كثيرة في العلوم الإسلامية. وهو أيضًا يعد من فقهاء الحنفية[٤]. وقد رجح في هذا الكتاب رواية محمد بن الحسن الشيباني على رواية يحيي لعدة وجوه:" الأول: يحيى الأندلسي سمع الموطأ بتمامه من بعض تلامذة مالك، وأما مالك فلم يسمعه منه بتمامه، بل بقي قدر منه، وأما محمد فقد سمع منه بتمامه كما مر فيما مر، ومن المعلوم أن سماع الكل من مثل هذا الشيخ بلا واسطة أرجح من سماعه بواسطة. الثاني: أنه قد سبق أن يحيى الأندلسي حضر عند مالك في وفاته، وكان حاضرًا في تجهيزه وأن محمدا لازمه ثلاث سنين من حياته، ومن المعلوم أن رواية طويل الصحبة أقوى من رواية قليل الملازمة. الثالث: أن موطأ يحيى اشتمل كثيرًا من المسائل الفقهية واجتهادات الإمام مالك المرضية،

---

[١] يوجد له نسخة خطية في مكتبة خدا بخش پتنه، الهند تحت رقم H.L. NO. 3240/ No.2989، وهذه النسخة غير كاملة حيث يوجد منه ٢٧٨ ورقة، والفصل الخاص بالحج غير موجود. وهو مكتوب بخط النستعليق. ولا توجد البيانات الكاملة تفيد باسم الناسخ وتاريخ النسخ بس يبدو أنه تم نسخه في القرن الحادي عشر الهجري تقريبًا. لمـزيد من المعلومات عن هذا المخطوط راجع الرابط التالي: (http://bit.ly/1aM7s66)

[٢] راجع ترجمته في عبد الحي الحسني: الإعلام، جـ٣، ص٩٨٣

[٣] وقد قام دكتور تقي الدين الندوي بتحقيق ونشر هذا الكتاب تحت عنوان:" موطأ الإمام مالك-رواية محمد بن الحسن الشيباني مع الكتاب : التعليق المُمَجَّد لموطّأ الإمام محمد. ثلاثة مجلدات، ط: دار القلم، دمشق عام ١٤١٣هـ/١٩٩١م/ وقام المحققان شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي بتحقيق هذا الكتاب أيضًا في أربعة مجلدات، ط: الوعي الإسلامي بالكويت عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

[٤] من كتبه ومصنفاته: الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، التعليقات السنية على الفوائد البهية، الإفادة الخطيرة، التحقيق العجيب، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، ظفر الأماني في مختصر الجرجاني، نفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل، وغيرها. راجع عبد الحي: الإعلام، جـ٣، ص١٢٦٨

وكثير من التراجم ليس فيه إلا ذكر اجتهاده واستنباطه من دون إيراد خبر ولا أثر بخلاف موطأ محمد، فإنه ليست فيه ترجمة لباب خالية عن رواية مطابقة لعنوان الباب موقوفة كانت أو مرفوعة، ومن المعلوم أن الكتاب المشتمل على نفس الأحاديث من غير اختلاط الرأي أفضل من المختلط بالرأي. الرابع: أن موطأ يحيى اشتمل على الأحاديث المروية من طريق مالك لا غير، وموطأ محمد مع اشتماله عليه مشتمل على الأخبار المروية من شيوخ آخرين غيره. ومن المعلوم أن المشتمل على الزيادة أفضل من المتغاضي عن هذه الفائدة، وقد ذكر غيرها من وجوه ترجيح موطأ محمد على الموطأ برواية يحيى"[١].

أوجــز المسالك إلى موطأ مالك: للشيخ العلامة المحدث محمد زكريا الكاندهلوي المتوفى عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهو من المحدثين الكبار صاحب المؤلفات الكثيرة في الحديث النبوي. ويقع هذا الكتاب في سبعة عشر مجلدًا[٢]. وعلي أن أذكر فيما علق الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي على أعمال الشيخ محمد زكريا ومنها كتابه "أوجــز المسالك" في كتابه "سيرة حضرة شيخ الحديث مولانا محمد زكريا الكاندهلوي". فيقول:" ومن أهم أعماله الجليلة هو أوجــز المسالك شرح موطأ الإمام مالك، الذي نشر لأول مرة في ستة مجلدات كبار في الهند. وقد بذل الشيخ زكريا المجهودات المضنية خلال ثلاثين عامًا متتالية في إخراج هذا الكتاب. وكنت قد سمعت من مفتي الحجاز وفقيه مكة السيد محمد علوي المالكي رحمه الله، الذي يعد من العلماء العظام في عصره، كان يثني على كتاب أوجــز

[١] راجع مقدمة التعليق الممجد على موطأ محمد. ط: لكهنؤ بالهند عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م

[٢] نشرته دار القلم بدمشق في سبعة عشر مجلدًا في عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، بعد ما اعتني به وعلق عليه الدكتور تقي الدين الندوي.

المسالك. وكان يعبر عن استغرابه مما قام به الشيخ زكريا بدراسة المسائل الصغيرة والكبيرة في كتابه هذا بصورة دقيقة وشاملة وعميقة. وقال:"لو لم يذكر الشيخ زكريا في مقدمة الكتاب أنه حنفي المسلك لكذبت كل من يقول أنه ليس مالكيا؛ ذلك لأنه يحمل كتابه المسائل الجـــزئية بكثرة بحيث من الصعب البحث عنها بسهولة في أعمالنا المالكية". ثم يختم الشيخ الندوي كلامه بقوله هذا:" ويحمل هذا الكتاب مقدمة شاملة تناول فيها الشيخ علم فن الحديث وتاريخه وتدوين الحديث بصورة دقيقة وشاملة. ثم كتب عن سيرة الإمام مالك وذكر خصائص ومميزات لكل من شخصيته وكتابه الموطأ. ثم تعرض لبعض شروح الموطأ قام بها العلماء عبر العصور. ثم ذكر تراجم مشايخه وسلسلة أسانيده مع ذكر نبذة بسيطة عن خدمات الإمام أبي حنيفة رحمه الله في مجال الحديث والفقه مع دراسة أصوله ومسلكه في هذا المجال."[١]

وأما خصائص هذا الشرح فأنا أنقل هنا نص عبارة العلامة المحدث الشيخ محمد يوسف البنوري رحمه الله المتوفى عام ١٣٩٧هـــ/١٩٧٧م من مقدمته على هذا الشرح: الأول:أنه شرح ممـــزوج مع متن الحديث ولفظ السند، فيشرحه شرحًا حرفيًا، فيسهل على الناظر تعاطيه، ويدرك قوادمه وخوافيه. والثاني: أنه ينبه على سائر الألفاظ الواردة في الأمهات الست من رواية لفظ الحديث لكي يقف الناظر على شرحه بوضوح وجلاء ويتسني له ترجيح بعضها على بعض من غير خفاء. والثالث: أنه يستوفي شرح أسماء الرجال بكلام موجـــز منقح مع جرح وتعديل إيقاظا للناظر على درجة

[١] راجع أبي الحسن علي الحسني الندوي: حضرة شيخ الحديث مولانا محمد زكريا صاحب، ط٣: مكتبة إسلام لكهنؤ، الهند عام ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٣م، ص٢٤١-٢٥٤

الحديث. والرابع: أنه يستوفي بيان المذاهب الأربعة وما عداها في المسائل الخلافية، من كتب موثوقة عند أهلها، بل يستقصي الأقوال والروايات المختلفة المروية في كتب المذاهب عن الأئمة ولا سيما في مذهب مالك لكي يطمئن كل من انتسب إلى أحد من الأئمة المتبوعين على بصيرة. والخامس: أنه يذكر أدلة المذاهب تارة بالاستقصاء وتارة بالتلخيص حسب ما اقتضاه المقام. السادس: أنه يعتمد في شرح الحديث على جهابذة شارحي الموطأ كالقاضي أبي الوليد الباجي، والقاضي عياض وأمثالهما، وتارة ينتقي من كلام المتأخرين من الشارحين. والسابع: أنه أوفى شرح للموطأ حديثًا ولغة يقول وسطا في الباب من غير إخلال ولا إطناب. والثامن: أنه يذكر في شرح الحديث بعد استيفاء أقوال الشارحين الأعلام ما تلقاه من أعلام عصره كالشيخ المحدث السهارنپوري صاحب "بذل المجهود في شرح سنن أبي داوود" وفقيه عصره كالشيخ المحدث الگنگوهي وصاحبه يحيي الكاندهلوي والد المؤلف، وذلك في معترك صعب يتجلى فيه نبوغ هؤلاء الأعلام، وما يذكره من أعيان الهند المحققين كالشاه ولي الله الدهلوي في شرحه باللغة الفارسية المصفى وفيه نفائس، والشيخ المحدث عبد الحي اللكهنوي في السعاية في كشف شرح الوقاية، والمحدث السنبهلي في شرح مسند أبي حنيفة، والمحدث النيموي في آثار السنن وغيرهم وكل ذلك علوم وأبحاث تختص بالبلاد الهندية لم تصل إلى بلاد العرب. فأصبح الشرح بذلك وثيقة اتصال بين أعيان الهند وأعلام العرب. والتاسع: أنه اعتنى بغرر النقول من كتب القدماء والمتأخرين من المحدثين من كتب لم تطبع عند تأليفه بالقاهرة ولا ببلاد العربية، تلك الأبحاث الرائعة كتأليف الإمام الطحاوي عبقري هذه الأمة في قدماء المحدثين، "كمشكل الآثار" و"شرح معاني الآثار" وككتب

الإمام محمد حسن الشيباني من الحجج والآثار، وككتاب "البناية شرح الهداية" للبدر العيني، فأصبحت وسيلة صادقة لاطلاع أرباب العلم من بلاد العرب.والعاشر: أنه استوى الشرح من بدئه إلى الختام بأسلوب واضح غير معقد بعبارة فصيحة وسهلة وبخطة متوسطة بين الإيجاز وبين الإسهاب والإطناب فتشابه طرفاه وكان كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها وكما قال أبو الطيب: "فتشابهت كلتاهما بجلاء" فخذها وتلك عشرة كاملة من أمهات خصائص الشرح، ولم أرد استيفاء محسانها ولا استقصاء دقائقها من معادنها، والله ولي كل توفيق وكل نعمة وهو حسبنا ونعم الوكيل.[١]" انتهى كلامه.

موطأ الإمام مالك: ومؤخرًا قام الشيخ مصطفى الأعظمي بتحقيق موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي، بتكليف مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية بتحقيق وشرح الكتاب. وقد بذل الشيخ مجهودًا كبيرًا في تحقيقه مع الإطلاع على معظم المخطوطات من القديم والحديث مع المقارنة الدقيقة والتعريف بها. وجاء الشرح في ثمانية مجلدات، خصص الجـــزء الأول كمقدمة شاملة اشتملت على ترجمة للإمام مالك رحمة الله عليه، وحياته العلمية، وتلاميذه، ونشاطاته التصنيفية، وكذلك الكلام على الموطأ وبواعث تأليفه ورواته والرد على ما أثير حوله قديمًا وحديثًا، وختمه بفهارس دقيقة وشاملة وضوع له معجمًا مفهرسًا لألفاظه[١]

---

[١] راجع تقي الدين الندوي:الإمام مالك ومكانة كتابه "الموطأ"، ط٢: وزارة الإعلام والثقافة الإدارة الثقافية بدولة الإمارات العربية المتحدة، ص١٥٧-١٦٠

[١] موطأ مالك: تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان أبو ظبي – الإمارات

ثنائيات موطأ مالك: للهنود أيضًا جهود في جمع ثلاثيات وثنائيات موطأ الإمام مالك؛ فقد وفق العالم المحدث الهندي الشيخ محفوظ الرحمن الفيضي بجمع ثنائيات الموطأ في كتاب خاص نشر باسم " ثنائيات موطأ الإمام مالك " وقد اعتمد الشيخ على جميع نسخ الموطأ المطبوعة في الشرق والغرب إلى جانب البحث عنها في كتاب " تجريد التمهيد في الموطأ من المعاني والأسانيد أو التقصي لأحاديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك" للحافظ ابن عبد البر لاستخراج هذا الكنـــز الثمين، وقبل نشر الكتاب كتب مقالة علمية بعنوان " ثنائيات موطأ.."نشرها في مجلة "معارف" الأردية.وأكد الشيخ في هذه المقالة العلمية على أنه تمكن من جمع ثلاثة وخمسين بعد المائة من الثنائيات من موطأ الإمام مالك. وجمعها في كتاب له باسم "ثنائيات موطأ الإمام مالك"[١].

المبحث الثالث:تعريف وترجمة الشيخ السيد سليمان الندوي

هو الشيخ العلامة الأستاذ السيد سليمان الندوي الحسيني، أحد العلماء المبرزين في علوم التفسير والتاريخ والأدب والكلام ونوابغ الفضلاء والمؤلفين في شبه القارة الهندية.

ولد يوم الجمعة لسبع بقين من صفر عام اثنتين وثلاثمائة وألف، الموافق ٢٢ من نوفمبر عام ١٨٨٤م، ونشأ بدسنه – بكسر الدال وسكون السين المهملتين – وهي قرية من أعمال ولاية بهار.

وقرأ مبادئ العلم وبعض الكتب المتداولة، ثم التحق بدار العلوم ندوة العلماء عام ١٣١٨هـــ/١٩٠٠م، وتخرج فيها ونال الشهادة العالمية عام

[١] راجع الشيخ محفوظ الرحمن فيضي: ثنائيات موطأ إمام ملك" مقالة أردية منشورة في معارف الأردية، عدد فبراير عام ٢٠٠٢م، ص١٠٩-١١٥، وقد نشر كتابه باسم "ثنائيات موطأ الإمام مالك، جمع وترتيب الشيخ محفوظ الـــرحمن الفيضي، ط: الهند.

١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ولا شك أن كبار العلماء والمدرسين قد اجتمعوا في عصره في ندوة العلماء، فقرأ عليهم واستفاد منهم، وكان منهم العلامة شبلي النعماني رحمه الله المتوفى ١٣٣٢هـ/١٩١٣م[١].

أخذ عنه السيد سليمان الندوي الأدب العربي، واستفاد منه استفادة عامة واختص به ولازمه، وتولى نيابة عنه تحرير مجلة "الندوة" ثلاث مرات، ولفت الأنظار بمقالاته العلمية التي تدل على نبوغه وتبشر بمستقبل الكاتب، وعيّن أستاذًا في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، ثم استقدمه مولانا أبو الكلام آزاد عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م للمشاركة في تحرير جريدة (الهلال)، ومكث فيها سنة، ثم اختير أستاذًا في "كلية پونا" التابعة لجامعة بومبائي، وأقام فيها نحو ثلاث سنوات، وحاز ثقة الأساتذة والطلبة.

ثم طلبه أستاذه العلامة شبلي عند دنو الأجل، وفوض إليه إكمال سلسلة "سيرة النبي"على صاحبها الصلاة والسلام، التي بدأ بها، وإدارة دار المصنفين التي أسسها، وتوفي أستاذه على إثر ذلك، وذلك في عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م، وتولى تحرير مجلة "المعارف" الشهرية الصادرة عن دار المصنفين، وعكف على التأليف والتحقيق مكبّاً على إكمال "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم". وزار لندن وباريس والقاهرة وأفغانستان، ولما عقد الملك عبد العزيز مؤتمر العالم الإسلامي عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م ودعا علماء المسلمين وزعماءهم، اختير العلامة السيد سليمان الندوي نائباً للرئيس في

[١] قد تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء، وأشهرهم الشيخ السيد سليمان الندوي، وهو خليفة العلامة شبلي، كان من أحلى أمانيه أن يكمل كتاب شيخه: "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم" وقد وضع شبلي خطة الكتاب وجمع المواد العلمية وبدأ تأليفه لكنه لم يؤلف إلا جزأين حتى وافاه الأجل، فخلفه تلميذه النابغة السيد سليمان الندوي، وأكمل الكتاب في سبعة مجلدات كبار.

وقائع المؤتمر.

وقد طلبه ملك أفغانستان ليستفيد من تجاربه ودراساته فسافر مع الدكتور محمد إقبال والسيد رأس مسعود، وأكرمه الملك، واحتفت به البلاد، ومنحته جامعة عليگره الإسلامية شهادة الدكتوراه الفخرية في الأدب اعترافاً بمكانته العلمية.

وطلبه حاكم ولاية بهوپال ليتولى رئاسة القضاء في الإمارة ورئاسة الجامعة الأحمدية والإشراف على التعليم الديني والأمور الدينية في بهوپال، فأجابه إلى ذلك، وأقام فيها ثلاث سنوات، وبعد انقسام الهند طلبه بعض أركان حكومة پاكستان ليشارك في وضع الدستور الإسلامي للحكومة الوليدة فأجابهم إلى ذلك، في شعبان عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م وقرر الإقامة في پاكستان. وكذا اختاره مجمع فؤاد الأول في مصر عضواً مراسلاً في عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م[١].

ووافاه الأجل غرة ربيع الآخر عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م في كراتشي، وحضر جنازته كبار العلماء وأعيان البلاد، وجمع كبير من الناس، ودفن في مقبرة كراتشي بجوار الشيخ شبير أحمد العثماني صاحب كتاب "فتح الملهم شرح مسلم"، المتوفى سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م[٢].

كان السيد سليمان الندوي: من كبار المؤلفين في هذا العصر، ومن المكثرين في الكتابة والتأليف، مع سعة علم ودقة بحث وتنوع مقاصد. قال سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله وهو من تلامذته:"كان السيد سليمان الندوي لا يراه الناس قط في وسخ وتبذل، ملتزمًا للعمامة في

[١] راجع مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٨٤، ربيع الثاني ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

[٢] راجع ترجمته في مقدمة تكملة "فتح الملهم" المجلد الأول و"حياة عثماني" لأنوار الحسن الشيركوتي.

الأسفار والمجامع، مقلًا عن الكلام، كثير الصمت، دائم الفكرة، امتــزج العلم بلحمه ودمه، فلا يعني إلا به، ولا يتحدث إلا عنه، مديم الاشتغال بالمطالعة والبحث، دائم المذاكرة للعلماء في العلم والدين، سلس القريحة، سائل القلم في التأليف والتصنيف... وكان راسخاً في العلوم العربية وأدبها، دقيق النظر في علوم القرآن وعلم التوحيد والكلام، غزير المادة في التاريخ وعلم الاجتماع والمدنية، صاحب أسلوب أدبي في اللغة الأردية وكاتبا مترسلا في اللغة العربية"[١].

وله مؤلفات عديدة منها: تكملة "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم" لأستاذه في خمسة مجلدات كبار. و"خطبات مدارس" من خير ما كتب في السيرة النبوية، ونقله مسعود الندوي إلى اللغة العربية باسم "الرسالة المحمدية" ونقل إلى الإنجليزية أيضاً. وله كتب أخرى مهمة ومنها "تاريخ أرض القرآن"، "سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها"، "العلاقات العربية الهندية"، "سيرة الشاعر الخيام"، "حيات شبلي النعماني"، "خطبات أحمدية"، "الملاحة العربية والاكتشاف البحرية"، "نساء الإسلام"، "تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها"، و"حيات مالك" وغيرها.

المبحث الرابع: تعريف وتحليل لكتاب "حيات إمام مالك" لشيخ الندوي

هذا الكتاب لم يكن مؤلفاً مستقلًا للشيخ السيد سليمان الندوي، إنما هو مجموعة من المقالات العلمية كتبها الشيخ خلال وجوده في جامعة ندوة العلماء ونشرها في مجلة "الندوة الأردية" المحكمة بتتبع عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٧م تحت عنوان "حيات مالك". وبسبب انشغاله لم يتمكن هو

١ عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، جـ٣، ص١٢٣٥-١٢٣٩

شخصيًا من نشرها في صورة كتاب مستقل إلى أن قامت أكاديمية دار المصنفين شبلي النعماني بنشرها في كتاب مستقل تحت العنوان نفسه في عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م. وقد طبع لهذا الكتاب طبعات عديدة[١].

وجاء هذا البحث بين الأبحاث والأعمال العلمية الأخرى حول سلسلة تراجم مشاهير الإسلام لمعرفة الهنود عن إسهاماتها الجليلة في العلوم الإسلامية. وقد سبق أنه وزملاءه في دار المصنفين قاموا بتدوين السيرة النبوية وسيرة كل من الإمام أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ولكنهم لم يكتبوا شئيًا عن إمام دار الهجرة، على الرغم من أنه يعد من أكبر فقهاء المدينة ومؤسس علوم الحديث والفقه[٢].

وقد عبر الشيخ عن حبه وتقديره حيال الإمام مالك وكتابه الموطأ، مع ذكر سبب تأليف هذا الكتاب فيقول:"منذ بداية تحصيل علوم الحديث كان لدي احترام شديد وتقدير كبير نحو إمام دار الهجرة وكتابه القيم الموطأ، وكان لذلك التقدير والاحترام تأثير كبير في مما جعلني أسطر سيرته العطرة.[١]

وقد اعتمد الشيخ الندوي على أهم المصادر الأولية لإعداد كتابه هذا ومن أهمها:

---

[١] قد اعتمد الباحث على الطبعة الثانية من هذا الكتاب طبع في مطبعة معارف التابعة لدار المصنفين أعظم گره، الهند عام ١٩٢١م. وقد اطلع الباحث أيضًا على المقالة القصيرة سطرها الشيخ السيد صباح الدين عبد الرحمن حول هذا الكتات، عرّف فيها كتابه المذكور إلى جانب ذكر سيرة وجيزة للشيخ السيد سليمان الندوي. راجع مجلة معارف عدد ديسمبر عام ١٩٨٥م، ص٤٢٣-٤٣٦

[٢] كتب الشيخ الندوي ديباچة خاصة حول أهمية كتابة التاريخ وتراجم العلماء ومشاهير الإسلام، فيقول:"...في هذه الظروف الصعبة حيث إقبال الناس من المسلمين على التعليم الحديث وعدم إعطاء أدنى اهتمام بتاريخ الإسلام ومشاهير الإسلام علينا أن ندرس الموضوع وننشر تعاليم الإسلام والدراسات الإسلامية من خلال إعداد تراجم العلماء ومشاهير الإسلام من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة والشخصيات الدينية الإسلامية الأخرى ونشرح للمسلمين المسائل الضرورية للشريعة الإسلامية من خلال إسهام وأعمال هؤلاء الشخصيات الدينية....راجع ديباچة ص١

[١] راجع ديباچة ص٢

١. الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٢. تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك للحافظ جلال الدين السيوطي، ٣. تاريخ ابن خلكان، ٤. إسعاف المبطأ برجال الموطأ لجلال الدين السيوطي، ٥. تذكرة الحفاظ للذهبي، ٦. كتاب الأنساب للسمعاني، ٧. طبقات ابن سعد، ٨. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ٩. كتاب العلل لتـــرمذي، ١٠. بستان المحدثين للشيخ شاه عبد العـــزيز الدهلوي، ١١. توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس لابن حجر العسقلاني، ١٢. مناقب الإمام مالك للإمام مسعود بن منصور الزوازي، ١٣. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ١٤. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ١٥. مسند إمام أبي حنيفة، ١٦. دار قطني كتاب الذبائح بدر الدين الزركشي، ١٧. مقدمة ابن الصلاح، ١٨. أعلام الموقعين لابن الجوزية، ١٩. الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، ٢٠. كتاب الأم للإمام الشافعي، ٢١. كتاب العبـــر لابن خلدون، ٢٢. كتاب الفهرست لابن النديم، ٢٣. مرآة الأوراق لابن حجر العسقلاني، ٢٤. طبقات السبكي، ٢٥. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان المؤلف لليافعي ، ٢٦. كشف الظنون لحاجي خليفة، ٢٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال لجمال الدين المزي.

ويقع هذا الكتاب بمائة وست صفحات بقطع كبـــير. وقد ذكرت سابقًا أنه بدأ تأليف هذا الكتاب في عهد دراسته في كلية دار العلوم بجامعة ندوة العلماء، وكانت سنه آنذاك ثلاثة وعشرين عامًا. وقيامه باستخدام هذه المصادر الأولية والمهمة والاعتماد عليها لدراسة سيرة الإمام يدل على أنه كان اعتاد من صغره على البحث والتحقيق والدأب والمثابرة لدراسة العلوم الإسلامية. ومن خلال ما تناوله الشيخ الندوي في هذه السن الصغير نستطيع

أن نقول إنه كان ذا موهبة عجيبة وقدرة غريبة وقد ضمنه زاهي علمه و أرقى معرفته في الحديث الشريف وعلومه ورجاله، وفي المذاهب الأخرى غير مذهبه الحنفي.

وعلى حسب منهج كتابة تراجم العلماء تناول الشيخ الندوي اسم الإمام ونسبه بالتفصيل، ثم ذكر أحوال أسرته مما تعطي المعلومات الكافية حول أنه أول من أسلم من أجداده كان جده الأعلى أبو عامر رضي الله عنه في العهد النبوي. وقد هاجرت هذه الأسرة من اليمن واستقرت في المدينة. وجد الإمام هو مالك بن أبي عامر تابعي وهو من كبار التابعين ورواة الجميع. وكان له علاقة قوية وحميمة مع الخليفة الثالث حضرة عثمان رضي الله عنه، وروى عن أم المؤمنين عائشة وعمر وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وكان لمالك بن أبي عامر ثلاثة بنين: أنس، وربيع وأبي سهيل نافع، وأنس هو والد الإمام مالك والذي لم يكن محرومًا من العلم والفضل ولكنه ليس من الرواة الكبار. أما عمه أبو سهيل نافع فقد أكثر الإمام من الأخذ عنه في كتابه الموطأ، روى عن ابن عمر رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضوان الله أجمعين.[١]

ثم تناول الشيخ الندوي ولادته ونبوغه في العلم مع ذكر الوضع السياسي والثقافي والعلمي في المدينة. فيذكر أنه ولد على حسب المصادر الموثقة ومنها الراوي يحيى بن بكير، في سنة ثلاث وتسعين، وهو أصح الأقوال.[١] ثم يقول:"كان الإمام أصغر من الإمام أبي حنيفة بثلاث عشرة

---

[١] راجع حياة مالك ص ٣-٥

[١] راجع ص٥، هذا وقد انتقد الشيخ الندوي كلا من ابن سعد والواقدي على ما ذكرا أنه مكث الإمام مالك في بطن أمه ثلاث سنوات قبل ولادته، قائلًا: لو قبلنا جدلًا مما ذكره ابن سعد نقلًا من أستاذه الواقدي أن الإمام مكث في بطن أمه ثلاث سنوات، فمن الغالب جدًا أنهم قالوا ذلك بسبب عدم المعرفة الجيدة عن الطب، لأن هناك بعض العوارض تحدث للنساء والتي تؤدي إلى ظهور كافة آثار الحمل والتي تبقى مدة وفي تلك الأثناء يحدث حمل حقيقي،

سنة. وكان عصر الدولة الأموية والتي يحكمها الوليد بن عبد الملك الذي أسهم في توسيع نطاق السيادة الإسلامية شرقًا وغربًا ومن العجيب أن المناطق التي دخلت إلى حوزة الدولة الإسلامية هي التي نشرت فيها مذهبه، ومنها الطرابلس، وتونس، والجـــزائر والمغرب والأندلس[١].

ثم تناول الشيخ الندوي تعليمه وتربيته ونشأته الدينية فيقول:"وقد ترعرع في بيئة صالحة للغاية. وظهر نبوغه من صغره، ورزقه الله سبحانه وتعالى قلبًا واعيًا وحافظة قوية وذهنًا وقادًا، وحفظ القرآن الكريم في صغره ثم لما اتجه إلى حفظ الحديث فوجد من بيئته محرضًا ومن المدينة موعزًا ومشجعًا وبدأ يتردد على مجالس العلماء والفضلاء ليكتب العلم ويدرسه. ثم يذكر الشيخ الندوي اجتهاده في العلم مع ذكر أسماء العلماء من الصحابة والتابعين الذين كان لهم دور مهم في تطوير التعليم والتربية في المدينة المنورة آنذاك وذكر أسماء هؤلاء الشخصيات بالترتيب مع ذكر وفياتهم. فيقول:"لقد استفاد الإمام مالك من معظم هؤلاء العلماء من الصحابة والتابعين من الجيل الأول، وهكذا جمع العلم في قلب واحد وقاد والذي كان مبعثرًا في قلوب متعددة، ومن هنا لقب الإمام مالك بإمام دار الهجرة".[١]

وقد ذكر الشيخ الندوي أسماء الشيوخ الذين أخذ الإمام الأحاديث النبوية والعلوم الأخرى، وذكر بالترتيب وبالتفصيل عن أهم شيوخه ومنهم

فيعتبر بعض الناس غير العارفين كل هذه المدة فترة الحمل ولكن هذا غير صحيح وهذا ما يبدو أنه حدث مع أم الإمام. راجع ص٥-٦

[١] للتفصيل راجع ص٦-٨

[١] راجع ص٨، وذكر الشيخ الندوي أيضًا بداية تعاليمه مع ذكر نظام التعليم والمنهج آنذاك، والسبب في عدم خروجه وسفره للتعليم خارج المدينة المنورة. فيقول:" والسبب ظاهر فيما يتعلق بعدم خروجه من المدينة في سبيل العلم والمعرفة، وذلك إنه لو كان بيت أحد مليئًا من الذهب والفضة والأموال والثروات فهل هو بحاجة إلى بسط يديه أمام الغير؟ والأمر الثاني أن المدينة صارت آنذاك من أكبر مراكز تعليمية، حيث كان الأساتذة والشيوخ يشدون رحالهم إلى المدينة من فج عميق، سيما في مناسبة شهر الحج الذي كان ينمو في الناس حب زيارة المدينة وشوقها".راجع ص٩

نافع[١]، محمد بن شهاب الزهري[٢]، جعفر الصادق[٣]، محمد بن المنكدر[٤]، محمد بن يحيى الأنصاري[٥]، أبو حازم بن دينار[٦]، أبو سعيد يبى بن سعيد الأنصاري[٧]، وغيرهم، وذكر عن حياتهم وإسهاماتهم بإيجاز وتأثيرهم فيه، والتي تعطي المعلومات المفيدة حول العلاقات بين المالك التلميذ وشيوخه. وبجانب هؤلاء الشيوخ الخاصين يذكر عدد من الشيوخ الآخرين الذي روى عنهم الإمام، والذي يصل عددهم إلى أربع وتسعين شيخًا، وكتب أسماءهم بالترتيب على حسب نظام الحروف الهجائية، وجعل فهرسًا خاصًا لشيوخه غير المدنيين الذين روي عنهم. ثم أكد على أن هؤلاء هم أشهر العلماء الذين تتلمذ عليهم الإمام مالك مع أنه لاقى كثيرين ممن وفدوا على الحجاز للحج وروى عنهم.[١]

---

[١] راجع ص١٠-١١

[٢] راجع ص١١-١٣

[٣] راجع ص١٣-١٤ وبجانب ذكر سيرة حسنة للإمام جعفر من حيث أنه شيخ لكل من الإمام مالك وأبي حنيفة، كتب الشيخ الندوي منتقدًا الذهبي فيما يتعلق برواتين مرويتين عن مصعب بن عبدالله. وتفيد الرواية الأولى أن الإمام مالك لم يرو عن جعفر في عصر الدولة الأموية حتى ظهر أمر بني العباس أي أنه كان يخشى الاتصال به قبل ذلك أيام الأمويين. يقول الشيخ:"إن صحت هذه الرواية فكيف لنا أن نفسر تلك المخاوف التي كانت لا تـــزال قائمة في أيام العباسيين. ثم لماذا لحق هذا الخوف بالإمام وحده حيث إنه كان هناك شيوخ آخرون، وأخيرًا لو قبلنا ذلك جدلًا أنه كان الإمام يخشى فعلًا فلماذا كان يحضر مجلسه العلمي في عصر الأمويين؟!!!...أما الرواية الثانية فتفيد أنه لا يروي عن جعفر حتى يضمه إلى أحد أي لا يروي منه وحده يعني كان الإمام مالك يعتبره ضعيفًا في رواية الأحاديث النبوية، وهذا غير صحيح وهذه الرواية باطلة. ولدينا موطأ موجود وقد راجعت سند ما رواه عنه في الموطأ فلم أره ضم إلى جعفر أحدًا فيه...من العجيب أن العلامة الذهبي لم ينتقد هذه المسألة.." ثم يختم كلامه فيقول:" تفيد بعض الروايات أنه قد عين جعفر الصادق الإمام مالك وصيًا له لدى وفاته، ولكني بعد البحث والتمحيص في المصادر الموثقة لم أحصل على ما يدل على ذلك." راجع ص١٤

[٤] راجع ص١٤-١٥

[٥] راجع ص١٥

[٦] راجع ١٥-١٦

[٧] راجع ص١٦

[١] راجع ص١٦-٢١

وقد انتقل الشيخ الندوي بعد ذلك إلى علم الفقه الذي أخذه الإمام عن أبي عثمان ربيعة الرأي بجانب الحديث وروى عنه في الموطأ أحاديث، يعدونها اثني عشر حديثًا ما بين مسند، ومرسل وبلاغ، مشيرًا إلى أنه كان يدرس في المسجد النبوي، وكان يحضر حلقاته العلمية كل من الإمام الحسن البصري، وشعبة، والأوزاعي، والليث بن سعد المصري، ويحيى الأنصاري.[١] وقبل ذكر ترجمة الفقيه المذكور...عالج الشيخ الندوي قضية علم الفقه والحديث مع القول إنه كان تناول في الصفحات السابقة عن شيوخه المحدثين والآن سيتناول حول شيوخه الفقهاء... ثم يفرق بين المحدث والفقيه المحدث، فيقول:"مسئولية المحدث تقتصر على جمع وحفظ الأحاديث وروايتها وأسانيدها ولا اشتغال له في علوم الفقه وأصوله وفروعه وقواعده...أما الفقيه المحدث فعليه أن يشتغل في الحديث حفظا وتفقها، ومعرفة برجاله، واهتمامًا بصحيحه من ضعيفه، والتـــركيز على متون الحديث حفظًا وفهمًا واستنباطًا، ومعرفة أصوله وفروعه وقواعده. وهذا يدل على أن درجة الفقيه أكبر بكثير من المحدث المحض، ومن هنا لابد من أن يكون كل محدث فقيهًا، وذلك لأن عندي الفقهاء أعظم أثرًا وفقه الحديث أحرى بالطلب وأولى بالتنقيب والنظر والاستنباط الصحيح، ومن هنا لو يجهل المحدث التفقه في الأحاديث، والجرح والتعديل، واستنباط المسائل في ضوء الأحاديث والمعرفة برجاله والصحيح من الضعيف والمعارف الأخرى المتعلقة بأصول الحديث وفروعه وقواعده...فكيف له أن يستنبط المسائل الدينية والتفريع والتطبيق والنسخ والأحكام المعنوية الأخرى...[١]

---

[١] راجع ص ٢٢-٢٤

[١] راجع ص ٢١-٢٥

وقد جعل الشيخ الندوي جزءًا ممتعًا ومفيدًا فيما يذكر فيه حول الخصائص والمميزات المختلفة التي كان يبحث الإمام عنها في الأساتذة للدرس والتعليم على أيديهم، فكان لديه اعتبارات عديدة وتحفظات كبيرة جدًا وشروط قاسية للغاية في العلماء الذين يستحقون أن يروي عنهم. وعلى هذا أذكر نص الشيخ الندوي لمـــزيد من التوضيح:"وكان يحضر الجلسات العلمية للشيوخ المعروف عنهم الصدق والأمانة العلمية والطهارة والحفظ والفقه، وما كان يأخذ من أصحاب الهوى ولا من السفهاء، فما كان يرغب في الحضور والجلوس في مجالس غير الفقهاء. وقد كان هناك عشرات من الأشخاص الذين كان يتردد عليهم الناس لتعليم الحديث في المدينة المنورة، ولكنه لم يأخذ منهم العلم؛ ذلك لأنه يرى أن البعض منهم صاحب هوى يكذبون سهوًا أو غير متعمد، والبعض كانوا يجهلون لب الرواية والدراية، ومنهم جماعة من الشيوخ ذوي الفضل والصلاح والعبادة، وإن كانوا لا يعرفون ما يحدث؛ فهو لا يكتفي بالعدالة والضبط، بل لابد من أن يكون الراوي عنده ممن يـــزن ما ينقل إليه، ويتعرف حاله وحال من ينقل عنه؛ ولذا كان يرفض أحاديث رجال كثيرين من أهل الصلاح، ويعرف لهم فضلهم وتقواهم وصلاحهم. وقد أدرك في المدينة بعض الشخصيات الربانية الذين كانت تستجاب دعواتهم للغيث والاستسقاء، وهم قد سمعوا علم الحديث كثيرًا، ولكن الإمام لم يحدث عن أحد منهم شيئًا؛ لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، والحديث والفقه يحتاجان إلى رجال إتقان وعلم وفهم صحيح؛ ومن هنا فكان الإمام يرى أنه على الرغم من أنهم رجال الورع والتقوى إلا أنهم لم يكن لهم قدم راسخة في العلم وما كانوا يمتازون بالفهم الثاقب والرأي السديد والعلم الواسع، ولو لم توجد هذه الامتيازات والصفات

العالية فيهم يكونون غير مفيدين في طريق التحصيل للعلم والمعرفة وكذلك ليس لهم أي حجة في الدين والشريعة ولا يؤخذ عنهم. ولهذا لم يرو الإمام مالك عن كثيرين من أهل الصلاح والتقى، إذ لم يكونوا ضابطين؛ ولذا كان يقول:"إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين وأشار إلى المسجد فما أخذت عنهم شيئًا. وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينًا إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن"، ومن ثم كان الإمام مالك حريصًا على أن يكون الراوي الذي يروي عنه عدلًا، ليس من أهل الهوى، ضابطًا، فاهمًا لما يروي، لذا كان يتشدد في فحص الرجال على مقتضى هذه الشروط، من ذلك رفضه رواية علماء بلد بأسره، ومن هنا لم يرو عن أهل العراق لأنهم كانوا يأخذون الحديث عن غير ثقة في المدينة، ولم يلتفتوا إلى الثقاة من العلماء...."[١] ثم ينتهي الشيخ الندوي هنا بكلامه قائلًا:"وهذه هي الأسباب الدقيقة والشاملة أدت إلى أنه أي الإمام لم يرو عن جده الكبير في السن لأن في رأيه كبر السن له تأثير سلبي في تضعيف الحافظة والعقل.."[١] وينهي الشيخ الندوي كلامه مشيرًا إلى أهمية هذا الحذر الشديد والتحفظات في رواية الحديث وفوائدها، والتي سار عليها الإمام طول حياته، مع ذكر ثناء العلماء عليه، فيقول:"ولقد أدى تحفظات وتحريات الإمام ونقده وتمحيصه في الأحاديث إلى أن الشخص الذي روى الإمام عنه صار فيما بعد رمز الثقة والأمانة. يقول إمام المحدثين يحيى بن معين:"كل من روى

[١] للتفصيل راجع ص٢٦-٢٨

[١] وعلى حسب الشيخ الندوي لم يكتف الإمام على جده المسن بل سار على نفس المنهج لعدم الرواية عن بعض الفقهاء السبعة ومنهم حضرت سالم بن عبد الله الذي توفي عام ١٠٦هـ وكان مالك في السادسة عشرة من عمره آنذاك، وكذلك حضرت سليمان بن يسار الذي توفي عام ١٠٧هـ، ولم يرو الإمام عنهم مباشرة بسبب كبرهم في السن حيث وصل كل منهما إلى مائة سنة أو أكثر. راجع ص٢٨-٢٩

عنه مالك بن أنس فهو ثقة لدينا" وكذلك سئل الإمام أحمد بن حنبل عن راوٍ ما فرد قائلًا:"وهو ثقة لدي لأنه روى عنه الإمام مالك".[١]

وانتقل الشيخ الندوي بعد ذلك إلى الذكر عن جلوس الإمام للدرس والإفتاء مع وصف مجلسه العلمي. فتطرق إلى وضع المجالس العلمية في المسجد النبوي، وذكر بالتفصيل عن مجالس شيوخه الذين شاهدوا مجلسًا علميًا لتلاميذه النابهين والبررة قبل مماتهم. فكتب أنه قد جلس الإمام مالك للتدريس والإفتاء وهو شاب يافع في عام ١١٧هـ/ وذلك بعد ما شهد أهل الفضل والصلاح أنه أهل لذلك.[٢] ثم ذكر وصف آداب مجلسه العلمي، وعلينا أن نطلع على هذا الجانب بدقة تامة للمعرفة عن طرق التعليم والدراسة وآدابها ونظامها في تراثنا الإسلامي، سيما وأنه قد اشتهر عن مجالس العلم في التراث أن طلبتها كانوا يجلسون كأن على رؤوسهم الطير. وعلي أن أنقل هنا بعض الاقتباسات من كتابه القيم؛ ذلك للتقييم عن شخصية صاحب هذا الكتاب من ناحية البحث والتدقيق. ويصف الشيخ الندوي آداب مجلس الإمام فيقول:"كانت مجالس الإمام دائمًا تعقد على السجادة النظيفة والمطهرة، وكان يخصص المكان في وسط المجلس لجلوس الشيخ لدى إعطاء الدروس والإملاء، وكانت الوسائد مطروحة يمنة ويسرة لمن يأتيه، وكانت المراوح توضع في المجلس للحاضرين. وقبل الدخول إلى المجلس كان الإمام يتوضأ ويغتسل ويلبس أحسن ثيابه ويجلس في المكان المخصص له، ويعطر المجلس بالعود ونحوه تعظيمًا لحديث النبي الشريف". ثم يصف الشيخ الندوي عملية الدرس فيقول:" وكان مجلسه مجلس علم ووقار، وكان

---

[١] راجع ص٢٩
[٢] راجع ص٣٢

مالك رجلًا مهيبًا نبيلًا، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط ولا رفع صوت، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث، فلا يجيب إلا في الحديث بعد الحديث والمسألة بعد المسألة، حتى الإمام أبو حنيفة كان يجلس بين الطلبة بمنتهى الأدب والوقار. ويروي الإمام الشافعي قائلًا إننا ما كنا نقلب صفحات الكتاب خوفًا من رفع الصوت ونحوها. ولا شك أن مجلسه ليس مجلس جدل وخصومات، وليس مجلس سفسطة وقيل وقال، إنما هو مجلس تحُفّهُ الملائكة، وتغشاه السكينة، وتتنـــزل عليه الرحمة، فهو مجلس الهدوء والإيمان والتقوى، ليس فيه لغط ولا رفع أصوات، ولا جدل، ولا قصد الظهور، ولا الكلام في الناس. فمجلسه الموقر كان يوفر للمتعلمين جو السكينة التي تنعكس على عقل الطلبة وسمعهم ووجدانهم وفي نفس الوقت يترك الوقار والهيبة للزائرين من الأمراء والعلماء والفضلاء."[١] ثم يذكر بعض الأمثلة من موقفه تجاه الأمراء والولاة والخلفاء حول آداب الدرس والتدريس والمجالس العلمية، فكان كل من والي المدينة والخليفة هارون الرشيد مرعوبين من هيبة الإمام العلمية والأخلاقية، وكانا يستهينان بأنفسهما في مجلسه. وعلي أن أنقل هنا ما كتبه الشيخ الندوي حول موقف الإمام مالك من الخليفة هارون الرشيد حول أن العلم يؤتى إليه ولا يأتي إلى أحد. يقول:"لم يكن الإمام صاحب الدولة والسلطة، إنما كان على العظماء والحكام وأصحاب الجاه والسلطة أن يطأطئوا في مجلسه رؤوسهم احترامًا له ولعلمه. ولما طلب الإمام الشافعي رضي الله عنه من والي المدينة أن يكتب له تزكية لتقديمها للإمام مالك حتى يـــلزم هو الإمام لتحصيل العلم، فقال له

[١] راجع ص٢٥ –٢٩، ذكر الشيخ الندوي أنه مر الشاعر على مجلس الإمام وقرض البيتين التاليين واصفًا مجلسه:
يدع الجواب فلا يراجع هيبة *** والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى *** فهو المطاع وليس ذا سلطان

الوالي الكلمة التاريخية:" يا فتى إن مشيي من جوف مكة إلى جوف المدينة راجلًا حافيًا أهون عليّ من المشي إلى باب مالك بن أنس فلست أرى الذل حتى أقف على بابه". ولما جاء الخليفة هارون الرشيد إلى المدينة فقابل الإمام ورغب إلى السماع، فقال له الإمام سيكون ذلك غدًا، وفي اليوم التالي جلس الإمام في مجلسه كالعادة لإلقاء الدرس، والخليفة في انتظاره في بلاطه. لما سأله الأخير عن عدم الاستجابة لطلبه فقال الإمام مالك:" أعزَّ الله أمير المؤمنين، إن هذا العلم من بيتكم، فإن أعززتموه عز، وإن أذللتموه ذل، والعلم يؤتَى إليه، ولا يأتي إلى أحد".[١] فحضر الرشيد إلى مجلسه العلمي العام فأجلسه معه على المنصة، والطلبة حوله لسماع الدرس. فطلب الخليفة من الإمام بإخراج الناس من الدرس لكي يكون هو وحده في الدرس، فقال: فليخرج الناس عني حتى اقرأه أنا عليك، فقال له الإمام:"يا أمير المؤمنين إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة". ثم قال له: "يا أمير المؤمنين لقد أدركت أهل العلم ببلدنا وإنهم ليحبوننا للتواضع والحلم، فنـــزل الخليفة هارن الرشيد عن المنصة وجلس بين يديه وسمع الأحاديث النبوية."[١]

بعد ذكر آداب مجلسه تناول الشيخ الندوي الأساليب التعليمية التي سار عليها الإمام في العملية التعليمية مع المقارنة بين الشيوخ الآخرين الذين كانوا يدرسون في المدينة آنذاك. ومنها جلوس الشيوخ بين الطلبة وقراءة الأحاديث عليهم للإملاء والنقل[٢]. والطريقة الثانية التي كانت يسير عليها معظم الشيوخ ومنهم الإمام الذي يفضل الطريقة الثانية ألا وهي كتابة

---

[١] راجع ص٣٣
[١] راجع ص٣٤
[٢] راجع ص٣٤

مطالعاته وملاحظاته حول الأحاديث والفتاوى في سجله الخاص وتقديمه على القارئ من الطلبة الحاضرين والذي كان يقرئه الكاتب منه ويقوم الإمام بشرحه وتوضيحه وتصحيحه حسب الضرورة، وكان على الكاتب تدوين كل ما ينطق الإمام خلال المحاضرة.[١] ثم يعلق الشيخ الندوي على هذه الطرق فيقول:" كان قد اختار الإمام الأساليب التعليمية العديدة لتشويق المتعلمين وجذب انتباههم وتركيز فكرهم لمتابعة الدرس مما جعله معلمًا ناجحًا، واستطاع أن يجذب إلى حلقته في المسجد وفي البيت كثيرًا من طلاب العلم بسبب هذه الأساليب المميزة وغزارة علمه وطرق تدريسه الفريد"[٢]. ثم يذكر الشيخ الندوي شهرة مجلسه العلمي مع الإشارة إلى مركزية المدينة لشد رحال الطلبة من جميع أنحاء العالم للحضور في حلقات الدرس والإفادة فيقول:" وقد وفق الإمام توفيقًا كبيرًا في إلقاء دروسه، وظهر منه علم وفقه وبراعة وروعة حتى تــزاحم عليه الدارسون والطالبون للعلم من جميع أنحاء العالم، وحتى سمت مكانته وعلت عند مختلف الناس وأصبح له في مجتمعه شأن كبير. وهكذا تم تحقيق مبشرات النبي صلي الله عليه وسلم"، ثم يذكر حديث النبي:"عن أبي هريرة عند الترمذي وابن حبان، والطبراني، وعن أبي موسى الأشعري عند الحاكم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"يوشِكُ أن يَضربَ النَّاسُ أَكْبادَ الإبلِ يطلُبونَ العلمَ فلا يجدونَ أحدًا أعلمَ مِن عالِمِ المدينةِ" واللفظ للترمذي، قال الترمذي هذا حديث حسن".[١] ويؤكد الشيخ الندوي هنا أن المراد به الإمام مالك دون غيره من علماء المدينة، ثم يذكر أسماء البلدان في الشرق والغرب التي كان يشد الطلبة رحالهم إلى

---

[١] راجع ص٣٥
[٢] راجع ص٣٥-٣٦
[١] راجع ص٣٧

الإمام مالك[١]. ويختم هذا المبحث بقوله:"وبصرف النظر عن التوسع الجغرافي لو نظرنا في حلقاته العلمية وإقبال الطلبة عليها لتزداد الحيرة والاستغراب لأسباب عديدة إنه كيف لشخصية واحدة أن ينجـــز وحده عمل الجامعة كلها!!!"[٢]

وتحت عنوان"تلامذة ومستفيدون"، طرح الشيخ الندوي أسئلة عديدة فيما يتعلق بنجاح حلقاته العلمية في إعداد المعلمين والمحدثين والفقهاء والعلماء؟ ودورهم في نشر الفكر المالكي في جميع أنحاء العالم؟ مشيرًا إلى أن الإجابة لهذه الأسئلة تكمن في عدد مهول من تلامذته الذين جاءوا من كل فج عميق لتلقي العلم والحديث منه. ثم يدرس الشيخ الندوي خصائص ومميزات الإمام مالك مع المقارنة بين السابقين والمعاصرين واللاحقين مع التركيز على أربع خصائص، "ومنها عدد كبير لتلامذته النابهين والمتضلعين من الحديث والفقه والذين تفوقوا على كثرة تلامذة البخاري وغيرهم. ومنها وجود ترجمة كاملة وشاملة لكل تلامذة الإمام في كتب التراجم أما البخاري الذي يصل عدد تلامذته أكثر من الإمام بكثير ولكن عددًا قليلاً جدًا يوجد لهم ترجمة كاملة وشاملة في كتب التراجم. والميـــزة الثالثة هي أن تلامذته ينتمون إلى كل بلد ومنطقة في الشرق والغرب، وذلك لأن الإمام أقام في المدينة، وجلس للتدريس فيها وجعل درسه في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن ينقله إلى منـــزله بسبب مرضه، والمدينة المنورة مقصد المسلمين منذ نـــزل بها رسول الله صلي الله عليه وسلم ومنذ ضمت جسده الشريف، ومن هنا زوارها لا ينقطعون، وهم يأتون من كل حدب وصوب.

---

[١] راجع ص٣٧
[٢] راجع ص٣٧

وما من حاج إلا وهو يضيف إلى حجه زيارة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الألوف المؤلفة تأتي من مشارق الأرض ومغاربها، ولعل هذا كان من أقوى الأسباب لانتشار فقه ومذهبه. أما الخصوصية الرابعة فهي أن معظم تلامذته وصلوا في العلم والمعرفة إلى أعلى درجة من الفضل والكمال العلمي." ثم يذكر أسماء أكابر تلامذته والتي استوعبت صفحة كاملة لنقل أسمائهم فقط.[١] ثم يختم هذا المبحث على ذكر تنوع طبقات تلامذته من الخلفاء والأمراء والتابعين وشيوخه[٢]، وأئمة المحدثين[٣]، وأئمة المجتهدين[٤]، والفقهاء[٥]، والقضاة[٦]، والزهاد والصوفية الكرام[٧]، والأدباء والشعراء[١]، والمؤرخين[٢]، والمفسرين[٣]، والفلاسفة[٤]، وغيرهم.

وتحت عنوان" وضع الحديث والفقه" درس وضع الحديث والفقه في عصر الإمام مالك. وذكر تاريخ بواكير صناعة الفقه ومراحله منذ العهد النبوي إلى عهد الخليفة الخامس حضرت عمر بن عبد العـــزيز باختصار ولكن بصورة شاملة ودقيقة للغاية. وتناول التعريف حول الفرق بين المحدث والفقيه. فيقول:"واجبات المفتى والفقيه أكثر من المحدث، حيث المحدث يكون مثل المستثمر، أما الفقيه فهو الذي ينطلق بهذا الاستثمار إلى عالم

---

[١] راجع ص٣٩-٤٠
[٢] راجع ص ٤٠
[٣] راجع ص ٤١
[٤] راجع ص٤١
[٥] راجع ص ٤١
[٦] راجع ص ٤١
[٧] راجع ص ٤٢
[١] راجع ص ٤٢
[٢] راجع ص ٤٢
[٣] راجع ص ٤٢
[٤] راجع ٤٢-٤٣

السوق، ومن أهم مسئولياته هي التفريق بين الغث والثمين والحق والباطل وبين الصحيح والغلط، وشرح الأحكام، وتخصيص العموم وتعميم الخصوص، وتقييد المطلق وإطلاق المقيد، والفرق بين الناسخ والمنسوخ، وترتيب وتنسيق السنن والأوامر، والقياس في الأمور غير المنصوص بها، والبحث في الأحكام والعلل والأمور الشرعية لفهم مقاصد الشريعة حسب الزمان والمكان، وتدوين القوانين للدولة والرعايا وللأحوال الشخصية. ومن مسئولياته المهمة أيضًا استنباط الأحكام من القرآن والسنة بعد العلم بصحته وبعد المعرفة عن الصحيح من السقيم مع التعرف على الرجال وعدلهم. فهذه الواجبات العامة للمفتي والفقيه، مما يجعله يكون مسئولًا أكثر من المحدث المحض."[١]

ثم يكتب فيقول إن فقه الإمام مالك وفتواه مبني على فقه المدينة الذي آل إليه عن طريق فقهائها السبعة المشهورين: سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وعبد الله بن عتبة، وأبي بكر بن الحارث، وخارجة بن زيد، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، وكذلك سالم بن عبد الله بن عمر، الذين تعلموا في مدرسة الخلفاء الراشدين وأمي المؤمنين عائشة وأم سلمة وزيد بن ثابت وعبد الله ابن مسعود وأبي هريرة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.[١] ثم يقول:" الإمام مالك من أوائل المحدثين والفقاء الذي تجتمع له الصفتان بقدر كامل وشامل. فهو من الأوائل المحدثين نبه لضرورة تمييز مراتب الرجال بقبول أحاديثهم، ودرس المرويات دراسة ناقد فاحص، وهو مع هذا إمام دار الهجرة في الفقه

[١] راجع ص ٤٣-٤٤
[١] راجع ص٤٥-٤٦

والإفتاء، وتشد الرحال لسماع فقهه واستفتائه في المسائل المختلفة من الحجاز والبلدان المجاورة. ولما كان العلماء في موسم الحج يجمعون في الحرم المكي، تعلن الإدارة عدم إصدار الفتاوى غير الإمام مالك وابن أبي ذئب."[١]

ودرس الشيخ الندوي القواعد والضوابط التي كان الإمام يراعيها لدى إصدار الفتاوى، وكتب كثيرًا عما يتعلق بكثرة قول مالك" لا أدري" في المسائل آخذا بالاحتياط، مؤكدًا على أنه ما كان يجتهد إلا في النوازل التي تقع ولا يفتي في الفروض، وكان يكره البدع المحدثة التي لم يرد عن الصحابة والسلف المرضيين ما يؤيدها. وكان يصدر الفتاوى والمسائل بعد تفكير كامل وبليغ، ولو أخطأ في إصدار مسألة ما فكان يراجع في ساعته دون أي حرج وكان يقبل النقد دون أي حرج". ثم ينتهي كلامه:"وعلى هذا ظل الإمام أربعين عامًا ينقض الأحاديث التي جمعها لمضاهاتها على قواعده، وبهذا ضبط الناسخ والمنسوخ، واستبعد ما ينافي نصوص القرآن وأصوله حتى انتهى إلى القدر المتيقن، فدونه في كتابه "الموطأ" فيه الأحاديث أو الأخبار عن الصحابة والتابعين وعمل أهل المدينة وعلمهم، وترجيح ما يرجحه مالك أو رأيه. فهو كتاب سنة وفقه من الدرجة الأولى."[١]

ثم ينتقل الشيخ الندوي إلى مواقف الإمام مالك من الدولة العباسية وخلفائها وأمرائها وولاتها[٢]. فتناول بالتفصيل تحت عنوان" الأحوال العامة" إسهاماته في نصحهم وإرشادهم من خلال الوعظ والنصائح والمخاطبة

---

[١] راجع ص٤٧

[١] راجع ص٤٧-٤٨ وما بعدها

[٢] سيما ذكر علاقته مع الخليفة المنصور قبل جلوسه إلى كرسي الحكم وخلال حضوره إلى الحرمين الشريفين في مواسم الحج مدح الخليفة له وفي حضوره وغيابه أمام الشيوخ. راجع ص٥٤-٥٦

وعبر الرسائل والمكتوبات من حين لآخر[١]. وكتب بالتفصيل محنته في المدينة حول مسألة الطلاق بالإكراه وحول البيعة الجبرية[٢]، وخروج بعض الشخصيات من أهل البيت ضد الخليفة المنصور[٣]، مشيرًا إلى علاقته الجيدة مع كل من الخليفة المهدي[٤] وهارون الرشيد[٥].

وقد خصص الشيخ الندوي ثلاث صفحات لذكر عما يتعلق بوفاة الإمام وكلام الناس من العلماء والفضلاء والشعراء وأهل البيت والإدارة العباسية عليه وللتعبير عن أحزانهم العميقة للفقيد. فذكر الشيخ الندوي كل ذلك بإيجاز ولكن باستيعاب كامل.[١] وفي نهاية هذا المبحث تناول الشيخ الندوي صفاته وأخلاقه وعاداته وسيرته الذاتية وحليته[٢]. وقد بدأ بورعه وعباداته وأعماله الدينية الخاصة في البيت وخارج البيت[٣]. ثم يذكر حبه واحترامه الشديد نحو النبي صلى الله وعليه وسلم وتوقيره لأحاديثه وحبه للمدينة المنورة[٤]. ثم يذكر صفاته المميزة، ومن أهمها وقوة حفظه، ومهابته ووقاره، وصبره، وصدقه، وفراسته وذكائه، وسخاوته، واتباعه للسنن وكراهيته للمحدثات، وإجابة دعائه، وحلمه، وشكيمته، وحريته الدينية

---

[١] راجع ص٥٦-٥٧-٦٨/ لقد تحدث الشيخ الندوي عن علاقة الإمام مع الخليفة هارون الرشيد بالتفصيل وعن رسائل النصح والإرشاد أرسلها الإمام إلى الخليفة هارون الرشيد. راجع ص٦٥-٦٨/ هذا، وقد قرض الشيخ الندوي قصيدة رائعة باللغة الأردية صور فيها لقاء الإمام مع الخليفة هارون الرشيد، وحضور أبناء الخليفة في مجلسه للتعلم والاستفادة، مع الإشارة إلى الحديث الحر الذي دار بين الإمام والخليفة، وإنكار الإمام بتفضيل أبنائه على الحاضرين في الجلسات العلمية وغيرها. راجع ص٦٨-٦٩ للقصيدة الأردية راجع شكل رقم ٣ في الملحق.

[٢] راجع ص٥٨-٦٢

[٣] راجع ص ٥٩-٦٠

[٤] حول علاقته مع الخليفة المهدي راجع ص ٦٢-٦٤

[٥] حول علاقته مع الخليفة هارون الرشيد راجع ص ٦٤-٦٩

[١] راجع ص ٦٩-٧٢

[٢] راجع ص ٧٣-٨٠

[٣] راجع ص٧٣

[٤] راجع ص٧٤

والسياسية، حبه للعدل الإنصاف، واحترامه للناس ولأهل العلم والتقوى. وأتي بأمثلة عديدة تحت كل هذه الصفات[١] وينتهي من بيان صفته الشكلية وذكر بالتفصيل لباسه قائلًا:" كان إذا اعتم جعل منها تحت ذقنه ويسدل طرفها بين كتفه، وكان يفضل الأثواب المصنوعة في عدن وبجانب ذلك يلبس الثياب المدنية والجياد الخراسانية والمصرية المترفعة البيض وكانت تأتي إليه الأثواب من مرو أيضًا، وكان يحب الطيب والعود والعطر ودائمًا يتطيب بطيب، وكان يقول:"ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه." وكان يستعمل أحيانًا "الطيلسان" الذي كان رمزًا للعلماء والفضلاء في ذلك الوقت. وكان يلبس الخاتم يحمل حجره الأسود الآية القرآنية "حسبنا الله ونعم الوكيل".[١]

وينهي الشيخ الندوي كلامه فيقول:"ومن أهم المـــزايا التي حصل عليها الإمام هي تربة المدينة المنورة والتي كانت جـــزءًا من جسمه المبارك، ولكن من أكبر سعادته أنه يسكن في دار عبد الله بن مسعود ليقتفي بذلك أثر الأخير. وكان من حسن حظه وتوفيقه أيضًا أنه اختار من المسجد المكان الذي كان يجلس فيه الخليفة الأول العادل حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو المكان كان يجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم. وكان يعقد جلساته العلمية أيضًا في بيت الخليفة حضرت عمر رضي الله عنه، وبذلك لم يورث الإمام الوراثة المعنوية من العلم والمعارف فحسب؛ بل جعله الله وارثًا الوارثة المادية أيضًا."[٢]

---

[١] راجع ص ٧٤-٧٩

[١] راجع ص ٧٩-٨٠

[٢] راجع ص٨٠

وقد خصص الشيخ الندوي الباب الثاني لبيان أعمال الإمام مالك. فتناول بالتفصيل مؤلفاته المنشورة وغير المنشورة[١]. ثم تناول بالتفصيل حول الموطأ ومكانته العلمية، وفضائله وخصائصه. فذكر أولًا وبدقة بالغة تاريخ تدوين الأحاديث النبوية في عصره[٢]، ثم ينتقل إلى الموطأ فيقول:"هذا خير كتاب أخرج إلى حيز الوجود للناس في عهده، وهو أصح الكتب وأشهرها وأقدمها وأجمعها، وقد اتفق السواد الأعظم من الملة المرحومة على العمل به، والاجتهاد في روايته ودرايته والاعتناء بشرح مشكلاته ومعضلاته. ويعد هذا الكتاب عدة مذهب مالك وأساسه، وعمدة مذهب الشافعي وكتابه الأم، ومصباح مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ونبراسه، وهذه المذاهب بالنسبة إلى الموطأ كالشروح للمتون... وثم يكتب معقبًا بقوله:"ومن هنا يعلم بالضرورة أن أصحاب كتب الحديث المعتبرة كلهم عالة على مالك وأصحابه، وهو شيخ الجميع لأن مدار الحديث اليوم على الكتب الستة."[١] ثم يذكر الشيخ الندوي وقت ومكان تأليف الموطأ وأسبابه ودوافعه، وكيفيته، مع ذكر وقت إنجازه وتقديمه على العلماء والفضلاء.[٢] ثم يذكر وجه تسمية الموطأ، وعدد الأحاديث التي تناولها الإمام في البداية مع الإشارة إلى عملية التنقيح، مع الذكر لموضوعات الموطأ[٣]. ثم كتب عن كتب الأحاديث الأخرى التي ظهرت آنذاك باسم الموطأ، ولكنها لم تنل القبول والشهرة أمام موطأ الإمام مالك. وهنا يذكر الشيخ الندوي ثلاثة أسباب رئيسية لذلك ومنها: ١.كتب الأحاديث التي تم تدوينها قبل تدوين الموطأ، هي معظمها مبني على

---

[١] راجع ص ٨١-٨٤
[٢] راجع ص٨٦-٨٧
[١] راجع ص٨٦
[٢] راجع ص٨٧-٨٨
[٣] راجع ص٨٩-٩٠

فتاوى الصحابة والتابعين. أما الإمام فأعطى الأحاديث الصحيحة والمسند، والمنقطع والمرسل الدرجة الأولى أما الآثار والفتاوى فوضعها في الدرجة الثانية؛ ٢. وثاني ميــزة للموطأ أنه يحمل فقط الأحاديث والفتاوى الصحيحة، أما الأخرى فلم يلــتزم أصحابها الصحة والتحري؛ ٣. ومن خصائص الموطأ أيضًا أنه تم تأليفه وتدوينه في المدينة، ورواته كلهم من الحجازيين، أما الموطآت الأخرى فتم تدوينها في الكوفة، والبصرة، والشام، واليمن، وخراسان وغيرها، والعلماء متفقون على أن الأحاديث المروية في الحجاز تتفوق على كل الأحاديث من ناحية الصحة، والإسناد.[١] ثم يتعرض لمكانة الموطأ بين كتب الأحاديث وطبقاته، وتناول درجة الموطأ في الطبقات الأربع المختلفة، ثم قارن مقارنة دقيقة وشاملة بين الموطأ والبخاري وكتب الأحاديث الأخرى مع بيان أهم خصائص ومميزات الموطأ بالنسبة لكتب الأحاديث الأخرى فيقول:" ونجد عند الإمام اهتمامًا شديدًا بالاستدلال بالسنة والآثار، وجميع أبواب الموطأ مبنية على السنن، ذلك بسبب علم الإمام بالرواية والدراية. ونجد الموطأ خاليًا من الرأي والقياس بالنسبة لاستعمال الآثار، ذلك لأن السنن أغنته عن الاعتماد على الرأي والقياس".[٢] وبعد ذلك يتناول الشيخ الندوي نسخ الموطأ، فيقول إن العلماء اختلفوا في عدد نسخ الموطأ بسبب كثرة الرواة عنه، فعند بعضهم يصل هذا العدد نحو عشرين، وعند بعضهم ثلاثون، وعند الآخرين ست عشرة نسخة. ثم يذكر بعض التفاصيل عن النسخ المهمة ومنها نسخة يحيى، ونسختي عبد الله بن وهب، ونسختي عبد الله بن مسلمة قعبني، وابن القاسم الفقيه المالكي

[١] راجع ص٩١
[٢] راجع ص٩٢-٩٥

المعروف، ومعين بن عيسى، وعبد الله بن يوسف، ويحيى بن بكير، وسعيد بن عفير، وأبو مصعب زهري، وغيرهم[١].

وفي نهاية المطاف يتكلم الشيخ الندوي عن شروحات الموطأ وتحقيقه والأعمال المكتوبة عنه، وذكر كل ذلك في القوائم مع ذكر اسم المؤلف واسم الكتاب مع وضع نبذة عن ترجمة المؤلف المعني. ويبدأ كلامه بهذه المقدمة فيقول:"وجود عدد كبير من كتب الشروحات والتعليقات لكتاب ما يدل على قبوله ونجاحه، وهذا من ناحية الكم، ولكن الكيف أكبر ميزان لتقييم موضوعات ذلك الكتاب ومكانته العلمية وفضائله العالية وخصائصه الكبيرة بين العلماء والفضلاء. والموطأ يحظى بهاتين الخصوصيتين. فقد قام أكثر من خمسة وعشرين عالمًا كبيرًا بشرحه ووضع التعليقات عليه والخدمات التأليفية الأخرى (يبدو أن عدد شروحات الموطأ وصل في عصر الشيخ الندوي إلى هذا العدد المذكور، بينما يصل الآن عدده أكثر من ٦٠ شرحا)[١]."

وإلى هنا ينتهي الشيخ الندوي من حديثه الموجــز والدقيق والشامل عن سيرة الإمام مالك رحمه الله وعن كتابه الموطأ. وفي نهاية المطاف وبعد قراءة كتاب الشيخ الندوي قد يبدو للقارئ أنه كان على المذهب المالكي؛ وكتب هذا الكتاب تحت تأثيره القوي؛ وذلك بسبب التعبير عن عقيدته البالغة نحو الإمام وإسهاماته في الحديث والفقه. وقد قال الدكتور حميد الله في أحد خطبه في باريس معلقًا على هذا الكتاب:"لقد مضى ثمانون

---

[١] راجع ص٩٥-٩٩

[١] راجع ص٩٩-١٠٠ وقد وضع الشيخ الندوي الفهرس وقسم الشروحات والتعليقات ومنها شروحات الموطأ، تجريد وإسناد الموطأ، اختلاف الموطآت، في رجال الموطأ، في غريب الموطأ في رواة ومسند الموطأ عن مالك، في شواهد الموطأ، المباحث المتفرقة حول الموطأ وغيرها.راجع ١٠٠-١٠٥

عامًا على إعداد هذا الكتاب، ولكنه لا يــزال يعد من المصادر المهمة والمفيدة في مجال الدراسة عن الإمام مالك رضي الله عنه. ولو حاول أحد أن يسطر كتابًا أحسن من ذلك لكان ذلك إطنابًا لهذا الكتاب المختصر والدقيق والشامل."

نتائج مهمة

ويمكن تلخيص النتائج المهمة التي وصلت إليها من خلال هذه الرحلة العلمية الهندية، وهي كالآتي:

- أوضح المبحث الأول بواكير علم الحديث ورجاله في الهند. مشيرًا إلى جذور العلاقات العربية والهندية عبر القرون، وإسهام الأسر العربية المهاجرة إلى الهند في تطوير منطقتي السند والپنجاب سياسيًا وثقافيًا. مع الإشارة إلى نشأة الكوادر من العلماء ذات الجذور الهندية التي لعبت دورًا كبيرًا في الدراسات الإسلامية عمومًا وفي الحديث والفقه خصوصًا. وتعرض للعوامل التي أدت إلى سقوط الدولة العربية والتي بدورها قامت بتدهور الثقافة الإسلامية ذات الجذور العربية وحل محلها الثقافة الإسلامية ذات الجذور الفارسية، مؤكدة على أنه العامل الرئيسي لانكماش وتقلص الدراسات في علم الحديث والرجال، وهو الأمر الذي دفعت الهند الإسلامية إلى الانحطاط العلمي إلى قرون طويلة. ثم تناول جهود علماء الهند في نهضة علم الحديث في القرن التاسع والعاشر مع ذكر أسفارهم إلى الحرمين الشريفين، مع التأكيد

على دور الأخير في تجهيز الكوادر الخاصة من الهنود في ترويج علم الحديث والسنة النبوية في الهند.

- ألقي المبحث الثاني الضوء على بعض الشروح المهمة لعلماء الهند لكتاب موطأ الإمام مالك. مع الإشارة إلى العوامل التي دفعت المسلمين في الهند باهتمام كتابة سير مشاهير الإسلام وشرح كتب الحديث والفقه وترجمة معاني القرآن إلى اللغات المحلية، ذلك لدحض افتراءات المستشرقين والمبشرين الذين فتحوا الجبهات العديدة في الهند للتحامل على السيرة النبوية العطرة وتقليل شأن الشخصيات الدينية الإسلامية التاريخية وبالتالي القضاء على الثقافة الإسلامية ونشر المسيحية عبر القنوات العديدة.
- وذكر المبحث الثالث ترجمة وجيــزة للشيخ السيد سليمان الندوي، مع الإشارة إلى ولادته، وتعليمه، وإسهاماته في تطوير الثقافة الإسلامية في الهند، معرضًا لبعض أهم أعماله في العلوم الإسلامية.
- وخصص المبحث الرابع والأخير لتعريف كتاب الشيخ السيد سليمان الندوي الذي كتبه باللغة الأردية تحت عنوان "حيات مالك". وتم تحليل هذا الكتاب معتمدًا على الكتاب نفسه مع المحاولة الجادة في استعياب كل ما يتناول هذا الكتاب حول التفاصيل والجــزئيات عن حياة الإمام مالك وكتابه الموطأ.

ملحق

شكل رقم (١) غلاف داخلي لكتاب "حيات مالك"

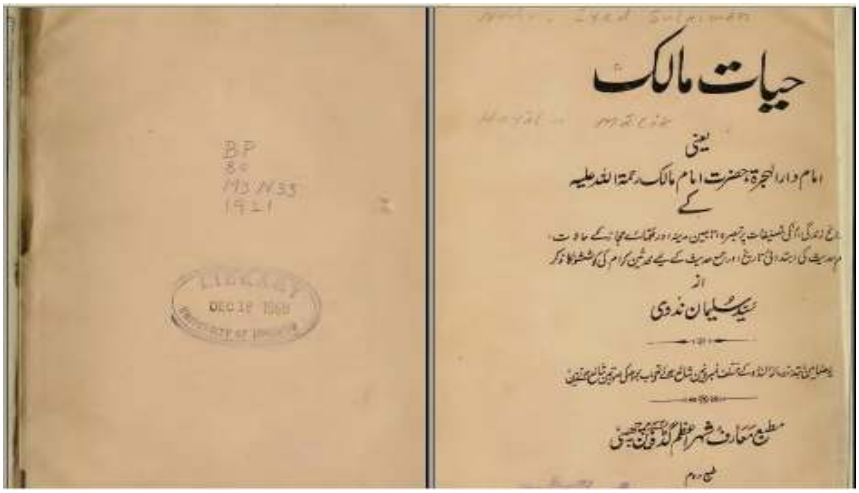

حیات مالک

یعنی

امام دار الہجرۃ حضرت امام مالک رحمۃ اللہ علیہ

کے

سید سلیمان ندوی

مطبع معارف شہر اعظم گڈھ یوپی

شكل رقم (٢) فهرس الكتاب

فہرست مضامین

شكل رقم (٣) قصيدة قرضها الشيخ الندوي حول موقف الإمام من الخليفة هارون الرشيد

نازش دودہ عباسیہ ہارون رشید	اک دفعہ شہر مدینہ کا کیا اس نے سفر
ساتھ شہزادہ مامون وامین دونوں تھے	ایک تھا لخت جگر، دوسرا تھا نور بصر
اس زمانہ میں مدینہ کا تھا گوشہ گوشہ	چشمۂ نور ہدیٰ، منبع قرآن واثر
مجلس خاص مگر مسجد نبوی میں تھی	مسندِ مالکِ ابنِ انس پاک گوہر
یہ وہ تھی بزم جہاں قال رسول کے سوا	نہ کوئی اور صدا تھی، نہ کوئی اور خبر
نغمہ سنجانِ ازل دور سے یاں مہر بلب	قدسیانِ حرمِ پاک یہاں گوش بدر
ہر طرف زمزمۂ حدّثنا اخبرنا	ہر طرف شور فگن صلِ علیٰ خیر بشر
ایک نقطہ پر یہاں جمع تھا سارا عالم	ہند وچین شام وعرب مغرب ومصر وبربر
آرزو تھی یہ خلیفہ کو مدینہ آکر	جائیں محروم نہ اس در سے مرے لخت جگر
پہنچا یہ حکم خلافت سے کہ اے ابنِ انس	مجمع عام میں جا سکتے نہیں میرے پسر
اسلئے آج یہ بہتر ہے کہ املائے حدیث	آپ دیں خاص انھیں ایوان شہی میں آکر
سن کے فرمان خلافت کو یہ ارشاد ہوا	"اے خلیفہ! تری تعمیل ضروری ہے مگر
ہے یہ علمِ نبوی تیرہی گھر کی دولت	خواہ حرمت اسے دے خواہ اہانت اسے کر
سن کے ہارون نے دربار امامت کا جواب	بھیجا پیغام کہ خیر آپ نہ آئیں گے اگر
خود شہزادے وہاں درس میں حاضر ہونگے	لیکن اورونکا سنو بزم میں اسوقت گزر
مالک ابنِ انس نے اسے کہلا بھیجا	"میرے کاشانہ میں ممکن نہیں تمییز بشر
درگہِ خاص نہیں، درسگہِ عام یہ ہے	ہو مساواتِ بشر معنی اسلام یہ ہے

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربية:

١. أ. ي. فنسنك: ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي: مفتاح كنوز السنة، ط: القاهرة ١٩٣٤م

٢. أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن إسحاق الملقب بالنديم: الفهرست، ثلاثة مجلدات، تحقيق رضا تجدد، ط: إيران عام ١٩٧١م

٣. أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط: بيروت، ذخائر التراث العربي

٤. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، ١١ جـزءًا، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢: دار المعارف، مصر العربية

٥. أطهر المباركپوري: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، ط: القاهرة١٩٨٠م

٦. برنارد لويس: الإسلام في التاريخ، ترجمة مدحت طه، ط: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م

٧. البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، ط:مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

٨. تقي الدين الندوي:الإمام مالك ومكانة كتابه "الموطأ"، ط٢: وزارة الإعلام والثقافة الإدارة الثقافية بدولة الإمارات العربية المتحدة

٩. السيد سليمان الندوي: العلاقات العربية والهندية. ترجمة من الأردية أحمد محمد عبد الرحمن، ط: المركز القومي للترجمة القاهرة٢٠٠٨م

١٠. شمس الدين أبي عبد الله الملقب بـابن بطوطة:تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، ستة مجلدات، ط:أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

١١. شمس الدين المقدسي(نحو٣٩٠هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق ونشر دي غوية، ط٢: ليدن ١٩٠٦م
١٢. شهاب الدين محمد ابن حجر العسقلاني(٨٢٥هـ/١٤٤٩م): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ستة أجزاء، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م
١٣. صديق حسن خان: أبجد العلوم، ط: دار ابن حـزم، بيروت عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
١٤. عبد الحي الحسني (ت١٣٤١هـ): الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ثلاثة أجزاء، ط:دار ابن حـزم، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م
١٥. عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي: بستان المحدثين في بيان كتب الحديث و أصحابها الغر الميامين، تعريب محمد أكرم الندوي، ط: دار الغرب الاسلامي دون تاريخ
١٦. عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الپاكستان أو السند والپنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي، ط: دار الصحوة دون تاريخ
١٧. القاضي أطهر المباركبوري: رجال السند والهند، ط: مومباي، الهند، عام ١٩٥٨م
١٨. محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ): الطبقات الكبير، ١١ مجلدًا، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، ط:مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م
١٩. محمد عزت إسماعيل: التبشير والاستشراق: أحقاد وحملات على النبي صلى الله عليه وسلم، ط: مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
٢٠. محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي، حياته وعصره، ترجمة عبد الله سالم الزليتني، ط: دار المدار الإسلامي ٢٠٠٧م بيروت

٢١. محمد بن حراي: العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، وجنوبي شرق آسيا، بحوث تاريخية، ط: الجمعية التاريخية السعودية، بالرياض ٢٠٠٦م

٢٢. مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، تعريف نقولا زيادة، ط: بيروت ١٩٧٤م

٢٣. ولي الله الدهلوي: المسوى شرح الموطأ، تحقيق وتصحيح جماعة من العلماء، ط:دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

المصادر والمراجع الأردية والفارسية:

١. أبو الحسن علي الحسني الندوي: حضرة شيخ الحديث مولانا محمد زكريا صاحب، ط٣: مكتبة إسلام لكهنؤ، الهند عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

٢. إعجاز الحق قدوسي: تاريخ سند، ط:مركزي أردو بورد، لاهور ١٩٧٤م

٣. برني: تاريخ فيروز شاهي، أردو ترجمة الدكتور السيد معين الحق، ط٤: أردو سائنس بورد، لاهور ٢٠٠٤م

٤. السيد أبو الظفر الندوي: تاريخ سند، ط٢: أكاديمية شبلي النعماني، الهند ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

٥. السيد سليمان الندوي: حيات مالك، ط: مطبعة معارف التابعة لدار المصنفين أعظم گره، الهند عام ١٩٢١م

المصادر والمراجع الإنجليزية:

1. Muhammad Ishaq: India's Contribution to the Study of Hadith Literature (The University of Dacca, Bangladesh 1955)

المجلات والدوريات:

١. صاحب عالم الأعظمي الندوي: إسهام علماء شبه القارة الهندية في كتابة السيرة النبوية باللغة الأردية: شبلي النعماني نموذجًا"، المنشور في كتاب المؤتمر الدولي الأول لقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار

العلوم جامعة القاهرة المنعقد في شهر ذي الحجة ١٤٣١هـ/الموافق شهر ديسمبر عام ٢٠١٠م

٢. صاحب عالم الأعظمي الندوي: جهود المسلمين في نشر التراث العربي والإسلامي في شبه القارة الهندية، مجلة الندوة الهندية نموذجًا"، ط: ندوة التاريخ الإسلامي، مجلة علمية محكمة يصدرها قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، يونيه ٢٠٠٨م

٣. مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٨٤، ربيع الثاني ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

٤. يسري أحمد زيدان: دور الهنود في الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، العدد الثاني عشر، المجلد الأول، مارس عام ٢٠٠٤م

***

تطور المسرحية في الأدب العربي الحديث

د. عبيدالرحمن طيب*

تُعدُّ المسرحية أحلى الفنون الجميلة وأحسن الوسائل التعبيرية، وتمثل أقدم أداة اكتشفها البشر للتفرج والاستمتاع. وقد تعود البشر على تقديم مختلف أنواع المسرحيات منذ قديم الزمان. وفي بداية الأمر اتخذت المسرحية كوسيلة لتقريب الناس إلى الدين وتعليمهم وتربيتهم للتمييز بين الخير والشر والحق والباطل. ومع مضي الوقت أصبحت فنا مستقلا فاق الفنون الأدبية الأخرى مثل القصة القصيرة والرواية فهي تُكْتَبُ وتُغَنَّى وتُقْرَأُ وتُمَّثَلُ بينما الفنون الأخرى تقتصر على الكتابة والقراءة فحسب.

ويرى المؤرخون أن المسرحية نشأت أولا بمدينة أثينا في اليونان في القرن الخامس قبل الميلادي ولكن أ.نيكول يفيد لعل اليونانيين تعلموا هذا الفن من المصريين القدامى الذين كانوا يمثلون قصة إيزوروس وأوزوروس بصورة المسرحية:"يمكن القول بأن المسرح قد بدأ حوالي سنة ٤٩٠ ق.م. حيث مثلت أقدم مسرحية بقيت لنا وهي "الضارعات" لإسخيلوس أمام نظارة من المواطنين الأثينيين. – ولعل التسلية المسرحية كانت موجودة قبل ذلك بمئات السنين، وغالب الظن أن إسخيلوس وقدامى كتاب المسرح اليونانيين كانوا مدينين بدين

* الأستاذ المساعد بمركز اللغة العربية والإفريقية ، كلية اللغات ، جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي.

كبير في موضوع مسرحياتهم وشكلها للممثلين من رجال الدين، الذين كانوا يمثلون المسرحيات المقدسة في مصر القديمة"[١]. وقد كتب عن ذلك عمر الدسوقي بإشارة إلى المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوتس (٤٨٤-٤٢٥ ق م) أن اليونانيين تعلموا هذا الفن من الفراعنة لكنهم لم يتمكنوا من تطوير هذا الفن وتجاوز جدران المعابد :"أشار هيرودوت المؤرخ الإغريقي إلى قيام كهنة مصر الفرعونية بطقوس دينية في شبه عرض تمثيلي يستمد قصصه من بحث إيزيس عن أوزوريس، بيد أنه لم يذكر لنا أدلة أو يسوق شاهدا أو نصا. وظل أمر المسرح الفرعوني غامضا حتى أتى الكشف الحديث الذي قام به (كونتز) في سنة ١٩٢٢، و(كورت) عام ١٩٢٨ و(سليم حسن) سنة ١٩٢٧، فبين لنا أن ثمة نصوصا تمثيلية قديمة بعضها يقع في أربعين مشهدا كتلك التي اكتشفها كورت. وتدور حوادثها حول إيزيس وأوزوريس وابنهما (حورس) وعدوهم (ست) إله الظلام. وقد ظلت تمثل إلى زمن هيرودوت أي إلى القرن الخامس قبل الميلاد..... وكان رجال الدين يقومون بالتمثيل. ويضيف قائلا :" وقد ذكر هيرودوت، أن الإغريق قد أخذوا فن المسرحية عن الفراعنة وإن لم يتطور عندهم ويخرج عن النطاق الديني"[٢]. وعلى كل حال إن هذا الفن نشأ وتطور في اليونان. وفي البداية اتخذت كوسيلة لتأدية طقوس العبادة ومناسكها. وكان اليونانيون يعبدون آلهة مختلفة وأهمهم ديونيسوس أو باخوس إله الخضروالرفاهية والعنب والخمر. وكان اليونانيون يعقدون مهرجانا في السنة مرتين فمرة في بداية فصل الشتاء بعد حصد محاصيل العنب واعتصار الخمر حيث يكونون مغمورين بمشاعر السرور والغبطة ويتغنون أناشيد دينية ويعقدون

---

[١] أ . نيكول: الترجمة : عثمان نويه، المسرحية العالمية ، الجزء الأول ص ١١، World Drama: A. Nicoll, (Page 25)

[٢] الدسوقي ، عمر، : المسرحية : نشأتها وتاريخها وأسولها : عمر الدسوقي ، ص ١١،

حفلات الرقص والموسيقى. ومن هنا نشأت الكوميدية (الملهاة). والمهرجان الثاني كانوا يعقدونه في أوائل فصل الربيع حيث تجف الكروم وهذا يكون مبعث اليأس والحزن والكآبة ومن هنا نشأت المأساة (التراجيديا). وفي البداية كانت المسرحية تشمل على عدة أشياء مثلا الرقص والغناء الجماعي. ويتغنون أناشيد خاصة الأنشودة التي يعبرون فيها عن حزنهم على غياب معبودهم ويتمنون عودته. وفي هذه الأثناء يظهر ديونيسوس ويصعد إلى مكان عال أو هضبة ويجري الحوار بينه وبين الجوقة (فرقة التمثيل). ثم تلعب الشخصيات الأخرى أدوارها وفي هذه الأثناء يظهرالممثلون حيث تكون صورهم العليا مثل البشر والسفلى مثل الحيوانات.

ومما وصلت إلينا من المسرحيات المكتوبة يمكن القول أن أسخيلوس(Aeschylus)(٥٢٥-٤٥٦ ق. م.) هو الذي كتب أول مسرحية شعرية، ألا وهي (The Suppliant) "الضرتان". فكان فيها شخصيتان (ممثلان) والجوقة. وظل يكتب المسرحيات حتى ظهر الشاعر اليوناني العظيم سوفوكليس (Sophocles) (٤٩٥-٤١٦ ق م) الذي فضّل الحوار على الغناء. وطور المسرحية بصورة بالغة. ولإبراز مختلف الشخصيات لجأ إلى وضع الأحداث والمناسبات المختلفة. إضافة إلى ذلك أشاد بكُتّاب المسرحية بتركيز العناية الأكثر على فن المسرحية. وهكذا قام المسرحيون اليونانيون مثلا أسخيلوس (Aeschylus) (٥٢٥-٤٥٦ ق م)، سوفوكليس (Sophocles)(٤٩٦-٤٠٦ ق.م) وأيروبيدس(Euripides)(٤٨٥-٤٠٦ ق. م) وارستوفين(Aristophanes) (من مواليد ٤٥٠ ق. م) بإيصال المسرحية اليونانية إلى ذروتها[١].

[١] World Drama: A. Nicoll ،والمسرحية العالمية ، ج ١، ص ١١-١٤

وتركت المسرحية اليونانية تأثيرا كبيرا على المسرحية الرومية والفرنسية والإنكليزية فالمسرحيون الرومانيون اتبعوا خطى المسرحية اليونانية إلى أن سيطروا على الأدب اليوناني ونالوا شهرة كبيرة في فن المسرحية. وحصلت المسرحية الرومانية على تطور كبير خاصة في المسرحية الكوميدية وجدير بالذكر منهم بلوتس(Plautus) (٢٥٤-١٨٤ ق.م.) وتيرنيس(اسمه الأصلي Publius Terentius Afer ويكتب بالإنكليزية (Terence) ولد في عام ١٨٥ أو ١٩٥ ق.م ومات في ١٥٩ ق. م) الذين قاما بإحياء المسرحيات اليونانية. ومعظم المسرحيين الأوربيين الجدد استمدوا موضوعاتهم من مسرحيات بلوتس. ولذا هو شهير جدا. ونال المسرحي الروماني سينيكا (Seneca c.4 BC--- AD 65) سمعة كبيرة في كتابة المسرحية التراجيدية / المأساوية وترك أثرا كبيرا على المسرحيات الأدبية خاصة المأساة الإنكليزية إذ كان لا يتردد في عرض المناظرالمخوفة والبشعة والمأساوية على المنصة وفيما بعد استفاد شكسبير من هذه الأشياء استفادة تامة[١].

واتبع الفرنسيون المسرحيين اليونانيين والرومانيين وتتلمذوا على أيدي هوراس الروماني ولكنهم تأثروا أكثر بكتاب أرسطو Poetics وشروحه. وبمساعدة الترجمات الإيطالية استولوا على فن المسرحية ونجحوا في بناء صرح شامخ للمدرسة الكلاسيكية وظلوا حاملين راية الكلاسيكية لمدة ثلاثين سنة (١٦٣٠-١٦٦٠). ويعتبر بوالو(Nicolas Boileau-Despreaux) (١٦٣٦-١٧١١م) مؤسس هذه المدرسة الذي كتب كتابا باسم L' Art poetique (فن الشعر) بالفرنسية. ومن أبرزالمسرحيين الفرنسيين اليكزيندرهاردي(Alexandre Hardy) (١٥٧٢-١٦٣٢م) وموليير(Molier)

[١] www.litera1no4.tripod.com/dramahistory

(١٦٢٢-١٦٧٣-م) وراسين (Racine) (١٦٣٩-١٦٩٩م) وكورني (Corneille)(١٦٠٦-١٦٨٤م) وغيرهم وبفضل جهودهم الكبيرة نالت المسرحية الفرنسية سمعـــة عالميـــة[١] .

ومن خصائص مسرحيات هذه المدرسة أنها فرضت أن تكون لغة المسرحية بالشعر المقفى حيث يكون لكل بيتين قافية واحدة. وكل مسرحية تشتمل على خمسة فصول: الأول التعريف والثاني والثالث والرابع يشتمل على الأحداث والخامس يقدم الحل. وتكون موضوعاتها مستمدة من الأدب اليوناني واللاتيني. ولكن التصوير والتحليل الاجتماعي والخلقي يكون في سياق زمانه. وكانت هذه المدرسة متأثرة إلى جانب موضوعاتها بالأدب اليوناني. وقد التزم المسرحيون بالوحدات الثلاث :الوقت والمكان والعمل كما ذكرها ارسطو. وهذه المدرسة لا تسمح، بخلاف المدرسة المأساوية، عرض الأحداث الفظيعة والعنف على المنصة.

بداية المسرحية في الأدب الإنكليزي : بدأت المسرحية في الأدب الإنكليزي في القرن الثاني عشر حيث تم عرض الطقوس/ المناسك الدينية للكنيسة لأول مرة بشكل المسرحية في عام ١١١٠ م تكريما للقديس كاثرائن في دستنبال (Dunstable)التي كانت من نوع التعليم. وكانت تكتب وتعرض مسرحيات هذا النوع في فرنسا من ذي قبل. وعلماء الدين هم الذين كانوا يعرضون مثل هذه المسرحيات وكان من هدفهم أن يعرّفوا العوام الجهال غير المثقفين بتعاليم الدين المسيحي. وكانت للكنيسة سيطرة كاملة على المسرحية حيث كان رجال الدين هم الذين يمثلون المسرحيات وكانت باللغة اللاتينية. وكات تعرف بـــ (Miracle Play) التمثيلية المعجزة و (Mystery Play)

[١] www.cwu.edu/theatre in france 1500-1700

(التمثيلية الغامضة أوالعجيبة) وتعرض داخل المعابد المقدسة. ولكن كلما ازدادت هذه التمثيليات قبولا، ازداد الناس عددا فبدئ عرضها على بوابة الكنيسة بدلا من داخل الكنيسة ثم عرضت في فناء الكنيسة بدلا من البوابة وبالتالي بدأ عرضها خارج الكنيسة في شوارع المدن وميادين القرى الخضراء الواسعة. وكذلك بدأ أناس آخرون ما سوى رجال الدين والقسيسين يعرضون هذه التمثيليات بل احتلوا مكانهم ومن جانب آخر احتلت اللغات الفرنسية والإنكليزية مكان اللاتينية ولكن حتى القرن الرابع عشر لم تتمكن التمثيلية في إنكلترا من الوصول إلى مرتبة المسرحية من حيث النضج والكمال الفني وظلت تعرض التمثيليات المعجزة إذ كانت مقبولة في عامة الناس. وكانت تعرض في موسم الربيع على نطاق واسع بصورة منظمة ويستمر عرضها إلى أيام عديدة.

وكان يبدأ عرض كل تمثيلية من خلق الكون ثم بعثة الأنبياء الكرام والموضوعات النبوية مثل طوفان نوح، تضحية إسحاق (حسب العقيدة المسيحية تم تقديم تضحية إسحاق بدلا من إسماعيل)، إخراج موسى من مصر، ظهورعيسى ومشاهد صلب عيسى عليه السلام. وتنتهي بيوم القيامة والبعث بعد الموت والحساب بيوم الدين. ومن وجهة نظرأدبية تعتبرهذه التمثيليات مواد أولية أو خامة. واستمرعرض مثل هذه التمثيليات حتى القرن السادس عشر.

والمرحلة الثانية لتطور المسرحية الإنكليزية هي (Morality Plays / Interludes) التمثيليات الوعظية أو الهزلية إلا أن الشخصيات بدلا من الروايات الدينية أو قصص وأحداث حياة القادة الدينيين كانت تشتمل على حكايات مأخوذة من الفنون الجميلة. وهكذا تم عرض كل شيء خلقي وعلمي وفكري بصورة تمثيلية مثل Science (العلوم)، Free will (النية الحرة)، the

Five Senses(الحواس الخمسة)، the Seven Deadly Sins(الآثام السبعة المهلكة)، Good and Bad Angels (الملائكة الطيبة والسيئة)، Now-a-days (في هذه الأيام)، Young (الشباب)، Every man (كل شخص)، Englandإنجلترا، وغيرها. وفي هذه التمثيليات تكون إحدى الشخصيات الشيطان، وأدخلت شخصية أخرى Vice(الشر/الرذيلة). وتكون هذه الشخصية هزلية / مضحكة، وأحيانا تكون ممتعة حيث ينصب قرن شائك، فيثب على ظهر الشيطان ويقحم قرنه في ظهره بالفأس ويكب على الضرب عليه ليندس في جسمه فيصرخ بالألم صرخات طويلة. وهكذا أضيفت شخصية هزلية إلى التمثيلية /المسرحية. ونالت مثل هذه التمثيليات قبولا كبيرا وبالتالي بدأ يضاف مثل هذه الشخصية إلى كل تمثيلية. ومن هنا بدأت تتحول التمثيلية الوعظية إلى ملهاة.

انترليود(Interlude) (التمثيلية الهزلية): هي إضافة جديدة إلى المسرحية والتي تعتبر تطورا هاما في تاريخ المسرحية. وبعض الناس يعتبرونها مسمى آخر للتمثيلية الوعظية. ولكن حقيقة الأمر هي أنها جزء صغير من التمثيلية الوعظية وليست بدينية أو وعظية. ولكن في مغزاها تكون جادة مثل التمثيليات الوعظية وظهـــر هذا النوع من التمثيليات في القرن السادس عشر للميلادي، ويعـــود فضلـــه إلى المسرحي جـــون هيود(John Heywood) (١٤٩٧-١٥٨٠) وكانت التمثيلية الهزلية تستخدم أيضا لأغراض تعليمية[١] .

بداية الملهاة والمأساة : للتجارب الأولية المذكورة أعلاه أهمية كبيرة في التاريخ إذ إنها عملت كمدرسة تدريبية أولية (Dame School) لتطورالمسرحية ومهدت الطريق لظهورالمسرحية المستقلة. ومع إحياء التعليم تطورت الملهاة

[١] An Outline History of English Literature: Hudson p:39-42

والمأساة إلى مرتبة الفن حيث استمد المسرحيون حكايات الشجاعة من الأدب الكلاسيكي بدلا من حياة رجال الدين كما حصل في ميادين أخرى للآداب. وأولا عرضت في الجامعات مسرحيات هزلية /ملهاة للمسرحيين : بلوتو وتيرنيس ومسرحيات ماساوية للمسرحي سينيكا ويلي ذلك محاكاة اللاتينية وبعد وقت قليل تم التدريب على هذه المسرحيات بالإنكليزية إلى حد كبير. وفي محاولاتهم الأولية هذه تعلم الأدباء الإنكليز كثيرا عن بناء المسرحية وتقنياتها. فإن نيكولاس أودال(Nicholas Udall) ، عميد مدرسة إيتين كتب نحو ١٥٥٠م مسرحية لطلبة المدرسة باسم (Roister Doister) التي كانت بقالب شعري بالإنكليزية وليست باللاتينية ولكنها وزعت على طراز اللاتينية على عدة فصول و مشاهد. ولو أن الفضل في هذا الأمر يعود إلى بلوتو وتيرينيس إلى حد كبير ولكن توجد فيها ومضات / انعكاسات التمثيليات المعجزة والوعظية. وفي الحقيقة كانت المسرحية المأساوية محاكاة عشوائية لمسرحيات سينيكا المأساوية جسدا وروحا. وكانت اسمها Gorbaduc التي سميت فيما بعد Ferrex and Porrex وكانت هذه أول مسرحية تراجيدية كتبها طوماس سكوائل (١٥٦٣-١٦٠٨) وطوماس نارتن (١٥٣٢-١٥٨٤) في عام ١٩٦١م لأن تعرض بمناسبة الحفلات المسيحية. وفي هذه المسرحية التراجيدية الأولى استخدمت الشعر المرسل[١] (Blank Verse) .

العصر الذهبي للمسرحية الإنكليزية : يبدأ هذا العصر من تتويج الملكة إليزيبث عام ١٥٥٨م وتنتهي بوفاة جيمس الأول عام ١٦٢٥م. وهذا العصر يعتبرالعصرالذهبي للأدب الإنكليزي خاصة للمسرحية. وكان أول فترتها غامضة لكن الأدباء استمروا في جهودهم وكان الناس يملون من المدرسة

[١] نفس المصدر ص :٤٢-٤٣

الكلاسيكية فظهرت المدرسة الرومانطيقية. وفي وقت قريب ظهر للعيان مسرحيون متمرسون فلم يقوموا بتطويرها إلى درجة النضج والكمال فحسب بل أوصلوها إلى قمة أوجها وأعطوها شهرة عالمية. وجدير بالذكر من بين هؤلاء جون هيود(John Heywood) (١٤٩٧-١٥٨٠م)، جون لي لي (John Lyly)(١٥٥٤-١٦٠٦م)، طوماس كد (Thomas Kyd) (١٥٥٨-١٦٢٥م)، جورج بيلي(Jeorge Peele) (١٥٥٨-١٦٢٥م)، روبرت جريني (Robert Greene) (١٥٦٠-١٥٩٢م)، كريستوفر مارلو(Christopher Marlowe) (١٥٦٤-١٥٩٣م)، طوماس ناش(Thomas Nash) (١٥٦٧-١٦٠١م)، ملك المسرحيات شيكسبير(Shakespeare)(١٥٦٤-١٦١٦م)، بن جون سن (Ben Jonson) (١٥٧٣-١٦٣٧م)، جون ويبستر(John Webster) (١٥٨٠-١٦٢٥م)، جون درائيدون(John Dryden) (١٦٣١-١٧٠٠م)، اليكزيندر بوب(Alexander Pope) (١٦٨٨-١٧٤٤م)، جورج برنارد شو (George Bernad Sha)(١٨٥٦-١٩٥٠م) وغيرهم. وهؤلاء نجوم لامعة من عالم المسرحية. وكل واحد من هؤلاء يعــد صفحة مشرقة من تاريخ المسرحية. فإنهم لم يثروا المسرحية الإنكليزية فحسب بل تركوا آثارا جمة على مسرحيات اللغات العالمية الأخرى [١].

أنواع المسرحية :

أثمرت جهود المسرحيين المذكورين أعلاه عن ظهور مئات المسرحيات الممتازة التي تعتبر الآن تراثا أدبيا قيما تُدْرَسُ وتُدَرَّسُ ، تُقرأُ وتُعْرَضُ على المنصة في مختلف أنحاء العالم.

---

[١] History of English Literature : Legouis & Cazamian's ص ٣٧٧

وبهذا يفهم جيدا أنه كم من مدارج الرقى قد قطعتها المسرحية العالمية قبل ظهورهذا الفن في الأدب العربي؟ وإلى أي مدى تركت أثرها على نشأة وتطورالمسرحية العربية؟

أيما كانت صورة المسرحية في البداية كانت تمثيلية معجزة أومعجبة، كانت وعظية أم هزلية، انقسمت إلى قسمين هامين: مسرحية مأساوية ومسرحية كوميدية (ملهاة). ثم انقسمت إلى فروع أخرى والأهم منها كما يلي:

- التراجيديا أو المأساة
- الكوميديا أو الملهاة
- الميلو دراما
- فارس
- الأوبرا (المسرحية الغنائية)

التراجيديا أو المأساة : هي المسرحية التي تنتهي نهاية حزينة وأليمة ويؤخذ العمل والأفكار مأخذ الجد. والدور الرئيسي يكون لشخص يتحلى بعمل محمود ويحتل مكانا مرموقا وتمر المأساة بأزمة لا حل لها والصراع يبلغ إلى قمة لا يتحمل. وتنتهي إما بموت البطل أو بانتحارإحدى شخصيات المسرحية. ومن خصائصها أنها تترك تأثيرا عميقا على قلوب النظارة وتسمى بالماسأة[١] .

الكوميديا أو الملهاة : هي المسرحية التي تنتهي بنهاية سارة وعلى سبيل المثال البطل يتزوج في نهاية الأمر أو يحقق هدفه المنشود . وهي باللغة العربية تسمى بالملهاة[٢].

---

[١] Marjorie Boulton : The Anatomy of Drama, p.no.147-148

[٢] نفس المرجع ص :١٤٨

الميلو دراما (المأساة القصوى): هذه نوع من المسرحية التراجيديا وقد تنتهي بنهاية سارة أو حزينة. وتحفل بالأحداث الحزينة والصخب والصياح وتكون الدهشة وإثارة المشاعر على أوجها بدلا من الواقعية والطبيعية. ومثال ذلك مسرحية شيكسبير Titus Andronicus ، ومسرحية مارلو The Jew of Malta وغيرهما[١].

فارس(Farce): وهي نوع من الكوميديا وعلاقتها مع الكوميديا مثل علاقة الميلودراما مع التراجيديا. وتكثر فيها عناصر الضحك والإضحاك وتحظى بمعاني عميقة في ذاتها. ولا تعني فيها كثيرا بتصويرالشخصيات والكلمات الرنانة بل تعرض أحداث التسلية والضحك بصورة سريعة واحدا بعد آخر. وتكون فيها مواد خامة. كما تكثر فيها أشياء غريبة ومدهشة ويبالغ فيها كثيرا. وهي أقل قيمة من الناحية الفنية. وأمثلة بعض مسرحيات فارس هي مسرحية Charley's Aunt لـــ طوماس براندون Thomas Brandon أو مسرحية Miss in her teens لـــ جاريك Garrick و مسرحية French without tears لـــ راتيجان Rattigan وغيرها.

الأوبرا (الملهاة الغنائية): وهي نوع من المسرحية تكون معظم حواراتها بالشعر وتعزف على الموسيقى ويفيد قاموس أكسفورد الإنكليزي "Opera: a dramatic work in which all or most of the words are sung to music."[٢]

{الأوبرا هي عمل مسرحي يتغنى فيه معظم كلماته على لحن الموسيقى.}

وقد أوضح الناقد /عشرت رحماني/ فن الأوبرا : إنها مسرحية شعرية سواء كانت حبكتها مأساوية أم كوميدية، وأسلوب تأديتها يكون غنائيا كليا أو

---

[١] نفس المرجع ص: ١٥٣

[٢] Oxford Advanced Learner's Dictionary , page no.812

جزئيا. وليس من الضروري لكاتب مثل هذا النوع من المسرحية أن يكون ماهرا في الموسيقى ولكن يجب أن يكون ملماً بالشعروالغناء وكذلك يمكن أن يكتب الأوبرا شاعر يتعاونه موسيقار ماهر ليحصل تدبير حبكات المسرحية جنبا إلى جنب كتابة الأغنية بأحسن وجه"[١].

تطور مدارس المسرحية الكلاسيكية والرومانسية:

بدأت المسرحية اليونانية باحتفال المهرجانات لظهورالإله ديونسيس أو باخوس ثم قطعت مسافة طويلة إلى أن وضع أرسطو مبادئ وأسس المسرحية وذكر لها قسمين التراجيديا والكوميديا. وعرّف بالتراجيديا أنها محاكاة لعمل جليل له حدود معينة. ولغتها تكون مملوءة بالموسيقى والشعر والأغاني. ومع التغيير في شخصياتها تتغير لغتها. والمحاكاة هذه يقوم بها الممثلون وبالعمل على المنصة. ولاتحكي فيها القصة بل تعرض بصورة كأنها تحدث.

وبما أن المسرحيات اليونانية كانت تقدم في معبد ديونسيس تكون قلوب الناس مملوءة بمشاعرالاحترام والتقديس ولاتسمح بأن تعرض أحداث القتل والعنف ومثل هذه الأعمال تعرض خارج المسرح ويروي عنها على المنصة. ولعل النظارة يسمعون الصياحة آتية من الخارج. ولذا لا يكون هنا متسع لعناصر الضحك والتسلية والتمتع.

وأضف إلى ذلك أن عدد الممثلين يكون قليلا جدا. ومعهم يكون الجوقة الذين يرشدون عامة الناس ويعلقون على القصة ويساعدون في دفع المسرحية إلى الأمام. ويكونون في طرف من المنصة في خفاء عن أعين الناس. ويسمع الناس والمتفرجون أصواتهم بصورة جيدة. ويجري الحوار في قالب الأغاني والموسيقى. وكان الممثلون عامة يلبسون ملابس تتلاءم مع أدوارهم. وكان

[١] عشرت رحماني : دراما كا ارتقاء (بالأردية) ص:١٧-١٨

الناس يعرفون أين تنتهي القصة. ورغم ذلك كانوا يذهبون إلى تلك الأماكن المقدسة ويعلن الجوقة عن تغيير المنظر. ولذا لا يشعر المتفرجون بتغير الوقت والمكان والموضوع. وأطلق عليه فيما بعد اسم الوحدات الثلاثة.

وأثرت المسرحيات اليونانية في المسرحيات الأوربية تأثيرا بالغا. خاصة المسرحيون الفرنسيون اتبعوا مبادئ وأسس المسرحية اليونانية وتطورت المسرحية الفرنسية تطورا كبيرا في القرن السابع عشر للميلادي. وهكذا نجح الفرنسيون في غضون ثلاثين عاما (١٦٣٠-١٦٦٠م) في إقامة مدرسة مسرحية مستقلة عرفت فيما بعد باسم المدرسة التقليدية أوالكلاسيكية. ويعتبر الناقد الفرنسي الشهير بوالو مؤسسا لهذه المدرسة حيث كتب كتابا L' Art Poetique وذكرفيه أسس ومبادئ المسرحية بقدر من التفصيل[١].

ويذكر أهم الأسس والمبادئ للمدرسة الكلاسيكية فيما يلي:

التمسك بالوحدات الثلاثة أي أن يكون الوقت والمكان والعمل واحدا. وكان قد قال أرسطو موضحا الفرق بين الملحمة والتراجيديا أنه يجب أن تختصرالتراجيديا إلى درجة أن تصبح بقدر دوران الشمس أو تتجاوز قليلا بينما لا تكون أية قيود كهذه في الملحمة. ويفسر هذا القول على وجهين : أولا يراد بدوران الشمس ١٢/ ساعة وثانيا ٢٤/ساعة أي كل قصة لمسرحية لازم أن يحدث وينتهي في غضون ٢٤/ ساعة فحسب.

أما المكان فقد اُختُلِفَ في أمره أيضا. ويعتقد معظم الناس بأن تحدث قصة المسرحية في مدينة واحدة ولكن الكورني قال موسعا فيه إنه يشمل كافة الأماكن التي يمكن الذهاب اليها والإياب منها خلال ٢٤/ساعة.

---

[١] نقلا عن المسرحية لعمر الدسوقي ص:٨١

وبخصوص العمل فقد قال أرسطو أنه ينبغي أن يكون عملا كاملا ولازم أن تكون كافة الأجزاء مرتبطة بعضها مع البعض فلا يمكن قطع جزء منه أو حذفه لأنه إذا حذف شيء منه أو أزيل من مكانه فيصبح العقدة غير مرتبطة وضعيفة وإذا لا يؤثر حذف شيء منه أو إضافته فمعنى ذلك أنه جزء غيرضروري وإذا لا يمكن أن يكون جزءا للكل. وفي مكان آخر قال أرسطو إنه يجب أن يدور حول فعل كامل يكون له بداية ووسط ونهاية.

وحسب المدرسة الكلاسيكية يكون في المسرحية عقدة مركزية تدورحولها وتكون خالية من الحشو والزوائد ولايجوز فيها أن تكون صبغة محلية أوعقدة ثانوية. وكل كلمة تتكلم على المنصة يجب أن تدفع بالمسرحية الى الأمام وكذلك يجب أن يكون كل عمل متوازانا. ولا يمكن لأديب أن يحذف عنصرا من العناصر الرئيسية للموضوع ولا يضيف عنصرا ثانويا. ويكون توكيده على تاثير المتفرجين أو النظارة ويتناول موضوعا واحدا فحسب ولا يكون فيه أي تاثير خارجي.

وبسبب هذه القيود يكون عدد الممثلين قليلا جدا بحدود أربعة أو خمسة على الأكثر. ولكن الحوارات تكون طويلة والمناجاة أطول والخطب أطول بكثير. وبما أنها تكون خالية من الأحداث الثانوية والممثلين الثانويين يتكرر كثير من الأشياء. ويعرض الخيال بصور مختلفة. ويلزم التأمل مرارا وتكرارا ثم يقدم دليل بعد دليل وتلقى خطبة بعد خطبة. فيبدو كأنك تجلس في قاعة المناظرات ويتسابق فيها فطاحل الخطباء وكل منهم يصور موقفه ببراعة فائقة ويوضح رأيه بمهارة نادرة.

وثانيا شوهد أن المدرسة الكلاسيكية منعت تماما عرض الأحداث المخوفة والمناظر المهيبة على المنصة التي لم تكن تعرض أمام المتفرجين أو النظارة بل يروي عنها شخص على المنصة.

كما أن المدرسة التقليدية أصرت على صبغة واحدة للمسرحية فلاتسمح بمزج الفكاهة مع الجد بل يجب أن تكون القصة واحدة، صبغتها واحدة ولونها واحد ومذاقها واحد ولاينبغي خلط المسرة مع الحزن والجد مع المزاح والنقد مع الضحك وشخصية عظيمة مع شخصية دنيا.

كما تشدد المدرسة الكلاسيكية على أن تتفق المسرحية في أربعة أشياء:

- الأخلاق العالية يعني تعرض الأخلاق الكريمة والقيم النبيلة كمثل ونماذج في المسرحية.

- يجب التوافق بين الأعمال والأخلاق. وتتجلى تلك الأخلاق والأعمال في شخصية واحدة. ولايجوز أن تمثل شخصية واحدة صورة متناقضة وعلى سبيل المثال إذا يتحلى البطل بأخلاق كريمة ويقوم بأعمال جليلة من الشجاعة والفروسية فلاينبغي أن يأتي في وقت ما بعمل شنيع مثل البخل والدناءة ولايفر بماله ونفسه من المعركة بل يضحي نفسه في تحقيق مهمته وغايته. كما لايجوزله أن يتحدث ما يخالف عمله أو يعمل ما يناقض قوله.

- ويجب أن يكون البطل مشابها في قوله ومزاجه وهيئته البطل التاريخي الذي يمثل شخصيته ولا يجوز التناقض بين ما يقدمه وبين الحقائق التاريخية. وعلى سبيل المثال من المعلوم أن شانغيز خان كان أعرج وقصير القامة فلاينبغي أن يمثله شخص يكون طويل القامة وسليم الجسم وكذلك لو يمثل أحد ملكا فينبغي أن تخرج كل كلمة من فمه تتجلى فيها جبروته وسلطانه ولاينبغي أن تخرج من فمه كلام السوقة.

- ويجب التوافق بين أفعال وأخلاق البطل من البداية إلى النهاية ولا يجوز ظهور التناقض في أمر ما وعلى سبيل المثال لو يكون البطل شجاعا

فيجب أن يكون شجاعا في المسرحية من البداية الى النهاية ولايجوز أن يرى جبانا أحيانا وأخرى شجاعا.

– دعت المدرسة الكلاسيكية في التراجيديا إلى تكون التراجيديا خالية من المعجزات والخوارق ولا تعتمد عليها للوصول إلى حل بل لا بد للعمل أن يمكن وقوعه وحدوثه.

– كما أن المدرسة التقليدية جعلت موضوعاتها من التاريخ القديم واستمدت موادها منها مثل التاريخ الروماني والأساطير اليونانية وغيرها. أما ما يتعلق بالموضوعات الجديدة والمسائل والمشاكل الاجتماعية والمعاصرة فغضت النظرعنها.

– ومن أسس المدرسة التقليدية أن تحمل المسرحية رسالة أخلاقية وتعليمية تقدمها للناس. وفي هذا الصدد تبدو متأثرة بالتعاليم المسيحية. بل كان الفلاسفة اليونانيون يرون أنه ينبغي للفن أن يكون وقفا لخدمة المجتمع وتهذيب الأخلاق.[١]

الفرق بين المدرستين :الكلاسيكة والرومانسية:

قد أبان هدسنHudson مزايا وخصائص المدرسة التقليدية التي يمكن تسجيلها تحت ثلاثة عناوين:

١– تتبع المسرحية الكلاسيكية بشدة المحتوى والأسلوب فتفصل بين التراجيديا والكوميديا بصورة كاملة وتصر على أن تبقى التراجيديا تراجيديا من البداية إلى النهاية وأن تحافظ على ميدانها الخاص وتتجنب كل الجوانب والنواحي التي تشابه الكوميديا ولاينبغي أن يتسرب إليها شيء من الفكاهة

[١] عمر الدسوقي : المسرحية ص:١٠٤–١٠٥

والمزاح. وكذلك ينبغي أن تظل الكوميديا كوميديا من البداية إلى النهاية ولا ينبغي أن يتسرب إليها شيء يشابه التراجيديا.

٢- ولا يكون فيها عمل دراماتيكي والأحداث المشمولة في الحبكة تعرض خارج منصة المسرح ويروى عنها النظارة.

٣- وكمبدأ أساسي لها يحافظ فيها كل الحفاظ على الوحدات الثلاثة وهي الوقت والمكان والعمل. وباختصار شديد يعنى ذلك أنه يجب أن : أ- تحدث قصة المسرحية بأسرها في يوم واحد. ب- أن يكون مشهدها واحدا. ج- أن تكون القصة واحدة فحسب بدون حبكات ثانوية أو قصص صغيرة ثانوية أخرى[١].

المدرسة الرومانسية :

اتبع الناس مبادئ وأسس المدرسة الكلاسيكية لوقت طويل ولكن مع مضي الوقت بدؤوا يملون من شدة التمسك بالوحدات الثلاثة واتحاد الموضوعات ولم تواكب هذه المدرسة ركب الزمان. ومن طبائع البشر أنها تحب التنوع والحرية وهذا مما حث الناس على الخروج على التقاليد البالية والأسس العقيمة باسم الوحدات الثلاثة وظهر للعيان مدرسة أخرى سميت بالمدرسة الرومانسية ولو أن الأدباء بدؤوا يزرعون بذور الرومانسية في المسرحية قبل ظهور ملك المسرحية شكسبير إلا أن المزية الكبرى التي تميزه من بين كافة المسرحيين هي أنه طبق هذه الأسس والمبادئ في مسرحياته وجعلها جزءا منها كأنها دم يسري في شرايينها.

وتكتسب أعمال أسلاف شيكسبيرأهمية تاريخية في تطورالمسرحية لأنهم كتبوا مسرحيات حرة ومرنة ومهدوا الطريق لمسرحيات شكسبير. وتعرف هذه

---

[١] Hudson : An Outline History of English Literature p.no.:56

الجماعة باسم University wits . وكان هؤلاء متحلين بالتعليم العصري وكرسوا أنفسهم للمسرح والمسرحية ومزجوا مقتضيات العصر الجديد وتطلعات الناس في مسرحياتهم بصورة كاملة. ومن بين هؤلاء بعض الأسماء اللامعة هي : جون للي (١٥٥٤-١٦٠٦م)، طوماس كد (١٥٥٧-١٥٩٥م)، و جورج بيلي (١٥٥٨-١٥٩٧م)، طوماس لاج(١٥٥٨-١٦٢٥م)، رابرت جرين(١٥٦٠-١٥٩٢م)، كريستوفرمارلو(١٥٦٤-١٥٩٣م)، وطوماس ناش(١٥٦٧-١٦٠١م).

وكل واحد من هؤلاء لعب دورا هاما في تطوير المسرحية وأغنوها من ناحية أو أخرى اعتنق بها شكسبير وجعلها مدرسة رومانسية كاملة ومن بين هؤلاء مسرحيان كبيران تأثر بهما شكسبير كثيرا وهما للي ومارلو.

مزايا وخصائص المدرسة الرومانسية :

وقد أوضح هدسن Hudson مزايا وخصائص المدرسة الرومانسية كما يلي:

١- الفكرة الأساسية: سمحت هذه المدرسة بحرية تنوع الموضوع واللهجة ومزجت عناصر الجد والمزاح. كما مزجت عناصر وأحداث المأساة والكوميديا في مسرحية واحدة.

٢- وتسمح في عرض حبكة بأن يتوسل بالسرد والعمل كليهما ولكنها تكون مسرحية العمل التي تعرض على المسرح.

٣- تنفي الوحدات الثلاثة. أ-تسمح بأن توسع قصة واحدة لمدة شهر أو أكثر. ب- بأن ينقل المشهد من مدينة وبلد إلى آخر عندما تتطلب الحاجة إلى ذلك. ج- بأن تعرض الحبكة الثانوية والأحداث الثانوية أيضا شريطة أن تكون مرتبطة بالموضوع المركزي[١].

[١] نفس المرجع ص :٥٦-٥٧

العناصر الرئيسية للمسرحية الفنية :

في الحقيقة تتكون المسرحية من عناصر عديدة وتشكل فيها القصة والعمل وخشبة المسرح الأجزاء الرئيسية. والعناصر الهامة لها هي : ١-الحبكة ، ٢-الفكرة الرئيسية، ٣-البداية ،٤-الشخصيات وتدبير الأدوار،٥-الحوار، ٦-الصراع ، ٧- قمة الصراع و٨-النهاية .

الأدب العربي والمسرحية :

المسرحية في الأدب العربي فن جديد نسبيا. ففي العصور الوسطى في العالم العربي وجدت بعض الآثار والروايات للتمثيل والعرض ولكنها لم تتطور كفن أدبي مثل ما تطورت المسرحية في العالم الغربي وقطعت مدارج عليا. وتناول الأدباء والنقاد الموضوع بحثا ودراسة وناقشوا أسباب عدم ظهور المسرحية في العصور السالفة ومنها:

- يزعم أن من الأسباب الرئيسية لعدم ظهور هذا الفن في الأدب العربي هو طبيعة المجتمع العربي، عاداته وتقاليده، مثله وقيمه وماإلى ذلك. فكان العرب يقضون حياة قبلية بسيطة، كانت أمزجتهم فطرية صريحة، والمسرحية تتطلب نوعا من الصراع والمواد المعقدة الفلسفية التي لم تكن متوفرة في المجتمع العربي. وخاصة الطبيعة القبلية لم تكن تتلاءم مع المسرحية.

- السبب الثاني الذي يذكر هو أن بزوغ نورالإسلام قلّب المجتمع العربي تماما. انتهت الوثنية ولم يكن اللهو واللعب مسموحا بهما. وفي المسرحية يحاكي شخص شخصا من المجتمع ويمثل أعماله وأدواره في الحياة مبرزا محامده أو مساوئه وتعاليم الإسلام لاتسمح بذلك. لذا لم يزرع هذا النبات في أرض عربية ولم تنشأ وتنمُ.

– وقيل أيضا أن العرب كانوا يعتبرون لغتهم أعلى وأفضل وما سواها أدنى وأسفل. فلذا لم يبدوا رغبة في لغات أخرى ولم يهتموا بها. وكان همهم الوحيد الشعروالشاعرية. والشعر الغنائي كان الصنف المفضل لديهم وظل الشعر مسيطرا على قلوبهم وأفئدتهم صارفا كل همهم عن الفنون والمعارف الأخرى. ولذا لم يحصل أي تطور في هذا المجال.

– وفي العصر العباسي حصل تطور كبير في كافة العلوم والفنون حتى سمي العصر الذهبي للإسلام. فقد استقدم الخلفاء العباسيون المهرة والخبراء من كل أنحاء العالم وكذلك استوردت الكتب الثمينة لكل فن وترجمت هذه الكتب من الفارسية والرومية واليونانية والهندية إلى العربية. وشجعوا المترجمين المهرة الأكفاء تشجيعا منقطع النظير ومن المواد المترجمة إلى العربية المسرحية اليونانية وخاصة كتاب أرسطو Poetica فترجمت المسرحية التراجيديا بالهجو والملهاة بالمدح[١]. ونتيجة لذلك لم يدرك العرب فحوى المسرحية ومعناها الصحيح. وبالتالي لم يولوا اهتماما بهذا الفن. وكان من الممكن أن يستورد هذا الفن كما أخذوا الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات والعلوم وغيرها من اليونانين والهنود والشعوب الأخرى وطوروه وكذلك لو كانوا وجدوا نماذج ممتعة للمسرحية فقد كان من الممكن أن يتوجهوا إلى هذا الاتجاه إذ لم يتخلفوا عن أمة وشعب في الشعر والغزل الصريح أو الإباحي قط. فإن شعر امرئ القيس وغزله وكذلك شعر ابن أبي ربيعة وحواره الشعري قد يوفران أساسا للمسرحية ويساعدان في تطورها. ولكن بوجهة نظري إنهم لم يجدوا نماذج صالحة أو حية لهذا الفن الجميل فلم يدركوا أهمية هذا الفن بل لم يفهموه وبالتالي لم يتطورهذا الفن في الأدب العربي.

---

[١] Early Arabic Drama: MM Badawi, p.no.4

ولو نقوم بتحليل الأسباب التي تذكر لعدم ظهور وتطور المسرحية في الأدب العربي فقد نجد أن القول بأن المجتمع العربي الوثني والقبلي لم يكن صالحا لنمو المسرحية. فلم تكن كافة العرب يقضون حياة بدوية بل بعض منهم يقضون حياة شبه مدنية. فقد تعود الناس في مكة والمدينة والطائف على حياة مدنية. وقد تطورت اليمن والحياة فيها كانت منظمة منسقة وفيها كانت ظهرت ملكة سبأ وحكمت البلاد.

كما أن العرب كانوا وثنيين قبل بزوغ أشعة الاسلام وكان الجو ملائما جدا لنمو وتطور مثل هذا الفن إذ من المعلوم أن المسرحية في اليونان وإنجلترا تطورت تحت تأثير من عبادة الآلهة والطقوس والشعائر الدينية.

كما لا يجوز لنا أن نقول إن الإسلام حرم تلك أو منع منها أو لم يسمح بها. ولعل ربط المسرحية بالإسلام أمرلاعلاقة له بها ولا داعي له. وقد رأينا أن الغزل الصريح انتشر وراج ولقي قبولا في المجتمع العربي. وشاعت الموسيقى والرقص في المجتمع وقد كتب الدكتورشوقي ضيف أن مكة والمدينة قد تحولتا إلى مراكزللغناء والموسيقى بعد الخلافة الرشيدة. وفي زمن الخليفة الأموي عبدالملك كان الشاعر الأخطل يدخل البلاط وقد اختمر. وفي عصر الخلفاء العباسيين كانت تعقد محافل الرقص والشرب واللهو واللعب من حين لآخر. فإن كانت هذه الأمور كلها مباحة ومسموحة فلماذا لم يكن من الممكن كتابة المسرحية وعرضها على خشبة المسرح. ولاشك في أن الإسلام منع من صنع التماثيل ولم يستحسن الرقص واللهو واللعب ولكن أين منع الإسلام من عرض الأحداث والوقائع لاستمالة قلوب الناس إلى الخير وحثهم على فعل الخيرات وجعلهم إنسانا يعبد الله وحده؟ نعم! إنه منع محاكاة البارئ سبحانه وتعالى وصنع صورة الأنبياء عليه الصلاة والسلام لكن لم يمنع من دعوة الناس إلى الخير بوسائل تمثيلية.

وإلى جانب ذلك توجد هناك أدلة وافرة أن القصص والحكايات وجدت في المجتمع العربي وهي تشكل عنصرا هاما للمسرحية. وانتشرت القصص شفويا في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي ثم ترجمت إلى العربية من اللغات الأخرى. وظهر نوع جديد من القصص في العصر العباسي. ألا وهي المقامات فانتشرت انتشارا واسعا وكتبت بصورة كبيرة. هذه القصص كانت أدبية وفكاهية حيث يكون فيها بطلا وراويا. كما تكون فيها الحوار والصراع والاستطلاع والمفاجأة. ولو كان تم تطويرهذه المقامات لأصبحت مسرحيات قيمة.

ومن أنواع القصص والحكايات روايات خيال الظل لابن دانيال التي ظهرت في مصرالقديمة والتي كانت تعرض بشكل منظم في العصور الوسطى وانتشرت في المجتمع المصري على نطاق واسع. وهي من نوع التمثيليات التي سماها بعض الأدباء والنقاد أشكالا أولية للمسرحية أو صور بدائية للمسرحية.

ومضات وأشكال تمثيلية في العصور الوسطى

تعرف مصر لثقافتها وحضارتها العتيقة في العالم بأسره. وبعامة يفهم أن المسرحية نشأت وتطورت في اليونان. ولكن المؤرخ اليوناني هيرودوتس (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) نفسه يقول إن اليونانيين تعلموا هذا الفن من المصريين. وكتب عن كهنة مصرالقديمة أنهم كانوا يعرضون بعض الطقوس الدينية التي كانت تشابه المسرحية وتعتمد على قصص إيزيس وأوزوريس. ثم أتى كونت في عام ١٩٢٢م وكورت في ١٩٢٨م وسليم حسن في عام ١٩٢٧م باكتشافات جديدة وادعوا أنه وجدت بعض النصوص القديمة المتعلقة بالمسرحية والتي تشتمل على ٤٠/مشهدا. وتدور حول حكايات إيزيس وأوزوريس وابنهما حورس وعدوهم "ست" (إله الظلمة) وقد كانت تعرض حتى عصر هيرودوتس

أي قبل القرن الخامس للميلادي[١]. وهذا ليس بأمر تافه بل حدث جليل وقصتها أن إيزيس تخرج بحثا عن زوجها أوزوريس ويساعدها ابنها حورس في ذلك الأمر. ويأخذ الثأر من إله الظلمة، الذي تسبب لموت أبيه، ويقال إن جسده مُثِّل ووزعت أشلاؤه في ٤٠/قطعة ووضعت في أربعين مكانا. وينجحون في البحث عن هذه القطعات وربطها وإحيائها من جديد. وكان يستمر التمثيل عن هذه القصة لمدة ثلاثة أيام وكان الناس يمشون في موكب من مكان إلى آخر بحثا عن أوزوريس الذي قطع ٤٠/ قطعة ويعتقد الناس أن في هذا المكان تكون قطعة وتقع معارك حقيقية بينهم أحيانا ومعركة خيالية أحيانا أخرى ثم يوجد الجسد ويدخل الهيكل. وعندما يرى القوم هذا المنظر يصيح ويصرخ. ولم تقتصر المسرحية المصرية في حدود جدران المعابد بل وصلت إلى الشعب حيث تعرضها الفرق العامة. ثم أضيف إليها الرقص والغناء. وبعد سيطرة اليونان وروما على مصر تغيبت[٢].

التعزية: تحتفل جماعة أهل الشيعة بشهادة الإمام حسين رضي الله عنه بطريقة خاصة. وقصة شهادته أنه عندما بدأ يزيد يبايع الناس على خلافته طوعا أوكرها لم يطمئن الصحابة على استخلافه ولم يروه مؤهلا لذلك المنصب العالي. فامتنع البعض عن المبايعة على يديه وأنكر البعض وخلال هذه الأثناء دعا الناس الإمام حسين رضي الله عنه إلى الكوفة مركز خلافة علي رضي الله عنه. ولكنه لما رحل من المدينة المنورة إلى الكوفة استشهد هو وأفراد أسرته في ميدان الكربلاء من قبل جيش يزيد بن معاوية. فأهل الشيعة يحتفلون بهذه الواقعة بطريقة أنهم يخرجون إلى ميدان مفتوح حيث ينصبون الخيمة ويضعون

[١] المسرحية : عمر الدسوقي ص ١٠-١١
[٢] المسرحية : عمر الدسوقي ص :١٢

عليها رايات سوداء ويذكر رجل صالح كبيرالسن محامد حسين وآله والمظالم التي أوقعت عليهم. فيضطرب المستمعون المجتمعون هنا ويحزنون عليهم ويتغنون أناشيد الحزن والغم حيث تثير مشاعرهم وتذرف من أعينهم الدموع تذرافا. ويجول بينهم رجل حاملا قطعة ثوب ويمس بها دموعهم ثم يعتصرها في كأس ويستشفى منها. ثم يحرق الناس هذه التعازي في طرف من الميدان. وكأنه ميدان الكربلاء والتعزية تتمثل قبر حسين الذي يبرز بلون أسود وباحترام بالغ. إلا أن جماعة أهل الشيعة لا يحبون أن تسمى هذه التعزية بالتمثيل أو المسرحية[١].

الخليفة المهدي: كان في زمن الخليفة المهدي رجل صوفي يعرف لتقواه وصلاحه وورعه. كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكذلك كان لا يضيع أية مناسبة للوعظ والنصيحة. وكان من عادته أن يذهب يوم الخميس ويوم الإثنين خارج مدينة بغداد ثم يجتمع حوله جماعة من الرجال والنساء والأطفال. ويصعد على مكان مرتفع ويدعو بصوت عال قولوا لي: ماذا فعل الأنبياء والرسل؟ أليسوا في أعلى عليين في الجنة؟ فيرد عليه الناس :نعم. فيدعو أن يأتي إليه أبوبكر فيخرج من بينهم رجل ويجلس أمامه. فيقول له: يا أبابكر جزاك الله خيرا عن الرعية إنك عدلت بين الناس فرضي الله عنك. وأصبحت خليفة للمسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأقمت الخلافة على أحسن وجه. أزلت الخلاف والانشقاق وأخذت بحبل الله بالقوة وأوثقت الإيمان بالله في قلوب الناس وهكذا يعدد أعماله الجليلة التي قام بها. ثم يدعوعمربن الخطاب فيتقدم رجل فيقول له فعلت كذا وكذا فجزاك الله خيرا. وهكذا يدعو الصحابة الأجلاء والخلفاء وغيرهم من كبارالأمة ويجري الحوار بينهم ويقضي بينهم ويبدي رأيه

[١] المسرحية : د/ خليل الموسى ص :٩

وهذا الحوار والتمثيل يذكرنا التمثيليات / المسرحيات الأخلاقية التي يقدمها أهل الكنيسة في أوربا [١].

خيال الظل: خلال عصر الأيوبيين والمماليك، نجد في روايات خيال الظل نوعا آخر من المسرحيات. اشتهرت روايات خيال الظل كثيرا وكان يعجبها الناس كثيرا. وبعض النصوص الشعرية تدل على أن النساء كنّ أيضا يشاركن فيها. ولكن لما بدأ تتفشى الفاحشة والفساد الخلقي في المجتمع ففرض الحكام الحظر عليها.

وقد كتب الدكتور مصطفى البدوي الناقد العربي المصري الكبير بالتفصيل عن خيال الظل ورواياته ونذكر قصة واحدة منها ملخصا[٢]. يعتبر شمس الدين محمد بن دانيال (١٢٤٨-١٣١١م) رائد تمثيليات خيال الظل. ووصلت إلينا بعض تمثيليات خيال الظل التي يمكن أن يعرف بها نوعها وكذلك قيمتها الأدبية والاجتماعية. وأول هذه المسرحيات مسرحية "ظل الروح". هذه أطول مسرحية وهي مكتملة في حبكتها وأدوارها اكثر نضجا وكمالا.

وبطلها الأمير وصال ورفيقه رجل أحدب قصير القامة. فيظهر على المنصة المقدم ويعرّف أولا باللعب. وينادي طيف الخيال فيحضر حالا وهو رجل قبيح الشكل واللون الذي ظهره مثل ظهر الإبل. ويسلم على المقدم. فيرد عليه بالسلام وينشد قصيدة في مدحه فيثني على حسن ملبسه وهيئته بأسلوب طريف. ويشكر له طيف برحابة الصدر ويقدم غناء ورقصا تقليديا إذ هومن تقاليد مسرحيات خيال الظل. ويرحب فيه بالمشاهدين. ويدعو الله عزوجل ويبتهل إلى الله. ويعرب عن نواياه الطيبة للحاكم آنذاك والحضورالكرام ثم

---

[١] المسرحية : عمر الدسوقي ص :١٢

[٢] Early Arabic Drama: M.M. Badawi ص ١٣-١٥

يخاطب المشاهدين ويذكر لهم حياته المتورطة في اللهو والمجون. ثم يقول إنه قد تاب عنها الآن وجاء إلى القاهرة بحثا عن صديقه الحميم الأمير وصال الذي افترق منه وضل طريقه في الموصل. وهنا عرف أن السلطان بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧) قد شن حربا شعواء ضد جيش الشيطان. وقد هدمت وخربت أماكن اللهو والترفيه. وفي هذه الأثناء يدعو رسولٌ الأميرَ وصال الذي يظهر للناس فورا لابسا قلنسوة جندي مثل السهم والشوارب طويلة مرتفعة إلى الفوق. وهو في حالة سيئة. ومثل البطل الفكاهي يعرف بحياته المجون والفحوش ويبدو بسبب ذلك رجلا مضحكا. ويستخدم النثر المسجع مثل المقامات حيث يذكر أحداث حياته الماضية المملوءة بالخلاعة والتهتك والمجون وينشد منظومة لحياة الرغد والنعم. ثم ينصح الشيطان أن يخرج من مصر وإلا يعاقبه حاكمه معاقبة شديدة.

ثم يعلن وصال أنه يريد أن يصحح مسار حياته وسلوكه ويتزوج ويناجي أمين سره وهو يرعى أموره المالية وهوشاعر مضحك ويكتب له قصائد المديح، أن يقدم له كشفا عن ممتلكاته وعقاراته. فيقدم أمين سره المستندات المالية ويقول له أنه كم من عقارات وممتلكات غير محدودة ومناطق واسعة يملك. ومن الممتع أنه منح المناطق والعقارات التي دمرت وخربت وهي أودية قاحلة غير مسكونة. ومن الممكن أن تبقى في ملكه شريطة ألا يضيع فرصة أو وسيلة للترفيه والاستمتاع ولو كانت غير أخلاقية. وبتعبير آخر وصال أمير ضال وحاكم للاقانونية وسوء الحظ ولقب بلقب ملك الحمقاء والضلال. والأمير وصال يناجي رفيقه طيف الخيال بأنه يريد أن يترك حياة العربدة والمجون والشذوذ الجنسي ويتوب عنها. ويريد أن يتزوج ويلتمس من الوسيط "أم رشيد" لذلك فتظهر فورا وتسلم على المشاهدين بأسلوبها الخاص وبطريقتها الفنية البديعة.

وتقول : لديها عروسة متوفرة حالا. وهي ملكة الحسن والجمال. وتذكر محاسنها وخصائصها فيبدي الأميرعن رضاه ورغبته فيها. ثم يحضر بالمناكح والماجن وشهود عيان على المنصة. فيلقي المناكح خطبة بهذه المناسبة. لغته مملوءة بالسجع والقوافي. وهنا يعلم أن اسم الزوجة "دبة بنت مفتاح" وهذا اسم مضحك يشير جليا إلى الشذوذ الجنسي كما يشير إلى قبيح صورتها وأسنانها غير المنسقة.

وتنتهي الخطبة مع إعلان المهر. والآن لم يبق لوصال إلا أن يدفع مبلغ المهر وعلى العروسة أن تقبل عقد الزواج. والمرحلة الصعبة للأمير وصال أنه من أين يأتي بالمال المطلوب وقد ضيع جميع أمواله وممتلكاته في المجون والفحوش. ويتغيب وصال للحظة ثم يظهر راكبا على فرس في موكب من المغنيين والراقصين والعازفين على الموسيقى، ثم يجلس بوقار وينتظر زوجته فهي تظهر في حشد من النساء ووجهها مغطى بالكامل. فيسلم عليها ويكشف النقاب عن وجهها فإذا صوت الحمار يخرج عاليا. ويتحير وهي قبيحة إلى درجة أنه من أول نظرة وقع مغشيا عليه. ومن جانب آخر تشكو العروس من أم رشيد أنه أفزع إياها والولد (حفيدها) وأصبح مصابا فينهض الولد مرتعشا ويقف بكل قوة وعزيمة ثم يشم أنف وصال وبه يتنحنح وترتعد فصائله. وبعد وقت قليل يتنفس الصعداء فيسب بلغة مصرية وينشد أشعار السب والشتم لكي يستعيد وصال وعيه فإذن يثب وصال على قدميه ويهاجم مع رفاقه الأولاد، والنسوة والعروسة فيفر الناس مندهشين.

وعندما يظهر طيف مرة ثانية فيقول له وصال أن تستدعي أم رشيد وزوجها الشيخ أفلق لأن يوطؤوا بالأرجل حتى الهلاك لأنهم خدعوه. والشيخ أفلق كبير السن ماهر في الموسيقى والغناء ولكن صبغ شعره باللون الأسود

لكيلا يعرف الناس عمره. ويلقى خطبة بلغة الشعر ويذكر الشباب والقوة الماضية فيكثر ذكره ويذكر استغلاله الجنسي. ويهدده وصال بأنه يضربه بالسوط لكيلا تخدع النسوة الضعيفات الباليات الرجال ويلقن الشيطان درسا. ولكن طيف يلتمس منه العفو إذ إنه بلغ من العمر نسيا. ويقول الشيخ أفلق إنه على وشك الموت ويحكي بأسلوب حزين شديد حكايات شبابه والشذوذ الجنسي الذي ارتكبه. ويتهم ويلوم الطبيب بختيانوس بأنه معالج غير كفء. إن علاجه لم يعد عليه بأي فائدة وقد ماتت زوجته بيديه. فيتحير وصال عن نعي أم رشيد ويطالب الممثل أن يستدعي بختيانوس لأن يصدق على ما يقول. فيحضر الطبيب ويقول إنها ماتت في المقهى (مكان الخمر والرقص واللهو). ويعيد آخر كلماتها ليتعظ بها الناس ويتذكر بها النساء والرجال في الحب والود والعلاقات الجنسية. وينشد لها المراثي إذ كيف أنها وفرت نسوة لكثير من الرجال ويكشف القناع عن حياته الخاصة. وهذه المنظومة تختلف عن المراثي السابقة. وفي الحقيقة هي مرثية هزلية. ويعرب فيها النائح عن المسرة على موت أقربائه ويقول إن هذا يوم المسرة والغبطة ثم يتوب ويستغفر والأمير وصال يعتزم على أن يذهب إلى مكة المكرمة للحج ليغسل عن سائر ذنوبه ويغفر عنه.

وكذلك توجد مسرحيتان لابن دانيال من مسرحيات خيال الظل وهما "العجيب والغريب" (الواعظ العجيب والأجنبي) و"المتيم"(العاشق المجنون) وهما ممتعتان جدا. ومن الناحية الفنية يوجد فيها كثير من النقائص والعيوب وعلى سبيل المثال حبكتها وتوزيعها على (فصول) ليست بمعيارية كثيرا. إلا أنه لا حرج فيما لو نسميها بالتمثيليات البدائية ولهذا السبب شبهها الدكتور مصطفى بدوي بالمسرحيات المعجزة أو الوعظية الأوربية.

"Both in dramatic technique and in spirit they come very close to medieval European drama, to the Mysteries and Moralities as well as to the Sotties."[1]

{هذه المسرحيات في التقنية المسرحية والروح كلتيهما قريبة جدا إلى المسرحيات الأوربية : المعجزة والوعظية وكذلك المسرحيات الهزلية.}

ويتضح من الحديث أعلاه أن في العصر القديم للأدب العربي لم تكن توجد المسرحية كما وجدت في الآداب اليونانية والفرنسية والإنكليزية ولكن بعض الروايات والأشكال غير الناضجة كانت توجد في العالم العربي خاصة في مصر التي استمرت حتى القرن السابع عشر للميلادي. إلا أن المسرحية بمعناها الفني ظهرت للوجود عندما تم تواصل العرب واحتكاكهم بصورة مباشرة مع الآداب الغربية حيث سافروا إلى العالم في الخارج. ورأوا تطورات الحضارة والثقافة الغربية ودرسوا علومها وفنونها ونقلوها إلى العربية وطوروها حتى أن القصة القصيرة والرواية والمسرحية العربية تساوي وتجاري الآداب الغربية.

المسرحية في الأدب العربي الحديث

كان العرب في بلاد الشام في تواصل مستمر مع الغرب منذ وقت طويل لأن وفود المبشرين كانت ترد إلى هذه المناطق لزيارة الأماكن المسيحية المقدسة وكذلك لنشرالتعاليم المسيحية وكانوا يحظون بعلاقات اجتماعية ودينية وعرقية مع سكان هذه المنطقة. وبفضل ذلك كانوا على إلمام أكثر من الإخوة العرب القاطنين في مختلف أجزاء العالم العربي والإسلامي بما كان يحصل من التطورات العلمية في أوروبا. إلا أن غزو نابليون ١٧٩٨ على مصر مرورا ببلاد الشام فتح بابا جديدا في تاريخ العالم العربي ودفع كل الحواجز إلى الوراء وأسرع عملية احتكاك العرب مع الغرب واضطرت شعوب هذه المنطقة إلى

[1] Early Arabic Drama: M M Badawi ص١٥

التواصل والتبادل الثقافي والعلمي والاجتماعي والسياسي وما إلى ذلك. وشاهد المصريون من مظاهر التطورالعلمي والثقافي التي حصلت في أوروبا وأحسوا بأنهم في عمق التخلف والجمود. ولكن ما كان هذا الغزو إلا بمثابة فيضان في موسم الأمطار وإنما حصل التطور العلمي والثقافي الحقيقي عندما تولى محمد علي[١] زمام الحكم في مصر. فكان قد جاء نابليون بوفد من العلماء والفنيين الذين أقاموا مطبعة ودار نشر وأصدروا جريدة وأقاموا بعض المدارس والمختبرات. كما أنشؤوا مسارح وعرضوا فيها بعض المسرحيات أولا لضباطه وأركان حكومته ثم للمصريين. ففي المرحلة الأولى تم إقامة المسارح في العالم العربي بالأخص مصر وعرض المسرحيات الأجنبية باللغات الأجنبية وأشار جرجي زيدان إلى مثل هذه المسارح فقال:

"أما التمثيل كما هو عند الإفرنج لهذا العهد، فقد جاءنا في جملة أسباب المدنية الحديثة حمله بونابرت معه عند قدومه إلى مصر، في جملة ما حمله من بذور هذه المدنية كالطباعة والصحافة. كان بين رجال حملته العلمية رجلان من أصحاب الفنون الجميلة وكبار الموسيقيين وقد مثلوا بعض الروايات الفرنساوية بمصر لتسلية الضباط، واشتغل الجنرال مينو بتشييد مسرح للتمثيل سماه :"مسرح الجمهورية والفنون"[٢]. وأقيم ذلك في حي الأزبكية بتاريخ ٢١/ أكتوبر عام ١٧٩٨م ومثلت فيه فرقة مسرحية بعض المسرحيات الفرنسية [٣]. يضيف الدكتور نجم نقلا عن الجبرتي :

---

[١] جاء محمد علي إلى مصر كقائد كتيبة الجيش العثماني عام ١٨٠١ وتولى مقاليد الحكم عام ١٨٠٥ وظل حاكما حتى ١٨٠٤٨ وتوفي عام ١٨٤٩م.

[٢] جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج -٤، ص :١٣٨-١٣٩

[٣] د/ محمد يوسف نجم/ المسرحية ، ص :١٨-١٩

"وفيه كمل المكان الذي أنشؤوه بالأزبكية عند المكان المعروف بباب الهواء، وهو المسمى في لغتهم بالكمدي، وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشر ليال، ليلة واحدة، يتفرجون به على ملاعيب يلعبها جماعة منهم يقصد التسلي والملاهي، مقدار أربع ساعات من الليل، وذلك بلغتهم، و لا يدخل أحد إليه إلا بورقة معلومة وهيئة مخصوصة "[١].

ولما تولى محمد علي باشا زمام الحكم (فترته : 1801-١٨٤٨) في مصر لم يهتم كثيرا بالمسرح والمسرحية إلا أن الجالية الفرنسية المتبقية في مصر ومن استقدمهم من الفرنسيين ظلوا يهتمون بهذا الفن ويفيدنا الدكتور يوسف نجم عن نشاطات تمثيلية استمرت في عهد محمد علي في مسرح الأزبكية فيكتب: "وباستطاعتنا معرفة شيء عما مثل في هذا المسرح، عن طريق إحدى الرسائل القنصلية الفرنسية المؤرخة في ٨ من نوفمبر سنة ١٨٢٩، وقد جاء فيها:

"حدد مواطنونا الفرنسيون مساء يوم ٣ الجاري، موعدا لافتتاح مسرح للهواة، وهو المشروع الذي أخذوا في الإعداد له منذ وصولي. وقد مثل بعض الشبان من الفرنسيين، وبعض الفتيات اللواتي ينتمين إلى أسرة فرنسية كريمة، مسرحية "المحامي باتلان" (l'Avocat Patelin)، ومسرحية "النهم المفلس" (Le Gastronome sans argent). وسبق تمثيل هاتين المسرحيتين مقدمة من الأبيات الشعرية، كتبها أحدهم، وقد روعي فيها السهولة والذوق"[٢] .

[١] عبدالرحمن الجبرتي- "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" – ج ٣ ص ١٤٩ نقلا عن د/ نجم : المسرحية، ص:١٩

[٢] المرجع السابق ص: ١٩-٢٠

وبعد مضي عدة سنوات فحسب يفيدنا جيراردي فرفال (Gerard de Nerval) وجود مسرح يدعى "مسرح القاهرة (Teatro de Cairo). وذكر بالتفصيل أنه كيف كان، وكيف كان الناس يزدحمون بمكان التمثيل. وكذلك وصف وصفا جميلا عن فرقة التمثيل.

ثم بدأ ينتشر التمثيل في مدن أخرى لمصر مثل الإسكندرية ولكن يجب أخذ الأمر في الحسبان أن المسرحيات وفرق التمثيل كانتا أوربية: فرنسية أو إيطالية وكذلك لغة المسرحية تكون الفرنسية والإيطالية.

ومع ازدياد إقبال الناس على هذا الفن الجديد في المجتمع المصري بدأت الفرق الأوربية تعرض مسرحياتها في المقاهي أيضا. ويكتب الدكتور نجم :"ونتيجة لتشجيع الجمهور، أخذ الهواة الفرنسيون يعملون، ويجدون في العمل، وليس ثمة ما يعرقل نشاطهم. وكانوا يتخذون من المقاهي، مسارح لإبراز نشاطهم".

"ففي مقهى الجران أوريان (Grand Orient)، مقهى الكزّار (El Cazar) كانوا يقدمون التمثيليات، وينشدون الأغاني. وكان ذلك يحدث في مسرح البالية رويال (Palais Royal) أيضا" (في القاهرة) [١].

وفي زمن سعيد باشا (١٨٥٤-١٨٦٣) والفترة التالية نالت المسرحية إقبالا وشيوعا أكثرفي مصر حيث إن مسرح الأزبكية الذي كان قد بني من كوخ خشبي في أحد أزقة الأزبكية، أعيد بناؤه على طراز أحسن في سنة ١٨٦٨، وأطلق عليه اسم "مسرح الكوميدي" (Theatre de la Comedie)، وفي سنة ١٨٦٩ بنيت دار الأوبرا الخديوية " (Theatre Khedivial de l'o) في القاهرة[١].

---

[١] د/ نجم : المسرحية ص ٢٤-٢٥

[١] د/ نجم : المسرحية في الأدب العربي الحديث ص:٢٥-٢٦

وكذلك شوهدت نشاطات تمثيلية في مدينة الإسكندرية ففي مسرح "زيزنيا" عرضت العديد من المسرحيات إذ أن الفرق اللبنانية والسورية حلت وقدمت المسرحيات إلى جانب الفرق التمثيلية الأوربية التي وردت هنا ومع مضي الوقت تحولت هذه المدينة إلى المحطة الثانية للمسرحية العربية.

وليكن واضحا أن التمثيليات التي عرضت في مختلف مدن مصر لم تكن بالعربية ولم يكن الفنانون والممثلون والممثلات من أصول عربية وإنما عرضت فحسب على أرض مصر من قبل الفرق الأجانب خاصة فرنسية. إلا أنها وفرت للمصريين فرصة لمشاهدة هذه التمثيليات وأحدثت فيهم رغبة شديدة لمزيد من المعلومات حول هذا الفن ونقلها إلى العربية لغة ومادة. وللبنانيين والسوريين فضل السبق في هذا المضمار ويقول جرجي زيدان عن هذا التطور: "لكن كله ذهب بذهابهم (الفرنسيين) وليس هو في كل حال تمثيلا عربيا، وكانت مصر أسبق بلاد الشرق إلى هذا الفن. لكنها تخلت عن ذلك إلى أختها سوريا."[١]

اكتسب الوعي التعليمي بمعناه الحقيقي في العالم العربي أولا في بلاد الشام (لبنان والأردن وسورية وفلسطين) لأن المبشرين المسيحيين الأجانب أضاؤوا شمعة العلم والفن فيها أولا ففي عام ١٨٦٨ فتحوا الكلية الأمريكية في بيروت وبعد وقت قليل أقاموا الكلية المسيحية ولهم دور ريادي في تعريف الشبيبة بالقصة القصيرة. وكانت مهمتهم إبلاغ تعاليم الدين المسيحي إلى عامة الناس فترجموا الكتب الدينية إلى العربية وجرى الحديث والنقاش حول المواضيع الدينية في المحافل الأدبية والصحافة واستمر لمدة طويلة ولعل هذا هو السبب أن الناس في الشام سبقوا في الصحافة والتمثيل (المسرحية).

[١] جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج-٤، ص:١٣٩

وأول من قام بتعريف العالم العربي بفن المسرحية هو مارون النقاش (١٨١٧-١٨٥٥م). كان تاجرا غنيا من أصل لبناني، يسافر إلى مختلف الدول الأوربية لأغراض تجارية. وكان يعرف اللغة التركية والفرنسية والإيطالية. وذهب إلى مصر في عام ١٨٤٦ ومن هنا إلى إيطاليا وخلال إقامته في أوربا وإيطاليا شاهد بعض المسرحيات والملهاة الغنائية (الأوبرا). وبعد العودة منها إلى وطنه ألّف فريقا من الممثلين وعلّمهم التمثيل وعرض خمس مسرحيات. وكتب هو ثلاثاً منها وكتب اثنتين منها أخوه نقولا النقاش. إنه قدم أول مسرحية له "البخيل" في بيته ببيروت في أواخر عام ١٨٤٧ وأوائل عام ١٨٤٨م وفي الحقيقة هذه المسرحية معتمدة على مسرحية موليير المسرحي الفرنسي الشهير جسدا وروحا. ثم قدم المسرحية الثانية "أبوالحسن المغفل أو هارون الرشيد" في عام ١٨٤٩م. وهي مسرحية فكاهية قد أعجبها الناس كثيرا ثم عرضها مرارا وتكرارا. وقدم آخر مسرحيته "الحسود السليط أو السليط الحسود" عام ١٨٥٣م وهي أحسن مسرحياتها من الناحية الفنية. وهي مسرحية اجتماعية أخلاقية كوميدية فقد أحسن في تقنية الحوار وكذلك صور الأدوار تصويرا أحسن وأسلوبه سهل وجذاب[١].

مارون النقاش لم يقم بتعريف العالم العربي بفن المسرحية فحسب بل كتب نفسه المسرحيات وعرضها في المسرح. وليس ذلك فحسب بل ترك خلفه أتباعه من كُتَّاب المسرحية وفريق الممثلين. وعلى سبيل المثال نقولا النقاش، سليم النقاش، أديب إسحاق، إبراهيم علي الأحدب، خليل اليازجي، سليم بطرس البستاني، نجيب الحداد، فرح أنطون وغيرهم [١].

---

[١] أرزة لبنان : مارون نقاش ، ص :٩-١٢

[١] المسرحية في الأدب العربي الحديث : د/ خليل الموسى ص ١٤-١٨

أما مصر فإن يعقوب بن صنوع (١٨٣٩-١٩١٢) قدم أول مسرحية في القاهرة في شهر يوليو عام ١٨٧٦م وكان قد تعلم فن المسرحية في إيطاليا حيث أقام فيها لمدة ثلاث سنوات وكان يعرف اللغات الأخرى أيضا. وفي غضون سنتين قدم ٣٢/ مسرحية فقد استعار بعضا منها من الآداب الغربية وصبغها بصبغة عربية وكتب البعض منها بنفسه. وعرض فيها القضايا الاجتماعية وتغلبت العامية على لغته. ولقيت قبولا ورواجا وسُر بها إسماعيل باشا، الحاكم المصري آنذاك(١٨٦٣-١٨٧٩) وشجعه على المضي قدما ومنحه لقب موليير مصر. ولكنه لما عرض مسرحيته "الوطن والحرية" التي كانت فيها نقدا خفيا للحاكم فغضبت منه الأسرة الحاكمة وفرض عليه إسماعيل حظرا.

ومعظم مسرحيات يعقوب ذو فصل واحد. وقد راعى فيها الضحك والإضحاك أكثر من جوانب الإصلاح الاجتماعي وله مسرحية اجتماعية شهيرة "الضرتان" حيث كان الزواجان تقليدا سائدا في مصر بذلك الوقت. وحاول أن يبرز ما يعاني الزوج وكذلك الزوجتان من مشاكل في الحياة الزوجية. وكذلك له مسرحية "الصداقة" وهي أيضا ذو فصل واحد وذات ثلاثة عشر مشهدا حيث أبرز فيها الصداقة والوفاء[١].

وخلال هذه الفترة بالضبط ورد سليم النقاش (١٨٥٠-١٨٨٤م) من لبنان إلى مصر. ورافقه فريق من الممثلين. وإنه كتب خمس مسرحيات منها الثلاث : "عائدة" و"الكذوب" و"مي أوهوراس" استمد موادها من الكورني وأما الإثنتين الأخريين: "غرائب الصدف" و"الظلوم" فقد استمد موادها من المسرحيات الأوربية الأخرى. واكتسبت مسرحياته هذه خاصة "عائدة" و "مي أوهوراس" و"الظلوم" شعبية كبيرة في مصر. أولاهما ملهاة وآخرها (الظلوم) ملهاة

[١] المسرحية : عمر الدسوقي ص ١٧-١٨

مأساوية. والدراسة التفصيلية توضح لنا أنه اتبع آثار قدم عمه مارون النقاش ولكن الذوق العربي يتجلى فيها أكثر من غيره لأن العرب يحبون المسرحيات الغنائية والرومانسية أكثر من غيرها وهذا هو اللون الغالب عليها[١].

شجع إسماعيل باشا سليم النقاش وبدأ عمله في الإسكندرية، ودعا صديقه أديب إسحاق هنا ليساعده. وكان أديب إسحاق قد ترجم مسرحية "اندروماك" لراسين ولما ورد إلى الإسكندرية عرضها في مسرح النقاش ثم قدم مسرحية "شارليمان" وأعجبها المصريون كثيرا. وفي النهاية إنهما تركا المسرح والمسرحية لصعوبات مالية وأسباب أخرى واتجها إلى مجال الصحافة.

وفي هذه الفترة توجه محمد عثمان جلال (١٨٢٩-١٨٩٤م) إلى المسرحية وكان يترجم من الفرنسية ويصبغها صبغة عربية مصرية ويقدمها للناس وكانت معظمها من مسرحيات موليير وسمَّى إحداها "الأربع روايات من نخب التيارات" كما سمَّى مسرحية أخرى لموليير بـــ"الشيخ متلوف". وعرضت في المسرح المصري مرات كثيرة. كما سمى مسرحية أخرى "النساء العالمات". و ترجم بعض مسرحيات راسين وسماها "الروايات المفيدة في علم التراجيدة". إنه جعل كل الشخصيات محلية وهزلية وكتبها باللغة العامية. وهكذا أدلى بخدمات جليلة في مجال المسرحية. ولقب بأبي المسرحيات الوطنية في العصر الحديث".

أحمد أبوالخليل القباني (١٨٣٣-١٩٠٢م) يعتبر مؤسس المسرحية في سورية. إنه عرض أكثر من ٣٢/ مسرحية أولا في دمشق ثم الإسكندرية ثم القاهرة. والباقي منها كتبها أو ترجمها الآخرون[١] .

---

[١] Early Arabic Drama : M M Badawi, ص ٥٣و٥٦

[١] المرجع السابق ص ٦٥

وفي شهر يونيو عام ١٨٨٤م جاء القباني وفريقه من دمشق إلى مصر. وبه دخلت المسرحية العربية في مرحلة جديدة. وقبل ذلك كانت المسرحية العربية محاكاة للمسرحيات الغربية حيث كانت معظمها مترجمة وتُقدم أمام الجماهير بعد تمصيرها. وتوجه القباني إلى التاريخ العربي الإسلامي وكتب مسرحية "عنترة" و"الأمير محمود" (ملك العجم) و"ناكرالجميل" و"هارون الرشيد" و"أنس الجليس" و"نفح الربى" و"الشيخ وضاح" وغيرها. وكان أسلوبه في هذه المسرحيات يتميز بالجودة ولغتها أقرب إلى الفصحى. وإنه استخدم النثر المسجع والشعر كليهما ولكن حبكة مسرحياته المترجمة كانت أحسن من المكتوبة.

ومن كتاب المسرحية البارزين الذين اختاروا موضوعاتهم من التاريخ العربي الإسلامي علي أنور الذي كتب "عنترة" وسمّاها "شهامة العرب". وطبعت في عام ١٩٠٢م.

ومنهم الشاعر الشهير الشيخ محمد عبدالمطلب الذي ساهم في هذه الحركة وكتب العديد من المسرحيات وساعده فيها محمد عبدالمعطي.

ولكنهما لم يفطنا لمقتضيات فن المسرحية ولم يتمكنا من الحفاظ عليها. إلا أن لغتهما أحسن وأحلى. وإنهما تقيدا بالوقائع والحوادث التاريخية أكثر بدلا من السير في عالم التخيل. ومن هذه المسرحيات "المهلهل أوحرب البسوس" و"امرؤالقيس". ونشرت في عام ١٩٦١م.

كما أن مصطفى كامل (١٨٧٤-١٩٠٨) استمد مواده من التاريخ العربي الإسلامي وكتب "فتح الأندلس" في عام ١٨٩٢م وموضوعه كما هو واضح التجسس والصراع بيــن العرب والروم خــلال فتح الأندلس. وقد كتبت مسرحيات أخرى في هذه الفترة وعلى سبيل المثال "حسن الوفاء والظهور بعد

الخفاء" التي كتبها حامد الصدر، ومسرحية "عجائب الأقدار"لمحمود واصف و"الحب الوجداني" لمحمد منتصر و"ابن زيدون" و"ولادة" لإبراهيم الطرابلسي في عام ١٨٦٨م. وفي هذه الفترة كتب أحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢م) الذي كان يدرس في باريس مسرحية تحت اسم "علي بك الكبير" وتغلب على مسرحيات هذه الفترة الموسيقى والغناء[١].

وتدخل المسرحية العربية في المرحلة الثالثة لتطورها فقد بدأت كتابة المسرحيات الاجتماعية بدلا من المسرحيات الغنائية وقام بهذا العمل الممثل الخبير، ألا وهو جورج أبيض (١٨٨٠- ١٩٥٩م) فإنه بعد حصول التدريب على أيدي الأساتذة المهرة للمسرحية في باريس جاء إلى مصر١٩١٠م. ولما كتب فرح أنطون مسرحيته "مصرالجديدة ومصرالقديمة" عرضها ومثلها جورج أبيض في عام ١٩١٣م على خشبة المسرح وبعد ذلك جرت سلسلة كتابة المسرحيات الاجتماعية وتعتبر "مصر الجديدة" منعطفا هاما في تاريخ المسرحية في مصر. وقصتها تدور حول تاجر شرير أجنبي يستغل الفلاحين المصريين بالخمر والنساء حيث وقع فلاح مصري أمي فريسة له. ونسي عائلته وأفسد نفسه. بينما شاب مصري مثقف ثري آخر ينجو من مكائده ومخادعه حيث يفطن لمكايده وخططه ولا يتبعه عشوائيا ويبتعد عن اللهو واللعب ويستمر في أعماله الجادة فلا يقع فريسة لذلك الخبيث المخادع وينجو من استغلاله.

وعلى نفس المنوال كتب فرح أنطون (١٨٧٤-١٩٢٢م) وإبراهيم الرمزي (١٨٨٤-١٩٤٩م) مسرحيات مثل "الحاكم بأمرالله" و"البدوية" و"قلب المرأة" وغيرها. ومثلها فريق من الممثلين الذين تدربوا في باريس الذي كان يتكون من عزيز عيد و عبدالرحمن رشدي وغيرهما. وخلال هذه الفترة ترجم

---

[١] المسرحية : عمر الدسوقي : ٢١-٢٤

خليل مطران(١٨٧٢-١٩٤٩م) مسرحيات شكسبير إلى العربية مثل "عطيل" و"ماكبث" و"هموليث" و"تاجرالبندقية" وغيرها.

وفي هذه الفترة أثيرت قضية اللغة أيضا. وجرى النقاش الحاد هل تستخدم في المسرحية العامية أم الفصحى؟ وتم التوصل إلى حل أن لأدوار المثقفين أو الطبقة العليا تستخدم اللغة الفصحى وللجهال أوالأميين أو عامة الناس تستخدم العامية. وتناول هذا الموضوع فيما بعد ميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٨٨م) حيث استخدم في مسرحيته "الآباء والبنون" لأدوار المثقفين الفصحى وللفئة غير المثقفة العامية. ونشرت هذه المسرحية في نيويورك وعرض فيها عام ١٩١٨م.

وقد بلغ الصراع بين العامية والفصحى إلى درجة أن مدرسة من المسرحيين استخدمت العامية في مسرحياتها. وأبرزهم محمد تيمور(١٨٩٢-١٩٢١م). ثم اتبع آثاره الأدباء الآخرون مثلا أحمد خيري سعيد (من مواليد ١٨٩٤م) ومحمود تيمور (١٨٩٤-١٩٧٣م) وحسن فوزي (من مواليد ١٩٠٠م) وغيرهم.

وأدباء هذه المدرسة شددوا على الجوانب الواقعية والتحليلية تشديدا أكثر. فقد كتب محمد تيمور أول مسرحيته "العصفور" والتي عرضت لأول مرة في باريس عام ١٩١٨م. وهي مسرحية كوميدية اجتماعية. وتبرز مساوئ الشدة والبخل وقصرالنظر في تربية الأولاد. وبعد ذلك عرضت مسرحية "عبدالستار أفندي" في ديسمبرعام ١٩١٨م والملهاة الغنائية "العشرة الطيبة" عام ١٩٢٠م و"الهاوية" في شهر إبريل عام ١٩٢١م.

ومن خصائص هذه المسرحيات أن المسرحية من حيث الفن تقدمت إلى الأمام حيث تحسنت الحبكة والأحداث والعقدة والحل والعرض. كما أن أسلوب وطراز هذه المسرحيات ظل واقعيا وتحليليا.

وقد استعرض الدكتور مصطفى بدوي مسرحيات إبراهيم الرمزي(١٨٨٤-١٩٤٩م) من بين هذه المسرحيات بقدر من التفصيل وأثنى عليها فيقول : كان الرمزي مكثر التأليف، أديبا، مسرحيا وروائيا ومترجما بارعا. إن أعماله لا تشمل على ترجمة المسرحيات فحسب بل التاريخ وعلم الاجتماع والأخلاق والعلوم وغيرها. فإنه ترجم مسرحيات شكسبير King Lear و The Taming of the Shrew ومسرحية شيريدان Pizarro ومسرحية برنارد شو Caesar and Cleopatra ومسرحية أبسن An Enemy of the People وغيرها.

وكتب الرمزي المسرحيات الملهاة بالعامية وكتب المسرحيات التاريخية والجادة بالفصحى. إنه كتب أول مسرحيته "الحاكم بأمرالله" وهي مسرحية تاريخية. والأمر جدير بالذكر أن الرمزي استمد كافة موضوعات مسرحياته من تاريخ مصرالماضي والحاضر وقضاياها.

إضافة إلى ذلك، كتب الرمزي ست مسرحيات تاريخية، وأربع ملهاة اجتماعية ومسرحيتين جادتين. وإلى جانب الحاكم بأمرالله، إنه كتب مسرحيات تاريخية مثل "أبطال المنصورة" و"بنت الإخشيد" و"البدوية" و"شاويرابن مجير" و"إسماعيل الفاتح" وغيرها. ومن مسرحياته المضحكة "حمام مش زي خروجه" و"اوبال الأحباء" و"أبوخواند والخطيبة" ومن مسرحياته الجادة "صرخة الطفلة" و"بنت اليوم" و"الفجر الصادق" وغيرها.

وتعتبر مسرحيات الرمزي "حمام مش زي خروجه" (الدخول في الحمام ليس بأصعب من الخروج منه) و"أبطال المنصورة" من أحسن مسرحياته التي تنم عن مقدرته على كتابة المسرحية ومهارته الفنية ويبرز دوره في تطويرالمسرحية وترويجها في مصر بطريقة أحسن. وآخر الذكر منها ليس

بمسرحية تاريخية ناجحة فحسب بل هي مملوءة بالأحداث الدراميتيكية. وكل أدوارها مقنعة. وكتبت باللغة الفصحى وهي خالية من الصنعة والسجع والقافية التي كانت سائدة في مسرحيات تلك الفترة. و"أبطال المنصورة" هي مسرحية مصرية معاصرة حول الموضوع الوطني. وفي الحقيقة هي مسرحية مصرية حديثة ممتازة وتستحق بالتقدير والتشجيع أكثر مما حصلت حتى الآن. ونظرا لمسرحية "أبطال المنصورة و"حمام مش زي خروجه" يمكن القول بسهولة أن المسرحية المصرية وفت بمقاييس الزمن ."[١].

واتبع عباس علام نفس الأسلوب في مسرحياته مثل"الشريط الأحمر" و"شقاء العائلات"وغيرها وكذلك حسين رمزي في مسرحياته "الضحايا وطريدالأسرة". واتبعه محمود تيمور(١٨٩١- ١٩٢١) وكتب مسرحياته أولا بالعامية مثل "الصعلوك" و"أبوشوشة" و"الموكب" ثم مال عنها إلى الفصحى وأعاد كتابتها بالفصحى.

وافتتح يوسف وهبي (١٨٩٨-١٩٨٢م) مسرح رمسيس في ١٠/مارس عام ١٩٢٣م وهي كانت مدرسة مسرحية قدمت ٢٢٤/مسرحية، كانت معظمها مترجمة من الآداب الغربية أو مأخوذة منها وكانت من نوع مسرحية شبه ملهاة (ميلو دراما). وأشهرالمسرحيات التي عرضت في مسرح رمسيس هي "الذبائح" و"أولاد الذوات" و"أولاد الشوارع" و"كرسي الاعتراف" و"بهوات الريف" و"جوهرة في الوحل" وغيرها[١].

وفي قائمة كُتَّاب المسرحية يتلألأ اسم نجيب الريحاني (١٨٨٩-١٩٤٩م) كالجوهر في سلسلة ذهبية. إنه قطع شوطا بعيدا في فن المسرحية وقدم مسرحياته باللغة العامية. وساعده في ذلك صديقه بديع خيري.

---

[١] Early Arabic Drama : MM Badawi ص ٧٤-١٠١

[١] قاموس الأدب العربي الحديث : د/ حمدي السكوت ، ص ٦٢٨

وخلال هذه الفترة شكلت الحكومة المصرية لجنة للمسرحية وجعلت كبارالشخصيات والأدباء عضوا لها مثل أحمد ماهر ومصطفى عبدالرزاق وطه حسين وتوفيق الحكيم وخليل مطران وغيرهم وأنشأت معهدا للمسرحية وعَيَّنت زكي طليمات مديرا لها حيث كانت تُعلَّم فيه مبادئ وأسس المسرحية.

ومن أهم وأبرز كُتَّاب المسرحية النثرية توفيق الحكيم (١٨٩٨-١٩٨٧) الذي بفضل مجهوداته الدؤوبة المشكورة نهضت المسرحية العربية إلى المستوى العالمي. وشرع الحكيم يبدي اهتمامه بالفنون الجميلة وخاصة المسرحية في بدايات عمره. إنه كتب في عام ١٩٢٢م بعض المسرحيات التي عرضها فريق عكاشة على خشبة المسرح مثل "المرأة الجديدة" و"العريس" و"خاتم سليمان" و"علي بابا". ثم ذهب إلى باريس وشاهد المسرحيات ودرس فن المسرحية و في عام ١٩٢٨م رجع إلى وطنه وكتب عام ١٩٣٣م "أمام شباك التذاكر" و"أهل الكهف" وواصل توفيق عطاءاته حتى بلغ بها إلى قمة السمعة. ويكتب الدكتورأدهم: " إن توفيق الحكيم قد نجح في أن يرتفع بفن المسرحية إلى أفق أعلى من المستوى العادي للمسرحية في الآداب الأوربية، إلى مستوى يقف جنبا إلى جنب مع آثارالطبقة الثانية والثالثة من أدباء الغرب. فالمسرحيتان : "شهرزاد" و"الخروج من الجنة" لا يقلان في مستواهما الفني عن آثار الطبقة الثانية في الآداب الأوربية". ومن هنا يمكننا أن نقول : إن مصر بمحاولات توفيق الحكيم حازت قصب السبق في ميدان الفن المسرحي على بقية بلدان العالم العربي. وارتفعت بالأدب المصري من الحدود المحلية إلى آفاق رحيبة، وليس أمام الأدب المصري إلا بضع خطوات يخطوها إلى الأمام لتجد لأدبها المسرحي مكانة عالية بين آداب الأمم" [١].

[١] الفنان الحائر : توفيق الحكيم ص ٣٤ نقلا عن المسرحية : عمر الدسوقي ص :٣٥

ويقول عمر الدسوقي إن مسرحية أهل الكهف رسخت قدمي توفيق الحكيم في ميدان المسرحية بل أعطته مكانا ممتازا في مجال المسرحية.

ولتوفيق مسرحيات كثيرة فالبعض منها مسرحيات اجتماعية ومعظمها مسرحيات متنوعة مثلا "سر المنتحرة" و"حياة تحطمت" و"رصاصة في القلب" و"الأيدي الناعمة" و"الخروج من الجنة" و"صاحبة الجلالة" و"المرأة الجديدة" و"الصندوق" و"الزمار" و"جنسنا اللطيف" و"نهرالجنون" و"الشيطان في خطر" و"دقت الساعة" و"لكل مجتهد نصيب" و"بين الحرب والسلام" و"أمام شباك التذاكر" و"نحو حياة أفضل" و"صلاة الملائكة" وغيرها. هذه مسرحيات متنوعة بعضها هزلية والأخرى جدية. كتبت بعضها بالعامية والأخرى بالفصحى. وبعضها نفسانية والأخرى اجتماعية وريفية وسياسية. وهذه إضافة إلى مسرحياته الذهنية مثل "شهرزاد" وغيرها.

واستمر توفيق الحكيم في هذا السفر لمدة ثلاثين عاما وحاول أن يملأ الفراغ الذي يوجد في هذا المجال ويوصله إلى المستوى العالمي. ويقول بنفسه : "هنا إذا سِــرّ رحلتي القلقة في كل الجهات فأنا أحاول في قلق جنوني أن أسارع إلى ملأ بعض الفجوة على قدر إمكاني وجهدي. وأنا أقوم في ثلاثين سنة برحلة قطعها الأدب المسرحي في اللغات الأخرى في نحو ألفي سنة"[١].

وعلّق عليه عمر الدسوقي قائلا:" لقد استطاع توفيق الحكيم بهذا الجهد الكبير أن يرسي قواعد المسرحية النثرية في أدبنا العربي وأن يسد الفراغ في كل الجهات ومن ثم كان انتقاله إلى موضوعات متنوعة وهو يعد اليوم الكاتب

[١] المسرحية لعمر الدسوقي ص ٤١

الأول للمسرحية النثرية في العالم العربي غير مدافع من حيث خصوبة نتاجه وجودته وتنوعه"[١].

وفي هذه الحقبة من الزمن لم يتبع الأدباء العرب في كتابة المسرحية مدرسة معينة لا الكلاسيكية ولا الرومانسية. بل اتبعوا إلى قدر ما المذهب الواقعي وكل المسرحيات الغربية التي أعجبتهم وبدت لهم ملائمة مع الذوق العربي والمصري، ترجموها إلى العربية وكتبوا مسرحيات أخرى على منوالها. وهكذا كتبوا مسرحيات مأساوية وكوميدية. وتقدم يوسف وهبي إلى الأمام وكتب مسرحيات مستمدا موادها من الأدب العربي الخالص وجعل موضوعاتها القضايا الاجتماعية والتي تعكس الوجدان (المشاعر) والواقعية كلتيهما. كما أن توفيق الحكيم كتب مسرحيات تعتمد على المثالية والواقعية والتحليل. ولو أن فلسفته كانت أن الشرق يجب أن يتعلم أحسن ما يوجد لدى الغرب بدون أن يضيع روحه الشرقية.

وفي مجال المسرحية النثرية يعد علي أحمد باكثير(١٩١٠-١٩٦٩م) ثاني أكبر مسرحي بعد توفيق الحكيم. واتبع آثار توفيق الحكيم وكتب مسرحيات تاريخية واجتماعية وأخلاقية حول موضوعات مختلفة بالشعر والنثر كليهما. على سبيل المثال "أخناتون ونفرتيتي" و"قصرالهودج" و"مأساة أوديب" و"امبراطورية في المزاد" و"سر الحاكم بأمر الله" و"السلسلة والغفران" و"مسمار جحا" و"جلفدان هانم" و"شيلوك الجديد" وغيرها. وقد اشتهر باكثير لمسرحياته النثرية وترك للأجيال القادمة تراثا أدبيا غنيا وراءه.

---

[١] نفس المرجع ص ٤٢

المسرحية الشعرية في الأدب العربي الحديث:

أول من كتب المسرحية الشعرية بالعربية هو خليل اليازجي (١٨٥٦-١٨٨٩م) ومسرحيته "المروءة والوفاء" وعرضها في مسرح بيروت عام ١٨٨٨م. وتدور حول ملك حيرة النعمان. ثم قام محمد عثمان جلال (١٨٢٨-١٨٩٨م) بترجمة بعض المسرحيات الغربية بالشعر العربي. ولكنها لم تبلغ في لغتها وبيانها مستوى اليازجي. ولما جاء أبوخليل القباني إلى مصر جعل التاريخ العربي الإسلامي موضوعا له وكتب مسرحية بالشعر أحيانا وبالنثر أخرى. وكذلك استخدم سليم النقاش في مسرحيته "الظلوم" اللغتين :الشعر والنثر.

واستمرت اللغة المزيجة من الشعر والنثر في المسرحية العربية فقد اتبع محمود واصف نفس الأسلوب في مسرحيته "عجائب الأقدار" ثم اتبعه مصطفى كامل في مسرحيته "فتح الأندلس". و في بداية حياته اتبع احمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢م) نفس الأسلوب في انتاجيه الأدبيين وهما مسرحية "ورقة الآس" و"داسياس".

وكتب أحمد شوقي أول مسرحية : "علي بك الكبير أو دولة المماليك". ثم توجه إلى الشعروالشاعرية تاركا وراءه عالم المسرحية. ولكنه مال في أواخر أيام حياته إلى المسرحية وكتب عدة مسرحيات تاريخية مثل "كليوباتره" و"مجنون ليلى" و"عنترة" و"قمبيز" و"علي بك الكبير" سالفة الذكروغيرها. وفي مجال المسرحية حاول شوقي أن يتبع خطوات أسلافه ثم اتبع طريق التجديد والابتداع. وتأثر شوقي بالأدباء الغرب مثل كورني وراسين وموليير وهيجو وشيكسبير. ومتبعا آثار أقدامهم انتقى موضوعات مسرحياته من تاريخ مصر والعرب. إلا أنه كتب مسرحية اجتماعية أيضا وهي "الست هدى". وهي

مسرحية ملهاة فكاهية نالت قبولا واسع النطاق وبها اعترف الأدباء بالمقدرة الفكاهية الكائنة في شوقي. ويكتب عنه عمر الدسوقي:

"وقد كان شوقي – بحق– أول من وضع مسرحية جيدة السبك رصينة فيها شيء من الفن المسرحي وعليها طابع الأداء الرفيع شعرا وبذلك عُــدَّ عمله هذا فتحا جديدا لاسيما وقد توالى نتاجه المسرحي وفي كل مرة يخطو نحو الكمال الفني خطوات ولايزال شوقي على الرغم من انقضاء اكثر من ثلاثين عاما على وفاته يقف وحده في هذا الميدان وكل المحاولات التي بذلت للحاق به لم تكلل بالنجاح التام"[١].

وبعد شوقي نهض جماعة من الشعراء واتبعوا خطواته. ومن أبرزهم عزيز أباظة (١٨٩٩–١٩٧٣م) الذي توجه الى التاريخ الإسلامي وكتب مسرحيات شعرية. وقدم "قيس ولبنى" عام ١٩٤٧م والعباسة عام ١٩٤٥م و"عبدالرحمن الناصر" عام ١٩٤٧م على خشبة المسرح. وكان عزيز أباظة يرى شوقي إماما وأستاذا له في المسرحية. فإنه استفاد من تجاربه استفادة تامة ومن جانب آخر كان في اتصال مستمر مع أصحاب المسرح والممثلين وتعلم منهم قواعدها وأسسها. ويكتب د. مصطفى بدوي عن عزيز أباظة: "كسر عزيز أباظة سكوته فجأة في عام ١٩٤٣م إذ أصيب بصدمة عنيفة بوفاة زوجته وجرت دموعه تذرافا على عارضيه وبقالب شعري في المسرحية وقدم أول مسرحيته الشعرية "قيس ولبنى". وهي قصة حب قيس بن ذريح مع لبنى التي ينجح في الزواج معها. قيس هوالابن الوحيد لأبويه وبكون زوجته عقيمة لم تنجب ولدا له بعد، تحتال أمها وتجبر ابنها على أن يتزوج مع امرأة أخرى ليستمر النسل. وأخيرا يستسلم قيس لرغبة أمه ولكنه لم يستطع أن ينسى لبنى وينزع حبها من

[١] نفس المرجع ص :٥١

قلبه. ويتيه مجنونا في حبها وعشقها. وبالتالي يتخذ حيلة أن يستخدم حسن وساطة شخص بالغ النفوذ أن يرضي زوجها أن يطلقها ثم يتزوجها مرة ثانية. وبعد ذلك كتب عزيز أباظة العديد من المسرحيات التاريخية وشبه تاريخية. فالعباسة هي مسرحيته الثانية. "العباسة" هي أخت هارون الرشيد وهي تحب وزيره البرمكي جعفر حبا جما وكان من أصل فارسي ولا يمت بصلة مع أسرة الخليفة ورغم ذلك زوّجها هارون منه ولكن زوجة هارون عارضت هذا الزواج بشدة وظهرت نتائجها بشكل اجتثاث آل البرامكة. و"الناصر" هي مسرحية تاريخية له. هي عن الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر(٩١٢-٩٦١م) في الأندلس. وتاريخه الباهر وإنجازاته الرائعة وكذلك الفساد في البلاط وقتال أخويه للعرش والحب والعنف ومكائد خدامات حرم الخليفة وعدم الوفاء بالوعود فإنه صور هذه الأمور أحسن تصوير. و"شجرة الدر" هي مسرحية أخرى له. فهي عن ملكة مصر المحنكة التي سعت للحفاظ على حكومتها في القرن الثالث عشر للميلادي سعيا كبيرا. و"غروب الشمس" وهي أيضا مسرحية تاريخية فهي قصة عن زوال دولة المسلمين في الاندلس الذي حدث بسبب تدهور الأحوال الخلقية للمسلمين والفوضى السياسية. و"شهريار" هي مسرحية مبنية على قصة شهرزاد في ألف ليلة وليلة. و"قافلة النور"هذه قصة ظهورالإسلام في الجزيرة، وقبول الناس الإسلام سرا في الحيرة المنطقة المتاخمة على حدود إيران وثورتهم ضد الحكومة الإيرانية. وموضوعه الرئيسي انتشارالإسلام حيث أضيف إليه حكايات وقصص عن الحب والعشق، الشجاعة والفروسية، المكائد والخداع والعنف والثأر وما إلى ذلك. كما كتب أباظة مسرحية" قيصر" بناءً على مسرحية شيكسبير Julius Caesar وفي هذه المسرحيات اتبع خطوات أحمد شوقي مثل تلميذه البار ولا يبدو فيها أية إضافة جديدة في تطور الفن المسرحي ولكن له

مسرحيتان أخريان وهما "أوراق الخريف" و"زهرة" فقد بلغ فيهما الفن المسرحي إلى قمته. وهما مسرحيتان اجتماعيتان حول الحب والعشق. وفيهما أحسن الحبكة وتصويرالأدوار، كما يوجد الصراع والاشتياق على وجه أتم وهي تشكل العناصر الفنية لأية مسرحية ناجحة وتوصلها إلى درجة الكمال. فهي توجد بصورة متوازنة حسنة فيهما ولهما رسالة اجتماعية واضحة [١].

ومن أتباع أحمد شوقي الشاعر الكبير محمود غنيم (١٩٠٢-١٩٧٢م).إنه قدّم ثلاثة دواوين شعرية. منح جائزة من قبل مجمع اللغة العربية بمصر في عام ١٩٤٧م ومن قبل الدولة في عام ١٩٦٢م. وإلى جانب ذلك كتب خمس مسرحيات شعرية : "المروءة المقنعة" و"الجاه المستعار" و"غرام يزيد" و"يومان للنعمان" و"النصر لمصر". فالمروءة المقنعة وغرام يزيد من أحسن مسرحياته. وهما مسرحيتان تاريخيتان ومن خصائص مسرحيات محمود غنيم أنها كُتِبَتْ بلغة فصحى سهلة واستخدمت فيها البحورالصغيرة ولغة الحوار فيها حلوة ومملوءة بالموسيقى [٢].

وممن يندرج في هذه الفئة بعض الشعراء المرموقين الآخرين وعلى سبيل المثال على عبدالعظيم فإنه كتب مسرحية "وَلادة" ومنح عليها جائزة الدولة من قبل وزارة المعارف بمصر. ومن بين هؤلاء الشعراء المسرحيين علي أحمد باكثير (١٩١٠-١٩٦٩م) فإنه كتب العديد من المسرحيات الشعرية مثلا قصر الهودج ثم حاول أن يكتب على طراز شيكسبير بالشعر المرسل حيث كتب أخناتون ونفرتيتي ولكن بعد وقت قليل إنه أحس بأن المسرحيات النثرية أكثر تأثيرا وشيوعا في الناس في الزمن الحاضر فعكف على كتابة المسرحيات بالنثر. وأتى بإنتاجات ثرة نالت إعجاب الناس عبر العالم.

---

[١] Modern Arabic Drama in Egypt : MM Badawi ص :٢١٥-٢١٧

[٢] قاموس الأدب العربي الحديث : د/ حمدي السكوت، ص ٥٤٧

وممن حالف الحظ والنجاح في مجال المسرحية عبدالرحمن الشرقاوي (١٩٢٠-١٩٨٧) كان شاعرا عظيما وروائيا بارعا ومسرحيا كبيرا وكاتب السيرة الحاذق. كتب العديد من المسرحيات الشعرية وبرز كرائد في مجال المسرحية ولمسرحياته ميزتان خاصتان يفوق بهما على عزيز أباظة. أولاهما إنه لم يستخدم كلمات وجمل ثقيلة تقليدية كما شوهدت في مسرحيات أباظة. والشيء الثاني أن شخصياته لا تنتميان إلى الطبقة العليا من المجتمع وبالصراحة إلى الأسر الحاكمة والملكية بل ينتمون إلى طبقة العوام والجماهير الذين يجتهدون ويكدون لحياة بسيطة في المجتمع. وقد نالت مسرحيته "مأساة جميلة " سمعة واسعة. وبعد ذلك واصل كتابة المسرحية فإنه أتى بمسرحية "الفتى مهران" من أجمل وأحسن مسرحياته. ثم كتب "ثأر الله" و"الحسين ثائرا" و"الحسين شهيدا" و"النسر الأحمر" و"وطني عكا" و"عرابي زعيم الفلاحين" وغيرها [١].

صلاح عبدالصبور (١٩٣١-١٩٨١م) يحتل مكانا مرموقا في ما بين الشعراء العرب الجدد. ويعد من فئة شعراء نازك الملائكة وبدرشاكر السياب وعبدالوهاب البياتي وخليل حاوي وأدونيس. ولما غامر ببحر المسرحية أدهش العالم بمسرحياته الشعرية. وأول مسرحيته "مأساة الحلاج". ثم كتب العديد من المسرحيات مثل "مسافر ليل" و"الأميرة تنتظر" و" ليلى والمجنون" و"بعد أن يموت الملك" صدرت واحدة بعد أخرى. وكلها كتبت بالشعر الحر. كما أن صلاح عبدالصبور ترجم بعض المسرحيات الغربية مثل مسرحية إبسن (Henrik Ibsen) (١٨٢٨-١٩٠٦م) The Master Builder تحت اسم "سيد البنائيين". ومسرحيات المسرحي البريطاني من أصل أمريكي T. S. Iliot (١٨٨٨-١٩٦٥) The Cocktail Party"حفل كوكتيل" ومسرحية

[١] قاموس الأدب العربي الحديث : د/ حمدي السكوت ، ص : ٣٢٣-٣٢٤

الشاعرالإسباني والمسرحي الكبير غارسيا لوركا Garcia Lorca (١٨٩٨-١٩٩٦م) "يرما" (Yerma) ترجمها وذلك بالتعاون مع وحيد نقاش[١]. ومن مزايا مسرحياته أنه يوجد في مضامينها ربط فطري عميق وتطور مسرحي كبير وتجنب الموسيقى غير الضرورية. وأسلوبه يتميز بتحليل فلسفي. وتتجلى في مسرحياته ومضات الماضي على الحاضر. وتحمل مسرحية مأساة الحلاج ومجنون وليلى أهمية قصوى. كما تبدو آثار ت إيس إيليوت في مسرحياته[٢].

ولاشك في أن المسرحيات الشعرية والنثرية هذه تراث أدبي قيم محفوظ في خزينة الأدب العربي. إلا أن الأدباء في السبعينات قللوا من الاهتمام بالمسرحية. وكذلك الحرب العربية –الإسرائيلية عام ١٩٦٧م ثم فقدان الحرية في الدول العربية وازدياد القوى المستبدة تركت آثارا سلبية على نفسية المسرحيين. ثم ظهورالسينما وشاسة التلفزيون البراقة سحرت أعين الناس وسيطرت أذهانهم وجذبت قلوبهم فإن المسرحية التي كانت فنا محببا تقطع أشواط الرقي حتى الستينات قلّ سناها وفقد لمعانها. إلا أنها لا تزال حية مقبولة لدى الجماهير كفن من الفنون الجميلة.

المصادر والمراجع

١- أ. نيكول، : المسرحية العالمية ، الجزء الأول، نقلها إلى العربية : عثمان نويه: ، الناشر: هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، الطبعة الأولى-٢٠٠٠م.

٢- نقاش ، مارون ، : أرزة لبنان ، طبع بالمطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٦٩.

[١] كتبت الأسماء الإنكليزية بمساعدة المواقع الإليكترونية مثل فيكي بيديا وغيره.

[٢] قاموس الأدب العربي الحديث : د/ حمدي السكوت ، ص: ٢٩٤

٣- نجم، الدكتور محمد يوسف، : المسرحية في الأدب العربي الحديث، دار صادر للطباعة والنشر، ص.ب. ١٠/ بيروت، لبنان ، عام الطباعة ١٩٩٩م.

٤- نقاش، مارون،: أرزة لبنان ، طبع بالمطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٦٩م.

٥- الدسوقي، عمر،: المسرحية : نشأتها وتاريخها وأصولها، دارالفكر العربي، القاهرة –مصر(عام الطباعة غير مذكور).

٦- زيدان، جرجي، : تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الرابع، دار الهلال، القاهرة، مصر (عام الطباعة غير مذكور)

٧- الموسى، الدكتور خليل، : المسرحية في الأدب العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.

٨- السكوت، الدكتور حمدي،: قاموس الأدب العربي الحديث، دارالشروق، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م.

٩- الراعي، الدكتور علي،: المسرح في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٨٠م.

١٠-حجازي، حسين سليم،: خيال الظل وأصل المسرح العربي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق ١٩٩٤م.

١١-مندور، الدكتور محمد،: مسرح توفيق الحكيم، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.

١٢-رحماني، عشرت،: اردو دراما كا ارتقاء (باللغة الأردية) ايجوكيشانال بك هاؤس، جامعة علي جراه الإسلامية ، مدينة علي جراه ، ولاية اوتار براديش الهند، عام الطباعة ٢٠٠٦م.

13- Nicoll. A.,: World Drama, published by Harcourt Brace, new York, 1950.
14- Hudson, William Henry: An Outline History of English Literature, published by K.S. Mani for B.I. Publications Pvt Litd New Delhi-110001, 1995.
15- History of English Literature: Legouis & Cazamian's: History of English Literature, published by Macmillan India Litd. 2/10 Ansari Road, Daryganj, New Delhi, 110032, 1st India Edition 1981.
16- Boulton, Marjorie: The Anatomy of Drama, published by Routledge & Kegan Paul Ltd, Broadway House, 68-74 Carter Lane, London.
17- Badwi, M.M. : Modern Arabic Drama in Egypt, Cambridge University Press, Cambridge, 1987.
18- Badwi, M.M. : Early Arabic Drama, Cambridge University Press, 1988.
19- Oxford Advanced Learner's Dictionary, (New Edition).
20- www.cwu.edu/theare in France 1500-1700
21- www.litera1no4.tripod.com/dramahistory

***

الزمن اللا آدمي
قراءة في رواية أيام الماعز

محمدعلي الوافي كرواتل*

شهد معرض الرياض الدولي للكتاب لبداية قراءة نقدية لنظام كفيلي تسيطر شدته وعنفه على العمال الوافدين إلى الخليج من مختلف أنحاء العالم، وذلك إثر صدور الرواية أيام الماعز. ورواية آيام الماعز رواية حقيقية عانى شدة أيامها عامل هندي يدعى نجيب. وقد كتبها الأديب الهندي 'دانييال بنيامين' المسيحي بالديانة، في اللغة الماليالمية (Malayalam) لغة محلية في ولاية كيرالا / جنوب الهند، باسم آدجيفيتام (Adu Jeevitham). وقد تم نشرها أولا كسلسلة في'مجلة أسبوعية لماتربهومي (Mathrubhumi Weekly). وتولى نشره في اللغة العربية مكتبة آفاق الكويتية وتقع الرواية في ٢٠٠ صفحة في الحجم المتوسط.

وهذه الرواية قد نجحت في جلب القارئين إلى صفحاتها، ولقيت قبولا حسنا في أوساط القارئين في الهند، ومما يشير إلى قبولية هذه الرواية بين سكان أهل كيرالا الذين يمثلون الأغلبية في الخليج العربي أنها طبعت في اللغة المحلية ــ الماليالمية ــ أكثر من خمس وسبعين مرة، وصارت حديث الناس في المجالس والمنتديات ووسائل الإعلام وغيرها في كيرالا. وقد

* الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية / جامعة جواهرلال نهرو نيودلهي ــ الهند

حققت هذه الرواية صدارة الكتب الأكثر مبيعا في كيرالا بل في الهند. وقد تُرجمت الرواية إلى عدة لغات مثل الإنجليزية والتاميلية(Tamil) والهندية(Hindi)، وقد لقيت من أهاليها قبولا يشابه ما لقيت من أهل كيرالا. وقام بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية (Goat Days) الأستاذ الدكتور جوسيف كويفالي(Joseph Koyippalli) ــ أستاذ في الجامعة المركزية بكاسركود (Kasargode Central University, Kerala, India). ومما يشير إلى جودة الرواية أنها حازت الجوائزة الكثيرة من ولاية كيرلا (Kerala) بل من الهند وحتى من الخارج، وأصبحت ضمن قائمة أفضل المبيعات في طبعتها الأصلية المالايالامية (Adu Jeevitham)، وفازت بجائزة أكاديمية ساهيتا- كيرالا(Kerala Sahithya Academy Award)، وسبق أن حاز المؤلف على جائزتين أدبيتين في أبو ظبي. وقد رشحت ترجمتها الإنجليزية لجائزة Man Asian Literary Prize ضمن ١٤ عملا أدبيا لكبار الكتاب أمثال أوخان باموق (Orhan Pamuk) وهيرومي كاواكامي (Hiromi Kawakami)، ولجوائز أخرى كثيرة داخل الهند وخارجها. وهو نجاح كاسح لم يحققه مؤلف هندي قبله فيما أعلم، ووُضعت الرواية في المقرّر الدراسي بعدد من الجامعات والمدارس الثانوية في الهند.

وقبل الدخول إلى أيّام نجيب (الشخصية المحورية) لابد من إبراز الدافع الذي دفع الكاتب إلى الكتابة، ويبين الكاتب خلفية الرواية في كلمته الأخيرة:

"ذات يوم، لقيت صديقي 'سنل' يخبرني بالصدفة عن رجل يدعى نجيب.. بالنسبة لي، كانت حكاياته حينها مجرد قصة من تلق القصص 'الخليجية' الكثيرة التي سبق أن سمعتُها بألوان وأشكال مختلفة.. طبعا ما

أخذتها بعين الاعتبار. ولكن صديقي لم يزل يلحّني على زيارة نجيب والتحدث والاستماع إليه، والكتابة عنه إن أمكن ذلك. وشجعني بأن تجربته درس عظيم لنا، ونحن نتدهور منهوكي القوى أمام أيسر معضلة تتحدّانا.

وقد زرته يوما.. رجل بسيط.. كان منقبض الوجه حينما أجابني على سؤالي عن التجربة قائلا: "إنها مضت في بعيد الزمان.. وقد نسيتها كلها.." ولكنني لم أزل وراءه ألحّه حتى أخذ يحاكي تلك الحياة بهدوء، وأخذت الأحداث التي كانت تهجع في غياهب النسيان تتراءى نصب عينيه في صورة أرعبتني قساوتها. فيما بعد، زرت نجيب مرارا.. تحدث إلي لساعات.. تمشيت معه في دروب تلك الحياة أتفحص كل معالمها.. تَبيَّن لي أن جميع القصص التي سبق أن سمعتها كانت سطحية مبهمة بعيدة عن واقع الحياة.. وفي زيارتي الأولى، ما كنت أردت أن أستوحي قصة من حياة نجيب.. إنما حثّني على سماعه فضولي في التعرف على رجل لامس واقعا غريبا مرّا..

ولكن حينما عرفت تلك الحياة أكثر، لم أكد أملك إلا أن أكتب عنها.. وهناك ملايين الكيراليين يقضون حياتهم في البلدان الخليجية، ورجع إلى الوطن الملايين الآخرون بعد أن ضحوا فيها بحياتهم... وكم منهم فعلا عاشوا قساوة الصحراء..؟ ولم أكن في حاجة إلى اختلاق خيال بعيد أو إلى تطريزات تزيد متعة القراءة، لأن حياة نجيب تستأهل القراءة بدونها. وهذه ليس بقصة نجيب بل حياته كالإنسان الماعز"

موضوع الرواية

وتدور فكرة الرواية حول ظاهرة 'الحنين إلى الوطن' أساسيا كما في أية رواية مهجرية، وبكون الكاتب في الخليج ــ البحرين ــ منذ عام

١٩٩٢م إلى عام ٢٠١٣م تعد هذه الرواية تصويرا لذاته ولحياته المهجرية، فكان يتخذ من اغترابه قصة مادام أنه لا يمكن أن ينكر الكاتب شخصيته كليا حين يكتب عن غيره، لأن حياة نفسه تتبعه كما يتبعه الظل، والسنة التي هبط فيها نجيب في مطار الرياض / السعودية هي نفس السنة التي هبط بنيامين في البحرين وعمره عشرون سنة، واستطاع الكاتب أيضا أن يرى كثيرا من أشخاص يكابدون العيش سعيا وراء لقمة العيش.

العثور على النفط والبترول في الدول الخليجية كان ثورة كبيرة في مجالة التطور الاقتصادي حيث تحسن اقتصادها بشكل ملحوظ. وجرت فيها نشاطات عديدة في تطوير البنيات التحتية، والتسهيلات العامة بفضل حصيلة البنزين. فوجدت هناك فرص المهن الكثيرة مما جذب إليها انتباه الناس من دول ثالثة وفقيرة مثل الدول الإفريقية والآسوية. وعلاوة على ذلك أن للهند علاقة حميمة بالدول الخليجية منذ العصر النبوي أو من قبل كما تشير إليه المواثيق التاريخية.

وحدثت ظاهرة الهجرة من الهند إلى الخليج للعمل في ثلاثينيات القرن العشرين، وازدادت بوجه ملموس لسبب تحولات اجتماعية حصلت بعدها في الهند. وكانت لكيرالا الأسبقية بالنسبة للهجرة إلى الدول الخليجية خاصة للمسلمين فيها لأسباب دينية واقتصادية، ورأوا الهجرة فرصة ذهبية لتحقيق أحلامهم وآمالهم، وتحصيل عيش رغيد لعوائلهم. وبفضل ذلك الاتصال والاحتكاك تغيرت الثقافة المليبارية تغيرا جذريا في مستوى العيش، وحقق تقدما باهرا في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والدينية. والسبب الأهم في ذلك، حنين المواطنين المغتربين إلى أوطانهم. وهذا التأثير الخليجي أو العربي ظاهر في الحياة الاجتماعية والسياسية واقتصادية في

أهل كيرالا خاصة في شمال كيرالا لأنهم أكثر الناس وفدا إلى الخليج العربي. فأصبح العربي عند الملييباريين رمز السخاء والدول الخليجية فرصة العمل. فقد قل أن يكون في شمال كيرالا أسرة لا يوجد فيها شخص يعمل في الخليج ويهتم بأمرها ويدبر شؤونها، وهناك ما يقارب من مليونين ونصف من العمال المهاجرين من كيرالا لوحدها.

تلخيص الرواية

ولما كانت الهجرة إلى الخليج تعد مثالا لحياة المهجر لأهل كيرالا، فإنه لا توجد رواية أخرى متوفرة في اللغة العربية أو الإنجليزية أبرزت شخصية العامل المهاجر كشخصية محورية فيها. وفي الملخص على الغلاف الخلفي للرواية يحكي لنا المترجم سهيل عبد الحكيم الوافي: "هذه الرواية مبنية على قصة حقيقية لعامل هندي بسيط يدعى 'نجيب'. باع كل ما يملك وسافر إلى الرياض ـــــ السعودية في سبيل البحث عن لقمة العيش، واتفق أن وصل إلى مزرعة أغنام في الصحراء المقفرة. وعاش هناك غنما غير إنسان لمدة ثلاث سنوات تحت قسوة رب عمل بدوي يضربه حتى على الاستنجاء بالماء. وكان هناك عامل آخر مجهول الهوية حاول الهروب فلم يعثر إلا على عظامه، قتله رصاص الأرباب (رب العمل). هرب نجيب يوما مع صديقين له (هندي وصومالي) في مزرعة مجاورة ــ ضلّوا الطريق في الصحراء.. شاهدوا الموت وجها لوجه.. مات الصديق الهندي.. أما نجيب فحمله الصومالي المفتولُ العضلات على أكتافه كما يحمل المنديل المبتلّ... وأوصله إلى برّ الأمان ... استعاد روحه... رحّلوه إلى وطنه.. لقي بنيامين كاتب الرواية... حكى له الحكايات على

براءة ولكن بنيامين اكتشف فيها روح رواية مثيرة، حوّلها إلى أرض الواقع في ثوب رواية متكاملة..."[١]

السرد في الرواية

لعل أول ما نلاحظه في الرواية كشكل أدبي هو جمال السرد والاقتصاد فيه، حتى ينمو الحدث الروائي من خلال ذلك السرد، وينتهج المؤلف طريقة السرد الإخباري محركا شخصيته الرئيسية (نجيب) ومن حوله شخوص الرواية الثانوية رب العمل (أرباب) وحكيم وإبراهيم القادري والأغنام. ولغة الرواية التي اختارها للسرد سهلة، وهي خالية من التعقيد الفني في بنيتها السردية. وهذه الميزة السردية لعبت دورها الفعال في رواجها وشعبيتها. وذلك أنه يمكن لكل من يستطيع القراءة فهم الحدث الروائي بشكل كلي من دون غموض، ولم يتطرق الكاتب والمترجم إلى لهجة معينة، بل استخدم لغة متوسطة كأن الحياة عند كل الناس واحدة. ولما كان هدف الكاتب إيصال رسالته إلى جيله ووطنه بأكمله، استخدم لغة خالية من التعقيد، أو لأنه كان يريد ان يوسع من دائرة قراءتها أو يريد أن يوصل رسالته إلى كل أبناء الوطن، وتمكّن بقدرة احترافية من الجمع بين الفكرة واللغة وفق أسلوب سردي إمتاعي زاخر بالصور الشعرية والجمالية البالغة. وقد أنطق الجميع وجعلهم يلعبون دورهم السردي ليحددوا الصور، ويقربوا عقدة الرواية التي فهمها مهمّة المثقفين، إلى قارئ عامّ لا يمكن من الرواية قراءة عميقة. والمترجم صاغها صياغة سهلة معبرة من غير أن يتقعر فيها، وكأنه يحاول أن يستعيد لغة الكُتاب الكِبار الرواد في فن الرواية العربية.

[١] الغلاف الخلفي للرواية أيام الماعز ، مكتبة آفاق الكويتية الطبعة الأولى

الزمن اللا آدمي

ويمكن القول بعد قراءة هذه الرواية أن الماعز حلّت محلّ الشخصية الثانوية، إذ إن الماعز هو الأنيس الوحيد لنجيب في فترة احتجازه، ولعل عنوان الرواية أيام الماعز هو الرامزة الأولى إلى الزمن اللا آدمي وتغيير الكنه الإنساني والاكتساء بسلوكيات الماعز. "لقد أصبحت واحداً منهم"، يقول نجيب بعد أن أُجبر على النوم في وسط أبوال الماعز. يمر الوقت اللاإنساني على نجيب في المزرعة، ويبدأ هو بتعريف كل واحد من قطيع الماعز باسم معين محاولا أن يصبغه بصبغة آدمية معروفة عنده ويخيّم في احتجازه بمحيطَه المحلي وأقربائه حتى ولده الذي لم يولد بعد. "ضربت على جدران القلب أمواج عاتية من ذكريات منسية منذ أيام.. زوجتي زينب حامل .. ودّعتها وهي في حالة تتوقع فيها الولادة في كل لحظة.. ولم يبلغني بعد أحد بخبر من أخبارها..ولعل هذا بشرى من الله إليّ مباشرة.. زينب.. زوجتي الحبيبة.. قد ولدت اليوم..! أنجبت لي ولدا كما كنت أتوقعه.. بناء على هذا الاعتقاد، سميت هذا الحمل الوليد نبيلا، الاسم الذي كنت اخترته لابني المنتظر.. نبيل..!"

"ما عدا بوجاكاري رامني، فقد قمت بتسمية كل معزة أتمكن من تمييزها في المزرعة مما يجعل تقريعهم وتدليلهم أسهل. الأشخاص من محيطي المحلي مثل ارابو رابوثار، ماريامیونما، إنديبوكار، نياندو راغافان، باريبو فيجايان، جاكي، أميني، كوسو راوفت، بنكي، آمو، رازية، وظاهرة، إضافة لشخصيات عامة مثل جاغاتي، موهانلال، وحتى إي أم أس....

وهذه الفكرة المحورية في الرواية تتجلى أكثر وضوحا عند الوداع قبل الهروب من المَسَرة (مزرع الغنم)، "أستأذنكم يا إخواني الأحباء... إذا استمررت هنا على هذه الحالة سأموت لاحقا.. لابد من الهروب.. ليس منكم بل من أقداري.. أحب كل واحد منكم.. ولولا أنتم، لقد متُّ قبل زمان..

ولكنكم أحييتموني.." ليس لي أناس أودعه.. أنتم كل الناس لي.. أنتم الذين شجعتموني على الحياة طوال هذه الأيام.. امتناني لكم شديد بعد الله تعالى.. بكيت مرة أخرى.." و "سمعت عبد الحكيم يناديني من البُعد.. خرجت من 'المَسَرة'.. تعالى ثُغاء الأغنام كلها معا بالصراخ.. لكنني لم ألتفت.. ولو فعلت، ربما لم أرحل من هناك..."

العنف والقسوة في النظام الكفيلي.

تعتبر أيام الماعز التجربة الأولى في الروايات العربية في شكلها ومضمونها، لأن الكاتب يتجرّأ على النظام الكفيلي ويختار الأسلوب الجذاب في انتقاد بعض المسائل الرائجة في النظام الكفيلي. لقد جالت الرواية بتمامها بمأساة قل من التقطها في الرواية العربية الخليجية ويعرض الكاتب نموذجا للإنسان الممزق بين حلمه وبين واقعه، وتتحدث الرواية بإسهاب عن رموز العبودية والقسوة في النظام الكفيلي، كعدم الحق للعامل في اصطحاب عائلته إلى مقر عمله، واستغلال طاقاته البشرية بمقابل أجرة رخيصة متواضعة، وأن ظروف العمل غاية في السوء، مع احتجاز الحرية الرمزية للعامل بإخفاء أوراقه الثبوتية وجواز سفره، وهذا الموضوع الذي مارسه الكاتب في الرواية لا نزال نسمع عنه في المجتمعات الخليجية بعد أن كثرت هجرة العمال من مختلف أنحاء العالم، لكنه لم تجسده رواية عربية هذا الجانب المأساوي المهجري. يعاني نجيب من الضرب، والحجز، والوجبات البائسة من الخبز والماء، والخوف. " إن تجربة الاحتجاز بالإكراه لمدة طويلة أمر لا يمكن التفكير فيه عند أغلب المهنيين المتنعمين. لذلك، فإنه من الصعب تخيل ما شعرت به وأنا محتجز في الصحراء، وممنوع من الاستحمام، وممنوع من أن أغسل نفسي بعد التغوط، أو أن أشرب الماء أكثر من ثلاث مرات في اليوم. من الصعب تخيل شعوري الدائم بالخوف من محتجزي الذي يمكن له أن يجلدني، أو يزيد من حجزي، أو يقتلني إذا

شاء. ما هو شعورك حين تكون مختطفاً، ومسجوناً، بل ومستعبداً في واحدة من أقوى ممالك النفط على وجه الأرض"

ومما لايشك فيه أحد ولا يختلف فيه اثنان أن المبالغة من خواص الرواية الفنية المتكاملة، إذ نرى سارد الحوادث بنيامين يضخّم الجانب السلبي في النظام الكفيلي ولكن المترجم ينفض يديه مما رمى به الكاتب النظام الكفيلي من الانتقادات والطعون، إذ يقول المترجم سهيل عبد الحكيم الوافي في قول المترجم "هذه الرواية مثل أي رواية من نسج الخيال، ولكنها تمثل الحقيقة في قليل أو كثير، وإذا خيّل إلى أحد أنها تمثّل الحقيقة، فليس إلا لأنها واقع في إطار معرفته، وإذا خيّل إلى آخر إن هذا إلا بهتان عظيم فليس إلا لأنها غير واقع في إطار معرفته. وأنا كمترجم لست إلا راويا بريئا رجوتُ أن أنقل إلى أبناء عقيدتي ما يروَّج عنهم لكي يكونوا بالمرصاد، معترفا بجميل عرب الخليج الطويل العريض المتخطي حدود الأديان والأجناس. وأعتقد أني لا أكون مذنبا إذا أشرتُ ونصحتُ والله من وراء القصد"[١]

ومما هو جدير بالإشارة، أن الأخ سهيل عبد الحكيم الوافي قد تم من ترجمة هذه الرواية المشهورة إلى اللغة العربية. وقد نجح الوافي في ترجمته حيث لم تفُت منها العروبة الملموسة في تلك الروايات العربية التي يكتبها أهل اللغة وجهابذة الرواية. وله الفضل في الاحتفاظ بخاصية الإثارة في النص الأصلي دون تغيير. وقد تولى طبعه ونشره مكتبة آفاق الكويتية. وهذه هي خطوة ثانية جادة من أهل كيرالا حين قام بترجمتها سهيل عبد الحكيم الوافي، وقد ترجم قبله الدكتور محيي الدين الأزهري رواية 'تشامين' (Chemmeen)، لـــــــ 'تكازي شيفا شنكرا فيلا' (Thkazhi Shiva Shankara Pillai) إلى اللغة العربية.

[١] قول المترجم ، أيام الماعز مكتبة آفاق الكويتية الطبعة الأولى

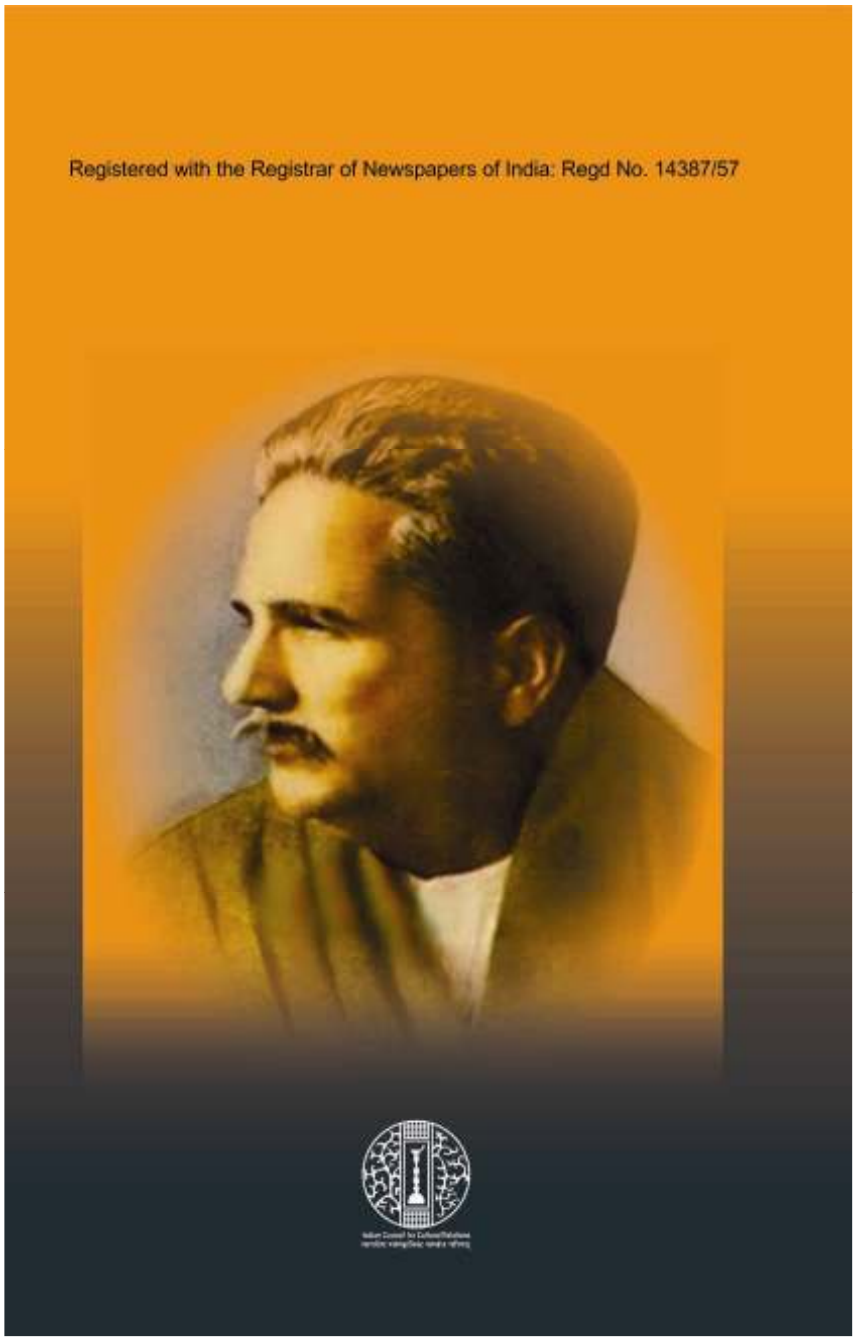
Registered with the Registrar of Newspapers of India: Regd No. 14387/57